كلمة العدد

البحرين بين الأمس والغد

بقلم : سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

احتفلت البحرين منذ أيام بعيدين . الأول هو العيد الوطني المجيد . . والثاني هو عيد الأضحى المبارك . .

في العيد الوطني الذي نحتفل به كل عام، نستعرض حصاد عام مضى، ونتطلع إلى ثمار الجهد الخارق الذي توليه دولتنا الرشيدة بقيادة ملكها الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ودعم سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، والحكومة الرشيدة وكل مواطن يعيش على هذه الأرض الطيبة التي تنطلق بحكمة وحماسة ملكها الشاب على درب العمل لتحقيق ما يصبو إليه الجميع من خير وسعادة ولتتقدم على الدرب الطويل نحو الغد المأمول . .

لقد أصبح العيد الوطني في البحرين، ليس مجرد مناسبة لتبادل التهنئة، وإنما تحول في كل عام إلى وقفة واعية لإحصاء ما تحقق في عام سابق وهو كثير

. . فقد حققت البحرين في السنوات الأخيرة قفزات عملاقة شهد لها وأشاد بها الجميع . . وتحولت من دولة صغيرة على هامش الموازنات الدولية إلى مملكة ناهضة تسابق الزمن لتحقيق الأمل ولتصبح دولة محورية في منطقة تموج بالأحداث .

لقد استطاعت تحت حكم الأسرة الخليفية وبقيادة ملكها العاشق لأرضه وأبناء وطنه أن تنطلق على درب التقدم بخطوات ثابتة وراسخة، وأن تتصدى لما جاءت به السنوات الأخيرة من توازنات دولية وأزمات سياسية عالمية وأخطار أحاطت بالمنطقة . . استطاعت، وسط هذا الزخم الكبير والخطير من الأحداث، أن تحافظ على ثباتها، وأن تتفادى الأمواج العاتية التي تعصف بالعالم كله، وأن تواصل - رغم كل ذلك - تقدمها دون توقف، وأن تعالج أشد الأزمات بحكمة وعدالة وروية شهد بها الجميع .

لقد أدركت القيادة الحكيمة أن الأمن والاستقرار هما الأساس الراسخ والمتين للتقدم . . وحرصت على تحقيق ذلك . . وحولت البحرين إلى أسرة واحدة . . وهو الشعار الذي أوجده وحافظ عليه الأماجد من حكام آل خليفة، وأدرك كل مواطن بحريني أنه صاحب الأرض، وأن الغد مرهون بعمله وجهده . . وأن الأمن والاستقرار هما الخيمة التي تظلل أهله وتحمي مستقبله . .

أدرك الجميع ذلك . . وسار الجميع خلف ملكهم على درب الأمن والاستقرار في كتيبة واعية صامدة تعمل يداً بيد ليعلو البناء وتتحقق كل الأحلام . إن نظرة واحدة إلى الوراء، تؤكد عظمة وكثرة ما تحقق . . ولسنا في حاجة إلى أن نطل إلى بعيد جداً، وإنما يكفي جيل أو جيلان، معظم أبنائهما مازالوا أحياء يرزقون . . هذه النظرة كفيلة بأن تبين لنا حجم ما تحقق رغم محدودية الموارد بالنسبة للدول المجاورة .

لقد تقدمت البحرين . . تقدمت سياسياً واقتصادياً واجتماعياً . . وأصبح اسمها على خريطة الدول الناشطة . . وأصبح أبناؤها مدداً من الخبرات العريضة عربياً ودولياً . . وعلى الدرب الطويل اجتازت الدولة التي اعتادوا أن يصفوها بالصغيرة وأصبحت دولة كبيرة بما أنجزته وحققته، اجتازت الكثير من الحواجز . . وبفضل السياسة الواعية والحكيمة، عالجت كل المشاكل، وأدارت العمل بوعي وعلم وحنكة وشفافية، وتجاوزت قلة الموارد، وحققت أكثر مما تصبو إليه الكثير من الدول .

إن التاريخ الذي لا ينسى سوف يسجل للبحرين ذلك، وسوف تكون نموذجاً لما يمكن أن تحققه السياسة التي تقوم على الشفافية . وعلى قاعدة الأسرة الواحدة وعلى الإخلاص في العمل وعلى شرف القصد وعلى حب الوطن وأبناء الوطن وعلى التطلع لآفاق غير محدودة في التقدم والرخاء . هذا النموذج الذي يرسخ الأمل العريض ويؤكد الثقة المطلقة في أن الغد سوف يحمل الكثير والمزيد من التقدم والرفاه، وسوف يجعل الإنسان البحريني في مقدمة شعوب العالم . وسوف تظل البحرين دائماً خلف قائدها الملك المفدى الذي يتطلع إلى أفق عريض. والذي يرنو إلى تحقيق أحلام عريضة لبلده وشعبه، والذي لا يبخل بالجهد والفكر والعمل لتحقيق ما يصبو إليه الجميع من تقدم ورخاء .

وبعد أيام من احتفالات العيد الوطني المجيد احتفلت البحرين مع شقيقاتها الدول الإسلامية بعيد الأضحى المبارك . . وقد استقبلته بالفرحة والأمل والشكر لله الذي جنب البلاد الأخطار التي تجتاح العصر، والذي حقق لهذا الشعب الحب والأمن والاستقرار الذي يحيا في ظله الجميع، والذي يعود بالخير على الجميع .

لقد كان العيد المبارك وكما هو دائماً درس متجدد للتضحية والفداء، ودرسا متجددا فيما يمكن أن يصيغه الإيمان الواثق بالله الخالق وبقدرته ورحمته وهو درس نرجو أن تستوعبه الأمة الإسلامية كلها وأن تعيد قراءته واستعراضه . فربما يحميها ذلك مما يحيط بها من أخطار، وربما يدفعها إلى التفكر واليقظة والعمل على نبذ الفرقة والخلاف .

مبروك للبحرين عيديها . وحقق الله لها ما تصبو إليه في غدها المأمول .

إنه سميع الدعاء .

عبد الله بن خالد آل خليفة

مقدمة عن تاريخ الوق

للبحرين تاريخ حافل في الوقائع الحربية – البحرية منها والبرية – منذ أن هاجر العتوب من مرابعهم في نجد صوب الخليج العربي تدفعهم روح المغامرة والبحث عن مصادر الرزق، منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي . وقد ساعدتهم الظروف السياسية، والموقع الجغرافي للخليج العربي على نجاحهم في تكوين مشيخات لهم أصبح لها تاريخ مجيد . ومن هاتيك العوامل :

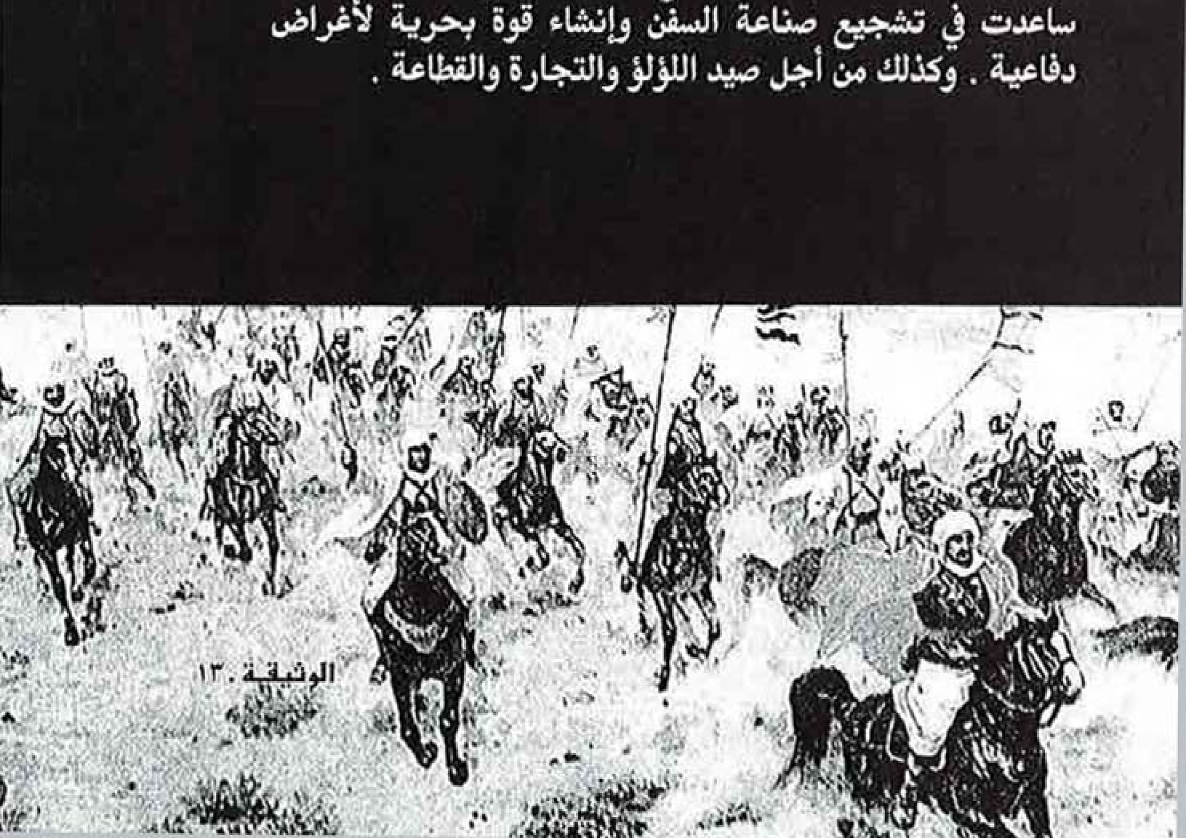
العامل الجغرافي : إن أرخبيل جزر البحرين المحاطه بالمياه من جميع جهاتها أعطتها قدرا من الانعزال الطبيعي لها مما زاد في قدرتها الدفاعية .



ـائع الحربية في البحرين

بقلم : الدكتور علي أباحسين

وأن بناء (القلاع) علي شواطئها جعلها شبه منيعة ضد الغزاة . كما نرى في الأحداث المتعلقة بـ (قلعة البحرين) و(قلعة الديوان) و (قلعة الرفاع) و (قلعة بوماهر) . وعلى الرغم من أن القوات البحرية المتدربة على ركوب البحر لم تكن متوفرة وقتئذ، بل كانت القوة البحرية مجرد قوى من سكان البحرين يبلغ عدد المقاتلين فيها بضعة آلاف نسمة، وعدد سفنها تعد بالمئات . إلا أن الملامح الطبيعية لسواحل البحرين قد ساعدت في تشجيع صناعة السفن وإنشاء قوة بحرية لأغراض دفاعية . وكذلك من أجل صيد اللؤلؤ والتجارة والقطاعة .



ونظرا لأن كلا من الجزيرة العربية وإيران لم تملكا وقتئذ قوة بحرية فانهما لم تسيطرا على الطرق البحرية في الخليج العربي . ومن هنا برزت منافسة شديدة بين مسقط والبحرين لفرض السيطرة على الطرق البحرية في هذه المنطقة . واشتهرت البحرين بكثرة نخيلها وأشجارها التي أصبحت كعنصر التمويه للحشود العسكرية . لذا لعبت دورا في نجاح الوقعات البرية . ثم إن توفر الماء العذب في البحرين برا وبحرا جعل السفن تمر بها لتزود نفسها بالماء العذب . وللثروات الزراعية والحيوانية في البحرين ما يكفي لسد حاجاتها الملحة . ونظرا لوجود مغاصات اللؤلؤ حول جزرها فلا غرو إذا ما أصبحت عرضة للغزاة العرب والأجانب .

وكانت الحروب تعتمد عل الخنادق والقلاع المزودة بالعتاد والذخائر والمؤونات . في حين تحاول قوات العدو اقتحام القلاع من أبوابها . وكانت تستخدم البنادق والسيوف والمدافع أحيانا مما تثبته الوثائق التاريخية عندما استخدم العتوب المدافع في سفنهم حين دخولهم الخليج العربي . ومما زاد في قوتهم علاقات الأخوة بين العتوب وسكان البحرين فهم بنو عمومة أو خئولة تربطهم روابط القربى والنسب، والدين واللغة والمصالح المشتركة في دفاعهم عن بلادهم ضد الاجنبي فكانوا على اتصال دائم فيما بينهم سواء كانوا في البحرين أو الزبارة أو الكويت . وساعدت استخباراتهم في خدمة مصالحهم وطموحاتهم الواسعة . وكانـــوا يتمتعون بمعنويات عالية . ولهم قابلية على سرعة الحركة . ومبادأتهم بالمعركة الخاطفة مما أكسبهم السرعة في تحقيق النصر .

وعلى رأس هذه العوامل فإن (للقيادة الحكيمة) كبير الأثر على تفاني أهل البحرين بالحروب برا وبحرا خاصة ما يتحلى به القادة من شجاعة أثناء الحرب ووقت السلم بتطبيق الأنظمة والقوانين المستندة على ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام . وما عرف عن القائد العتوبي من الخلق القويم والتواضع والإيثار والرحمة، والحلم وبعد النظر والمشاورة، وتلك لعمري من عوامل نجاح القيادة . ورفع معنويات المرؤوسين . ثم تفاني سكان البحرين وراء قيادتهم . وعكس ذلك فإن الظلم والانتقام وتقصير القائد بحق رعيته من أسباب فشل القيادة .

ولما كانت العمليات الحربية متنوعة بتنوع الأسباب والظروف المحيطة بها لذا فكل منها تختلف عن الأخرى . وهنا لابد للقائد أن يدرس الخطط ويتحاشى الأخطاء، ويتحقق

ذلك بحسن اطلاع القائد للوقائع الحربيه وأسبابها ونتائجها . ولا يكون القائد مغرورا ولا متعجلا فان ذلك يؤدي إلى الفشل[١] .

وقد شهدت البحرين أكثر من (ثمان وعشرين وقعة حربية) خاضها (العتوب) منذ هجرتهم من الهدار في بلاد نجد حيث كان موطنهم في وادي الأفلاج والهدار في الفترة ما بين ١٠٨٠-١٠٩٠هـ/١٦٦٩-١٦٧٩م حتى وقعة الزبارة في ١٣١٢هـ/١٨٩٤م . ففي الهدار بنوا قلعتهم (صبحا) كما بنوا قلعة في الافلاج وسموها (سلمى)، بناها جد العتوب (فيصل الجميلي) .

ومن أولى (الوقعات الحربية) التي خاضها (العتوب) بعد هجرتهم من الهدار في نجد كانت (وقعة الشاخورة) . وتقع جنوب (بوصيبع) وشرق (مقابه) وغرب (الحجر) وجنوب (جنوسان و رأس القلعة) .

ولقد عرف قادة (العتوب) تقدير الموقف الحربي في (السوق) وذلك لجر العدو إلى ميدان المعركة . كما عرفوا ما يصطلح عليه عسكريا (بالتعبئه) وهي الواسطه لدحر العدو في ميدان القتال، وذلك بعد دراسة الوضع من جميع جوانبه رغم أنهم حديثو العهد بالهجرة .

ففي النصف الثاني من القرن السابع عشر حدث في الخليج العربي صراع حاسم بين البرتغاليين والعمانيين . وقد استمر (سيف بن سلطان اليعربي)[٢] بمطاردة البرتغاليين فاستعاد مسقط وصحار . وخاض العمانيون معهم معارك ضارية في عرض المحيط الهندي شرقا وغربا واستولى (سيف بن سلطان) على البحرين عام ١١١٢هـ/١٧٠٠م[٣] ولما كان (سيف بن سلطان) وأتباعه من أهل عمان من (الأباضية)[٤] فقد فر عدد كبير من أهل البحرين للقطيف . كما لجأ بعضهم إلى السواحل الشرقية للخليج العربي وكانت بلاد فارس وقتئذ ضعيفه أمام قوة عمان البحرية[٥] . ثم عادت البحرين تحت النفوذ العربي منذ أن دخلها (العتوب) سنة ١١١٢هـ/١٧٠٠م ثم غادروها صوب الشمال باحثين لهم عن موضع آخر يناسبهم رغم أنهم حديثو العهد بركوب البحار وبعد هجرتهم من قلب جزيرة العرب إلى الاحساء فقطر فالبحرين . من مناخ صحراوي جاف وبيئة رعوية إلى بيئة زراعية يسودها المناخ الرطب الذي لم يألفوه بعد .

الحوادث المهمة في تاريخ آل خليفة (العتوب)

١ – هجرة العتوب من الهدار إلى قطر في الفترة ما بين ١٠٨٠-١٠٩٠هـ/١٦٦٩-١٦٧٩م .
٢ – معركة (رأس تنوره) في ١١١٢هـ/١٧٠٠م .
٣ – وصلوا البصرة ١١١٣هـ .
٤ – استقروا في الكويت بعد عام ١١١٣ وأقرب ذلك في العقد الثاني من القرن الثاني عشر .
٥ – هجرة الشيخ محمد بن خليفة في حوالى العقد الثامن من القرن الثاني عشر الهجري .
٦ – تم بناء قلعة الزبارة في عهد الشيخ (محمد بن خليفة) في ١١٨٢هـ/١٧٦٨م .
٧ – وقعة الحويلة أو (السميسمة) ١١٨٣هـ/١٧٦٩م .
٨ – معركة الزبارة ١١٩٧هـ/١٧٨٣م .
٩ – استيلاء سلطان بن أحمد حاكم مسقط على البحرين ١٢١٥هـ/١٨٠١م .
١٠ – استعادة البحرين من سعيد بن سلطان حاكم مسقط ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م .
١١ – خروج بن عفيصان من البحرين ١٢٢٥هـ/١٨١٠م .
١٢ – وقعة اخكيكيرة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م.
١٣ – وقعة المقطع أو وقعة سترة ١٢٣٠هـ/١٨١٤م .
١٤ – وقعة قزقز (الجفير) ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م .
١٥ – وقعة سيهات أو حرب القطيف ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م .
١٦ – وقعة الناصفة .
١٧ – وقعة سوق الخميس .
١٨ – وقعة الرفاع .
١٩ – وقعة المحرق أو الساية .
(١٦–١٩) في ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م.
٢٠ – وقعة أم سويه أو خراب الدوحة الأول ١٢٦٤هـ١٨٤٧م .
٢١ – وقعة رأس تنورة (مسيمير) ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م .
٢٢ – وقعة الدولاب ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م .
٢٣ – محاصرة الدمام أو شد الدمام ١٢٧١هـ/١٨٥٤م .
٢٤ – الوكرة
٢٥ – خراب الدوحة الثاني
٢٦ – الحمرور
(٢٤–٢٦) فى ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م.
٢٧ – دامسة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م .
٢٨ – الوكرة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م .
٢٩ – الضلع ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م .
٣٠ – ربيجه ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م .
٣١ – شد القليعه ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م .
٣٢ – وقعة الزبارة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م .

هذه الأسباب دعت العتوب لترك البحرين بعد دخولهم إياها وتحريرها من الفرس ليجدوا المكان المناسب لهم مناخيا واقتصاديا واجتماعيا . وما إن تركوا البحرين بعد أن حرروها من الفرس ومكثوا فيها فترة قصيرة من الزمن، حتى مهدوا السبيل ليعاربة عمان بان يدخلوها بيسر وسهولة في ١١١٢هـ/١٧٠٠م. وان لم تبق في أيدي العمانيين مدة طويلة[٦] . إلا أنهم واصلوا محاولاتهم للاستيلاء عليها رغم المقاومة التي واجهوها في البحرين[٧] .

ويمكن أن نوجز العوامل التي ساعدت (سيف بن سلطان اليعربي) على دخول البحرين سنة ١٧٠٠م/١١١٢هـ فيما يلي :

١ – الفراغ العسكري في الخليج إثر انسحاب البرتغاليين .

٢ – هجرة العتوب منها بعد ان مهدوا للعمانيين الدخول إلى البحرين .

٣ – لم تكن بريطانية وقتئذ تملك قواعد عسكرية في الخليج . كما أنها قد دخلت مع حليفتها هولنده في حرب ضد فرنسا التي أنهكتها الحروب مع أسبانيا وهذا مما مهد لدخول العتوب ثم اليعاربة العمانيين من بعدهم لفتح البحرين .

٤ – كانت القوة العمانية الضاربة هي التي استحوذت على جنوب الخليج بينما هاجرت قوى (العتوب) إلى الشمال . وكان (العتوب) نحو ألفي بيت تحرسهم نحو مائة وخمسين سفينة على كل منها ثلاثة مدافع وفي كل مركب نحو أربعين رجلا يحمل كل رجل بندقية[٨] .

٥ – لأن البحرين كمصدر من مصادر تجارة اللؤلؤ والملاحة وصيد الأسماك مما يدر أموالا كثيرة مما أثار طمع العمانيين للسيطرة عليها .

٦ – ضعف الفرس : فقد عاصر هذه الفترة (الشاه حسين بن الشاه سليمان بن عباس الثاني الصفوي) . وكان البلاط الفارسي منقسما على نفسه وسيطر الأفغان على بعض من مناطق بلاد فارس .

وفي هذه الأثناء حصلت شركة الهند الشرقية على امتيازات تجارية لها في إيران فقدم وكيلها في أصفهان هدية للشاه مقابل حق امتياز تصدير الحرير الخام من إيران . وهذا أدى إلى موقف عدائي من هولنده التي كان لها احتكار تجارة الحرير في إيران[٩] . وبذلك أصبحت الدولة الفارسية أمام مواقف ضعف تجاه ما يواجهها من ظروف داخلية وخارجية .

وكانت المعارك التي خاضها العمانيون في البحرين قد وصفها شاهد عيان في سنة ١١١٢هـ/١٧٠٠م وهو يترجم لنفسه في كتابه الموسوم (لؤلؤتي البحرين)[١٠] – وهو من أعلام علماء البحرين – إذ يقول :

وجاء الخوارج[١١] (أباضية عمان) لأخذ بلاد البحرين فحصل العطال والزلزال بالتأهب لحرب أولئك (الرجال) . وفي أول سنة : وردوا لأخذها رجعوا بالخيبة ولم يتمكنوا منها . في المرة الثانية : بعد سنة مع معاضدة جميع الأعراب والنصاب لهم . وفي الثالثة، حصروا البلد لتسلطهم على البحر حيث أنها جزيرة حتى أضعفوا أهلها وافتتحوها قهرا . وكانت واقعة عظمى وداهية دهماء لما وقع من عظم القتل والسلب والنهب وسفك الدماء . وبعد أن أخذوها وأمنوا أهلها، هربت الناس سيما أكابر البلاد منها إلى القطيف وإلى غيرها من الأقطار . ومن جملتهم الوالد مع جملة العيال والأولاد فإنهم سافروا بهم إلى القطيف وتركني في البحرين في البيت الذي لنا في قرية (الشاخورة)[١٢] حيث كان في البيت بعض الخزائن المربوط فيها على بعض الأسباب من كتب وصفر وثياب . فإنه نقل معه جملة إلى (القلعة)[١٣] التي قصدوا الحصار فيها . وأبقى بعضها في البيت مربوطا عليه في أماكن خفية . أما ما نقل إلى القلعة فإنه ذهب بعد أخذهم القلعة . وخرجنا جميعا بمجرد الثياب التي علينا . ولما سافر إلى القطيف بقيت أنا في البلد وقد أمرني بالتقاط ما يوجد من الكتب التي انتهبت في القلعة واستنقاذها من أيدي الشراة[١٤] . فاستنقذت جملة ماوجدته وأرسلت به إليه مع جملة مافي البيت شيئا فشيئا . ومرت هذه السنين كلها بالعطال . ثم إني سافرت إلى القطيف لزيارة الوالد ذهبت شهرين أو ثلاثة فضاق بالوالد الجلوس بالقطيف لكثرة العيال وضعف

الحال وقلة مافي اليد فعزم على الرجوع إلى البحرين قال : وبعد ثلاثة أشهر قضيتها بالقطيف عدت للبحرين وكانت في أيدي الخوارج . فاتفق أن عسكر العجم مع جملة من الأعراب جاءوا لاستخلاص البحرين من أيدي الخوارج . وساءت الأحوال حتى صارت الدائرة على العجم فقتلوا جميعا وحرقت البلاد .

وكان من جملة ماحرق بالنار بيتنا في قرية (الشاخورة) وكان ذلك سببا في وفاته إذ مرض وطال به المرض شهرين حتى توفي . وبقيت في القطيف بعد موت الوالد مما يقرب من سنتين، أقرأ على شيخنا الشيخ حسين الماحوزي . وأتردد على البحرين إلى أن أخذت البحرين من أيدي الخوارج صلحا، بعد دفع مبلغ خطير لإمام الخوارج لعجز ملك العجم وضعفه وإدبار دولته . ورجعت إلى البحرين وبقيت فيها مدة خمس أو ست سنين أدرس على شيخنا الأوحد الشيخ (أحمد بن عبد الله البلادي) . ثم بعده عند الشيخ (عبد الله بن علي) وسافرت للحج ثم إلى القطيف ثم رجعت للبحرين .

واتفق خراب البلد باستيلاء الأعراب من (الهوله) عليها حتى صاروا حكامها لأسباب يطول شرحها بعد استيلاء الأفاغنة على ملك الشاه سلطان حسين وقتله سنة ١١٢٥هـ/١٧١٢م(١٥) . ففررت إلى ولاية العجم وبقيت مدة في كرمان ثم رجعت إلى شيراز وكان حاكمها يومئذ الميرزا محمد تقي(١٦) . لقد اختار أهل عمان موقع هجومهم قرب (الشاخورة) وذلك لتمركز القرى والمدن حولها . فضربوا أهم مراكزهم حيث كان المتولي على البحرين هناك . وحيث أن (جد حفص) و (بلاد القديم) قريبة منهم . ثم وجود القلعة التي ركزوا السيطرة عليها فاحتلوها مما أدى إلى دخولهم البحرين إثر سقوط القلعة بأيديهم . وباغت العمانيون سكان البحرين من الشمال دون الجنوب وهو الطريق الأقرب إليهم . وكان اختيار العمانيين للهجوم من جهة الشمال لأسباب منها :

أن الممرات المائية والخلجان الصالحة لرسو السفن أفضل مما هي في مواقع أخرى في الجنوب أو الشرق من جزيرة البحرين . ثم إن كثرة النخيل صوب الشمال يوجد نوعا من التستر لقواتهم بالإضافة إلى توفر الغذاء والمياه اللازمة للجند العماني .

نتائج المعركة ١٧٠٠م/١١١٢هـ

١ - هرب كثير من سكان البحرين إلى القطيف وسواحل إيران .

٢ - استيلاء إمام عمان (سيف بن سلطان) على البحرين .

٣ - إتلاف وحرق كتب في الشاخورة والقلعة .

٤ - أثارت هذه المعركة الفرس لأسباب مذهبية . وتضامنا مع بعض سكان البحرين . إلا أن فارس كانت ضعيفة . فاستنجدت بشركة الهند الشرقية فلم تنجدها لأنها كانت في بداية تكوينها ولاتريد أن تدخل في معارك حربية . ثم استنجدت بفرنسا . فلم يفلح الفرس ١٧٠٨م/١١٢٠هـ. ثم استنجدت بالبرتغاليين في (جوا) ١١٣١/١٧١٨هـ مما أثار بريطانيا التي ساعدت إمام عمان . ثم استعان الشيخ جباره بعمان فدفع لإمام عمان ٨٠٠٠ تومان (التومان نحو نصف جنيه إسترليني) ودخل البحرين ١٧١٨م[١٧] وأصبح الشيخ جباره أول حاكم عربي وهو شيخ قبائل الهوله .

١. لم يكن احتلال الشيخ جبارة للبحرين سوى لتخليص أهل البحرين من أباضية عمان . والشيخ جباره من آل مذكور من مطاريش عمان وهم من عرب الهوله الذين كان لهم نفوذ أوسع في البحرين من غيرهم . فلو كان غالبية سكان البحرين من الفرس، أو لو كان للفرس نفوذ كبير في البحرين، لعينوا حاكما فارسيا لا عربيا . ولم يلبث الشيخ جبارة أن استقل في البحرين .

وكان هناك دافع لاحتلال البحرين وهو غنى البحرين وكثرة خيراتها نتيجة للتجارة وصيد اللؤلؤ .

وفي ١١٣١هـ/١٧١٨م احتل (الأباضية) البحرين وخرج جميع أعيانها إلى بلاد القطيف . وفي الوقعة الثانية حين قدوم (الأباضية) إلى البحرين وكانوا قد قدموا أول مرة في غراب واحد وانضمت إليهم الأعراب ولم يتمكنوا من أخذها . ثم بعد سنة قدموا في سبع برش وانضمت إليهم الأعراب وكان قد أرسل السلطان (شاه حسين خان) من أهل

الدشت (أناسا) مع جملة من العسكر قبل وصولهم فاتحدوا معهم أيضا عليها[18] .

ويسهب ابن رزيق[19] في وصف حملة (سلطان بن سيف) على البحرين .

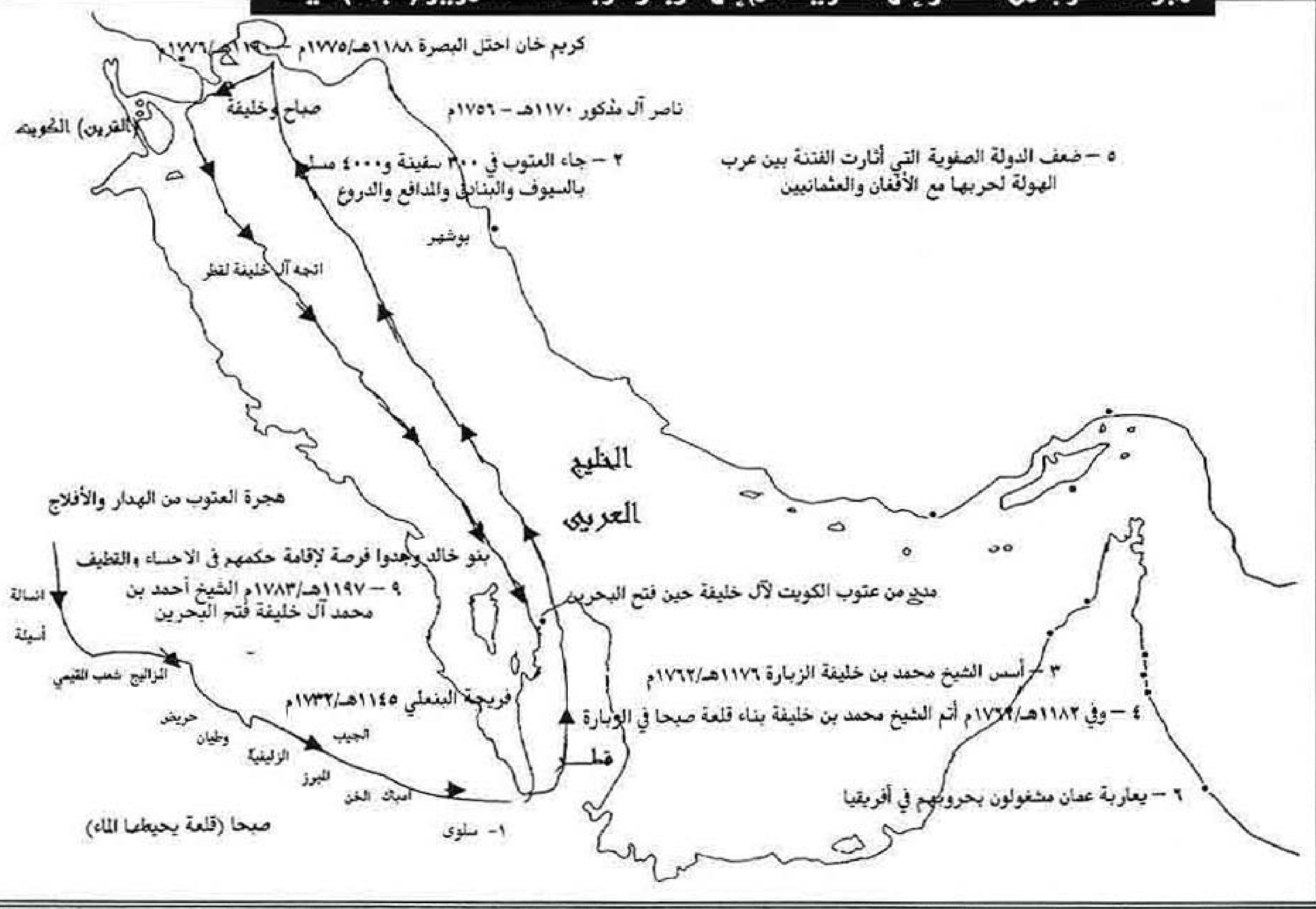
وقعة رأس تنورة مع آل مسلم

استوطن (العتوب) قطر التي كانت وقتئذ تحت ظل حكامها من آل مسلم ولكن أحد أتباع العتوب من سكان قطر قتل رجلا من أهلها بعد أن سمع منه سخرية واستهزاء فحل عليه غضب حكامها آل مسلم الذين خشوا استفحال أمرهم فأمروهم بمغادرة بلدهم . فلبى العتوب وأتباعهم الطلب وخرجوا بسفنهم ولحق بهم آل مسلم وفي (رأس تنورة) جرى قتال بينهم وانتصر العتوب . وتوجهوا إلى جزيرة (قيس) من بلاد فارس وقيل بل ذهبوا إلى (المخراق) ولكن لم يطب لهم المقام فتحولوا إلى (الصبية) وهي أرض واقعة شمال الكويت . ثم هجروها ونزلوا (الكويت) وقيل أن تركهم (المخراق) لأن العثمانيين طردوهم منها لأنهم يقومون منها بالغزو . وقيل تركوا (الصبية) لأن الحكومة العثمانية لم ترض في سكناهم هناك . وقيل بل إن قبيلة الظفيرْ همت بمهاجمتهم فذهبوا (للكويت) التي هي في حماية ابن عريعر آنذاك . وسميت الكويت باسم حصن صغير كان موجودا فيها .

خرج العتوب من قطر على إثر معركة أو وقعة مع الهوله الذين نافسوهم في التجارة والملاحة والغوص والقطاعه وخسر فيها العتوب ٤٠٠ من حلفائهم (كما أوردت الوثيقة العثمانية ومخطوطة لؤلؤتي البحرين) .

وفي رواية أخرى يبدو أن حادثا وقع بين أحد أتباع العتوب اذ قتل احد اتباع آل مسلم فاتخذ آل مسلم ذلك سببا لترحيلهم من قطر على متن سفنهم فلحق بهم آل مسلم وحدثت معركة (رأس تنورة) وكان النصر حليف آل خليفة وآل صباح فيها . ثم توجهوا نحو (جزيرة قيس) وكان سكانها من العرب ولكن سكان الجزيرة لم يقبلوهم فرحلوا إلى سفنهم ووصلوا شمالا إلى (المخراق) أو (المخراك) وهي قرية شمال الفـاو بخمسة

هجرة العتوب من الهدار إلى الكويت ثم إلى الزبارة وبناء قلعة مرير (صبحا) فيها



كيلومترات . ولكن العثمانيين أمروا بنزوحهم من الأراضي العراقية فعادوا للخليج حتى وصلوا إلى (الصبية) وتقع شمال شرقي (الجهرة) على بعد ١٤ فرسخا منها في اتجاه البحر أو شمال شرقي الكويت بمسافة حوالي ٢٥ كم فمنعهم الظفير من البقاء فيها فاضطروا للهجرة جنوبا حتى وصلوا كوت (ابن عريعر) وهم من بني خالد وزعيمهم (محمد بن عريعر) فطلبوا حماية بني خالد فعاهدوهم على ذلك .

كان أمراء قطر يومئذ آل مسلم (الذين ينتمون للجبور البطن المشهور من بني خالد) في بلدة (الحويله) ولهم سلطة على أهل قطر عامة وقد تلقوا إمارتهم من (أجود بن زامل الخالدي) أمير الاحساء حينذاك . وكان آل مسلم يأخذون خراجا سنويا من أهالي قطر حتى أن (الشيخ محمد بن خليفه) كان يعطي الخراج في بادئ الأمر إلى آل مسلم كأى قبيلة قطرية أخرى . ثم قويت شوكة الشيخ محمد بن خليفة واستحكم نفوذه في قطر فرفض أن يعطي الخراج إلى آل مسلم وتحصن في (الزبارة) بتلك القلعة العظيمة وقد بناها في الطرف الشمالي من قطر خصيصا لهذه الغاية فتخلص من إعطاء الخراج لآل مسلم وأسماها (قلعة مرير) وأرخو بناءها بقولهم (تمت بعز وعون الله حاميها) ١١٨٢هـ فتغلب على آل مسلم ودحرهم .

وسوف أستعرض طائفة من الوقائع الأخرى وذلك بعرضها على خريطة مع ملاحظة تسلسل أحداثها بالأرقام . ومن مصادر المادة التاريخية : التحفة النبهانية، ووثيقة لاتوش، والضوء الأول، ولمحات من تاريخ البحرين العسكري، ومجلة الوثيقة وغيرها .

معركة الزبارة

لقد استطاعت قيادة آل خليفة في الزبارة أن تجر العدو (نصر آل مذكور) إلى ميدان المعركة، بينما كانت حركات الجند الموالي لآل خليفة تجري في الزبارة مخفية وبعيدة عن نظر العدو وعن تاثير ناره . حتى إذا ما تهيأت أسباب نجاح المعركة بدأت (التعبئة) وهي الحركات العسكرية التي تجري ضمن رصد العدو وتحت تأثير ناره . خاصة إذا علمنا أن خطة المعركة تجري قبل نحو ثلاثة قرون مضت . فلم يكن وقتئذ هناك ما يسمى في الوقت الحاضر بالرصد الجوي . لذا فإن الحركات العسكرية وقتذاك عبارة عن استخدام الجهاز العسكري بكافة صنوفه المختلفه ودفعه إلى القتال الفعلي .

وهذه الحركات بغية تحقيق النصر وذلك بتحطيم القوات المعادية . لذا فإن تريث القيادة الخليفية وذلك بتحريك الجند خفية وبتستر عن نظر العدو وبعيداً عن تأثير ناره وهو ما أدى إلى نجاح النصر النهائي في التعبئة التي استخدم بها الجهاز العسكري كافة أسلحته لتحقيق النصر .

وإذا قارنا بين قوات الطرفين نجد جند العدو جلهم غير موالين لآل نصر ولهم ميول لكسب الغنائم . بينما جند آل خليفة كلهم محاربون بل يدافعون عن بلادهم وحريمهم وأموالهم وتجارتهم . وهم متفانون في سبيل ذلك، لأن هدفهم موحد فوق الماديات، فكان النصر حليفهم فهم قريبو العهد بانتقالهم من نجد نحو الخليج لا يهابون الموت، يحملون نفسا شجاعة وعزيزة . فهم جسورين علمتهم الصحراء الأنفة يعتزون بحريتهم ويأبون أن يعتدي أحد عليهم . ويرتبطون بوشائج القربى مع أفراد وبطون القبائل الأخرى . إلا أن البدوي يعوزه الضبط والنظام . هذه الصفات التي يتحلى بها الجند الذي يتفانى في الدفاع عن بلده الزبارة . على طرفي نقيض مع جند آل مذكور الذي لا يجمعه هدف واحد ولا عادات أو تقاليد مشتركة .

معركة الزبارة



مقياس الرسم ١ : ١٢٥,٠٠٠

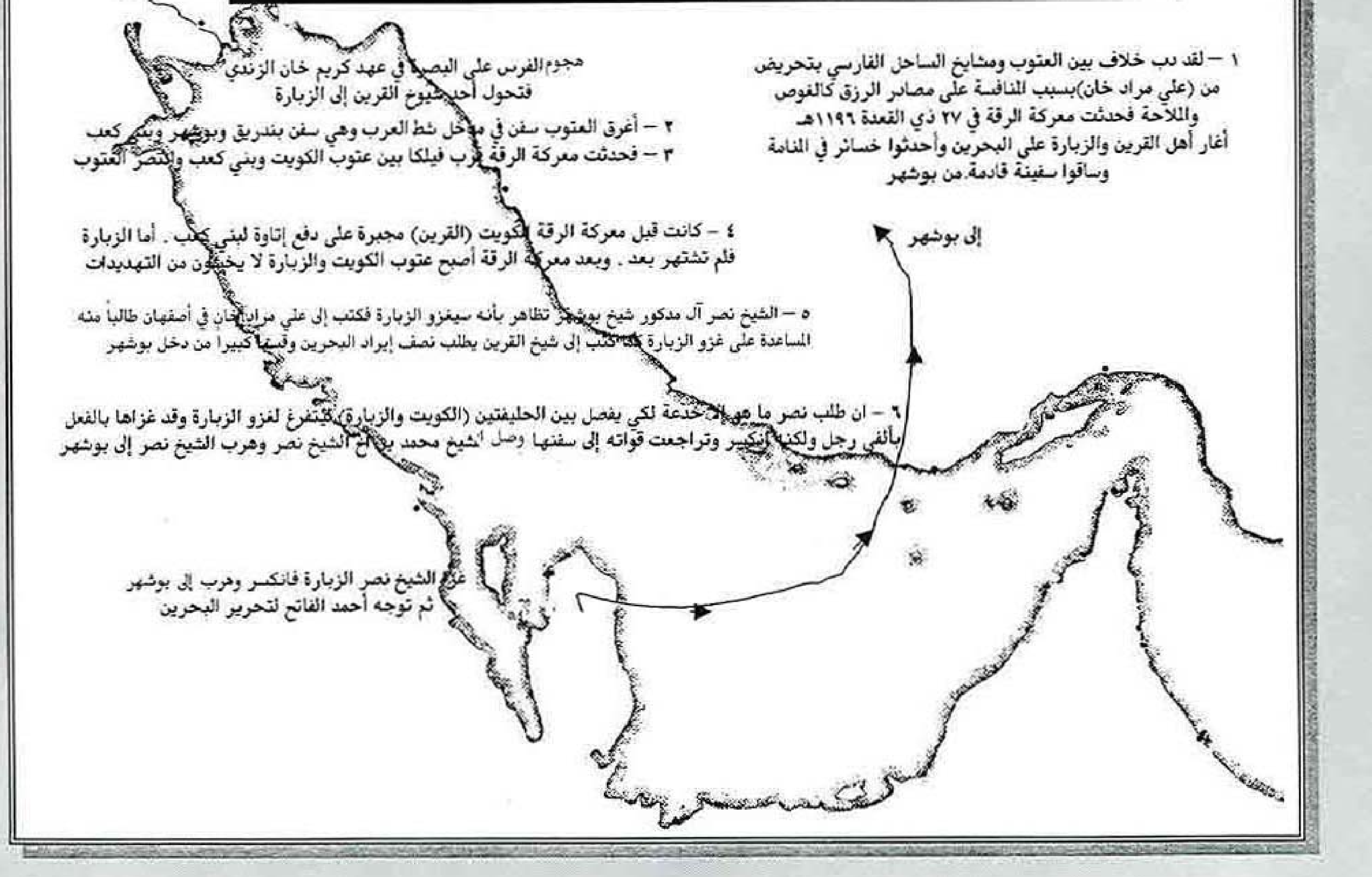
الدليل

- إسطول الغزو
- تقرب قوات الغزو نحو الزبارة
- قوات الغزو حول الزبارة والقلعة
- الهجمات المضادة من الزبارة والقلعة
- هجوم أهالي فريحات
- المطاردة

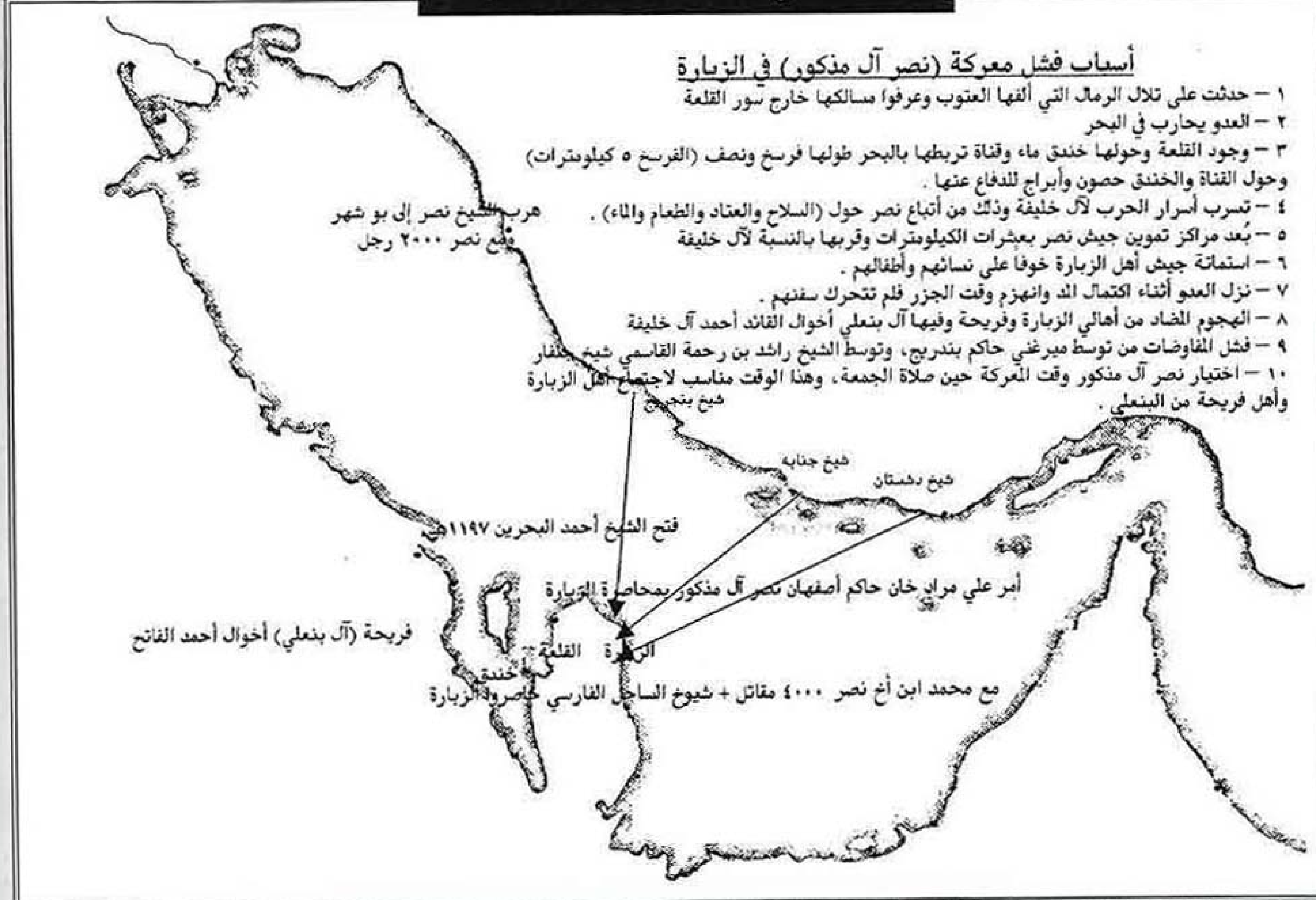
المصدر : الضوء الأول ص ٩٨ . طبع البحرين ١٩٨٦م

تحليل رسالة (لاتوش) المؤرخة في ٢٧ ذي القعدة ١١٩٦هـ/٤ نوفمبر ١٧٨٢م

(من لاتوش المقيم التجاري في البصرة برقم G21/29. Vol. 17 رقم الإرسال ٢٣٠)



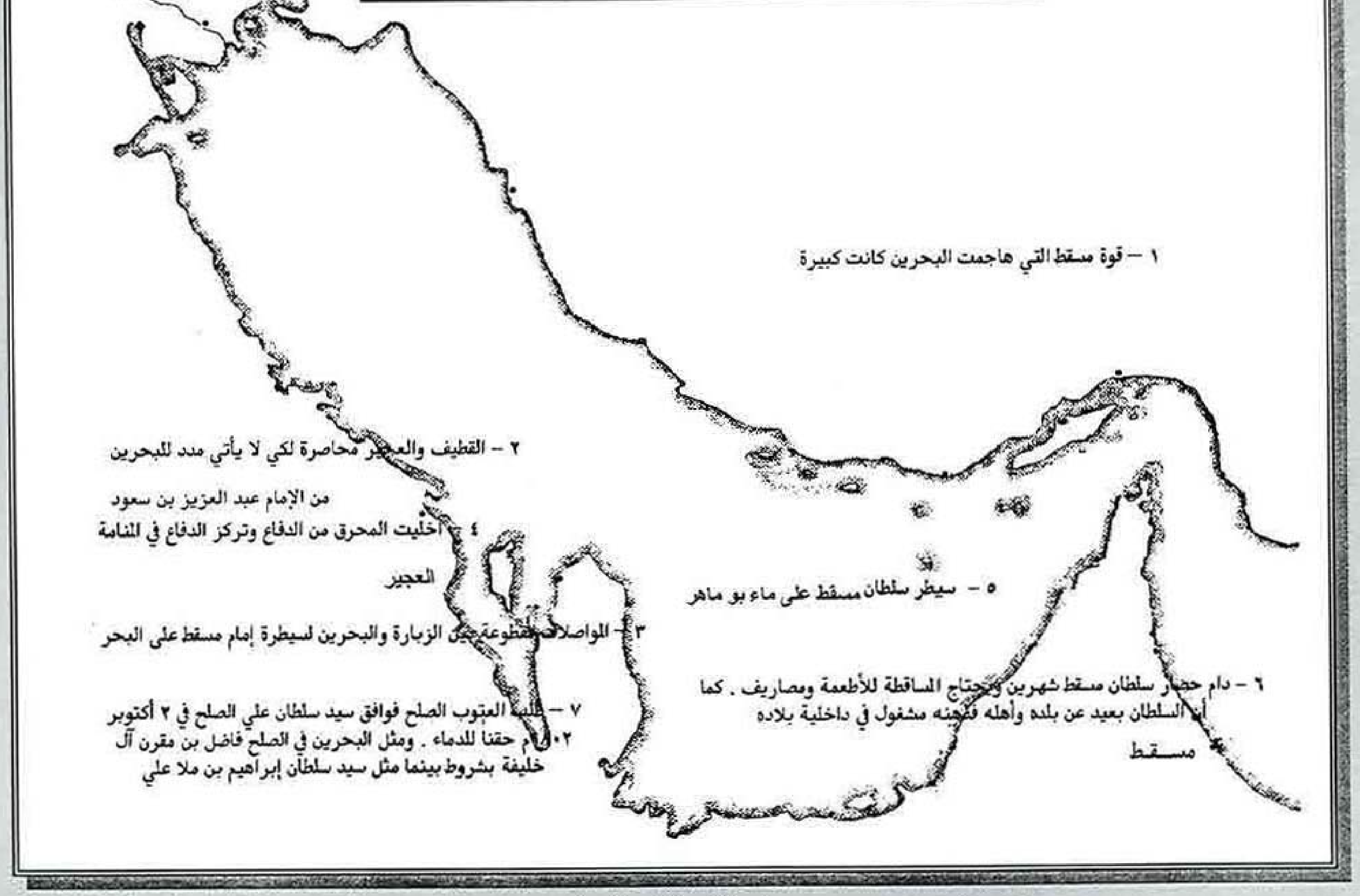
نتـــائج معـــركة الزبـــارة



أسباب فشل معركة (نصر آل مذكور) في الزبارة

١ – حدثت على تلال الرمال التي ألفها العتوب وعرفوا مسالكها خارج سور القلعة
٢ – العدو يحارب في البحر
٣ – وجود القلعة وحولها خندق ماء وقناة تربطها بالبحر طولها فرسخ ونصف (الفرسخ ٥ كيلومترات) وحول القناة والخندق حصون وأبراج للدفاع عنها .
٤ – تسرب أسرار الحرب لآل خليفة وذلك من أتباع نصر حول (السلاح والعتاد والطعام والماء) .
٥ – بُعد مراكز تموين جيش نصر بعشرات الكيلومترات وقربها بالنسبة لآل خليفة
٦ – استماتة جيش أهل الزبارة خوفاً على نسائهم وأطفالهم .
٧ – نزل العدو أثناء اكتمال المد وانهزم وقت الجزر فلم تتحرك سفنهم .
٨ – الهجوم المضاد من أهالي الزبارة وفريحة وفيها آل بنعلي أخوال القائد أحمد آل خليفة
٩ – فشل المفاوضات من توسط ميرغني حاكم بندريج، وتوسط الشيخ راشد بن رحمة القاسمي شيخ جلفار
١٠ – اختيار نصر آل مذكور وقت المعركة حين صلاة الجمعة، وهذا الوقت مناسب لاجتماع أهل الزبارة وأهل فريحة من البنعلي .

تغلب حاكم مسقط على البحرين ١٢١٥هـ/١٨٠٠ – ١٨٠١م



لذا فقد الجند أهم عوامل النصر في المعركة . فالمعنويات لدى (العتوب) ومن والاهم من قبائل قطر معنويات عالية حيث يقاتلون للدفاع عن بلادهم ثم لتحرير بلادهم العربية البحرين، ويحامون عن مكرماتهم، مؤمنين بعقيدتهم لأنهم على حق ويقاتلون من جاء يقاتلهم في ديارهم وهم على باطل . فإما النصر أو الشهادة . فزادت تلك المعنويات قوة إلى قوة عددهم . بينما جاء جند نصر آل مذكــور تدفعهم الماديات . وليس أدل على ذلك من إرسال الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة الوفود لمفاوضة عدوه وقد عرض عليه أهدافه النبيلة . بينما أجاب العدو بأنه جاء لقتالهم وقتلهم وقتل نسائهم وأطفالهم . ومن هنا فقد جند العدو المعركة النفسيه بينما ارتفعت معنويات جند المدافعين عن بلادهم الزباره وعن أهليهم وأموالهم . ونظراً لعرض القيادة الحكيمة على العدو التفاوض السلمي دون الحرب ورفض العدو ذلك، فكان له كبير الأثر في تسيير التعبئة وتوجيه المعركة التوجيه المناسب . وفي نفس الوقت كانت القيادة توهم العدو بكثرة جنده وبضخامة تجهيزاته ومئونته، إذ كانت القيادة ترسل الجمال محملة بالحطب أو نحوه عند غروب الشمس وعلى بعد يسير من سفن العدو .

الدروس المستفادة :

إن السهولة في الاستيلاء على البحرين من قبل سلطان عمان تبرز الدروس التالية :

١ - **توخي الهدف** : تكررت محاولات سلطان عمان في التعرض للبحرين حتى نجح في الجولة الثالثة وتمت السيطرة عليها . وقد دامت هذه المحاولات أكثر من ثلاث سنوات . ولم يحد عن هذا الهدف نظرا لأهمية البحرين الواقعة في منتصف الخليج . وقد هيأت الظروف السائدة في المنطقة مثل توزيع آل خليفة لقواتهم بين البحرين والزبارة . وتهديد السلفيين . وتحالف سلطان بن أحمد مع الإنكليز . هذه العوامل هيأت الفرصة لسلطان عمان للتحرش بالبحرين والإسراع في ضمها .

٢ - **الحرب النفسية وتخريب إرادة القتال** : قام سلطان عمان بتنفيذ مدبر هادئ وطويل لحرب نفسية بين سكان البحرين لمدة تزيد على ثلاث سنوات، وذلك عن

طريق استغلال العناصر المناوئة للشيخ سلمان . وهذا يؤكد مدى فاعلية عمليات الحرب النفسية وأعمال الطابور الخامس التي توصلت إلى نتائج حاسمة دون قتال . وقد طبق الألمان مثل هذه العمليات بكفاءة نادرة قبل الحرب العالمية الثانية وأثناء سنواتها الأولى في عدد من الدول الأوروبية فاكتسحتها القوات الألمانية دون اللجوء إلى استعمال السلاح عن طريق عمليات مفاجئة خاطفة . حيث كان تخريب إرادة القتال والمعنويات في تلك الأمم قد جعلها تصاب بالشلل التام والذهول في وجه القوة الغازية .

٣ - **الاستخبارات وإعداد القوة** : لم تتوفر للشيخ سلمان ومسئولي الحكم معلومات مبكرة عما يدور في البحرين من النشاط المعادي، كما لم تتوفر معلومات عن نوايا الطامعين بالبلاد من الخارج . ولم تقدر هذه النوايا حق قدرها، وهذا ضعف في تماسك الجبهة الداخلية وجهاز الحكم، وقد أدى ضعف المعلومات كذلك إلى عدم الاستعداد لمجابهة التهديد الخارجي واتخاذ ما يلزم من تدابير لإعداد القوة والدفاع عن البلاد .

نجـــد والبحـــرين – ١٢٢٤هـ



معركة أخكيكيره

١٢٢٥هـ - ١٨١٠م

الموقف :

كان استرجاع آل خليفة للبحرين يشكل الهدف ذا الأسبقية الأولى . ولكن تحقيق ذلك لم يبعد عنهم الأخطار المحدقة في الجو السائد في منطقة الخليج . وكان أول هذه الأخطار وجود (أرحمه بن جابر) و(ابن عفيصان) في قطر على بعد بضعة أميال من سواحل البحرين، وأن أي تأخير في القضاء على أرحمه يعطيه الفرصة لتجميع القوات وربما يغرى وقوف وجود ابن عفيصان معه للحصول على قوات جديدة للانقضاض على البحرين ثانية، وكان طرد ابن عفيصان وهزيمته من البحرين يشكل ضربة معنوية له ولقواته، ويريد رد الاعتبار لشخصه ولاحت الفرصة المناسبة، لكنه تنبه لخطر جديد قادم من جحافل إبراهيم باشا وانشغل بالدفاع عن بلاده .

وعليه أصبح أمر استعادة قطر والقضاء على أرحمه وابن عفيصان هدفا أمنيا حيويا يجب تحقيقه بأسرع ما يمكن، فقام آل خليفة بإعداد العدة على جناح السرعة وهيأوا أسطولا بحريا من السفن الشراعية وأسندت قيادة هذه الحملة إلى الشيخ عبد الله بن أحمد .

مقاصد الطرفين :

كان قصد أرحمه وابن عفيصان اقتحام البحرين واستعادتها في أول فرصة وكان قصد آل خليفة مهاجمة قوات أرحمه وابن عفيصان في (لخوير) وتدميرها قبل أن تتاح لهما الفرصة لحشد قوات جديدة .

الخطة :

كانت خطة الشيخ عبد الله تقضي بمحاصرة سفن الأعداء في مرساها والاشتباك معها في مكان ضيق يمنعها من حرية الانفتاح والمناورة واعتماد عاملي السرعة والمفاجأة .

سير المعركة :

تحركت قوات آل خليفة من البحرين تحت جنح الظلام باتجاه ساحل قطر، ووصلت إلى مكان يدعى (الخوير) أمام مرسى سفن أرحمه وابن عفيصان حيث انفتحت للقتال وهي على تعبئة تامة وكانت قرب القوة بصورة مفاجئة، إذا رأى السفن تحاصره في (الخوير) وشاهد تنظيمها للقتال . فقال لصاحبه أن وضع سفن الأعداء وتعبئتها يوحيان بوجود قيادة حكيمة . وتنبأ أنها تحت قيادة الشيخ عبد الله بن أحمد، فقال ابن عفيصان متهكما : والشيخ عبد الله في الدرعية، ولكي يتأكد أرحمه من نبوءته أمر بعض أتباعه أن يأخذوا قاربا ويضعوا فيه سراجا ثم يبحروا به وراء سفن آل خليفة، ولما شاهد الشيخ عبد الله النور من عالي السفن خشى أن تكون سفن أرحمه قد أبحرت للقيام بعملية إحاطة لسفن الغزو الخليفية فأصدر أمره بالتحرك والانفتاح لمجابهة مثل هذا الاحتمال . وعندما رأى أرحمه حركة السفن أيقن أن قائدها هو عبد الله بن أحمد صاحب الدهاء والخبرة في القيادة .

أمام هذا الموقف من الحصار أصبح لا مفر من المعركة فاقلعت سفن أرحمه من مراسيها إلى عرض البحر تحت جنح الظلام استعداداً للقتال عندما يطلع النهار ومع ضوء اليوم التالي تراءى الجمعان . وعندئذ بادر أرحمه بنصيحة ابن عفيصان أن الأفضل هو تحاشي خوض المعركة مع آل خليفة نظرا لتفوق قواتهم وإحكام سيطرتها على منطقة العمليات . فاغتاظ ابن عفيصان وظن ذلك جبنا وتقاعسا من أرحمه وأمر رجلا من رهطه أن ينشد بهذا :

لا خير في رجل يجر جريـره وإذا تضـايق دربهـا خلاهـا

غضب أرحمه لقول ابن عفيصان وثارت النخوة في رأسه[٢٠] .

أصدر الشيخ عبد الله الأمر لسفنه بالهجوم والإطباق على سفن العدو، وكان نظام المعركة السائد في أمثال هذه المعارك أن تتقدم السفن الكبيرة في النسق الأول تحت إسناد نار البنادق المنصبة من السفن الخفيفه، حتى إذا اقترب الجمعان وحاذت السفن المقاتلة سفن الاعداء، سددت مقدمات السفن الهاجمة — وهي أقوى جزء في السفن — على وسط السفن المعادية وترتطم بها لإعطابها من الجانب الذي هو أضعف جزء في (السفينة) ثم يشتبك الطرفان بالقتال القريب بالأيدي بالسيوف والخناجر، وتبرز هنا ميزة مهارة قائد السفينة في تسديد ضربته لجانب السفينة المعادية[٢١].

اندفعت سفن آل خليفة باتجاه سفن الأعداء وتلاحقت بها وحمي وطيس القتال بين الطرفين ولاحقت سفينة راشد بن عبد الله سفينة أرحمه وجاء أبوه الشيخ عبد الله ولاحق سفينة ابنه راشد في الجانب الآخر واشتد الاشتباك بالبنادق والسيوف . ومن شدة إطلاق النار شب حريق في كل من سفينة أرحمه المسماة (المنوار) والسفينة التي يقودها راشد بن عبد الله الذي قتل أثناء الاشتباك، وبعد برهة من اشتعال النار في السفينتين أخذتا في الغرق، ونجت سفينة الشيخ عبد الله المسماة (الطويلة) .

اشتد ضغط آل خليفة على الأعداء الذين دب فيهم الفزع والارتباك وبدت عليهم بوادر الهزيمة، وفر كل من أرحمه وابن عفيصان على لوح من خشب السفينة المحروقة وقد أصيب أرحمه في يده اليمنى بجرح بليغ واتجها إلى البر القريب منهما، وبينما كانا عائمين ذكّر أرحمه ابن عفيصان بنصيحته منذ البداية لتجنب المعركة مع آل خليفة وهي غير مضمونة النجاح وقال له : "هل رأيت حرب العتوب ؟" ولم يحر ابن عفيصان جوابا وقد أصم هول المعركة أذنيه وعقل لسانه . وكانت خسائر الطرفين كبيرة في الأرواح . وتمكن آل خليفة من تدمير القسم الأكبر من قوات الأعداء . أخذت هذه المعركة اسم (أخكيكيره) نسبة إلى المكان الذي وقعت فيه وهو موضع في البحر على شاطئ شبه جزيرة قطر ويقع بين الزبارة والفريحة . وقد اشترك الشيخ جابر بن عبد الله بن صباح (الأول) مع ابنه الشيخ دعيج (بن جابر) في معركة أخكيكيرة بجانب آل خليفة . وكان الشيخ جابر في البحرين عند بني عمومته من آل خليفة عام ١٢٢٥هـ/١٨١٠م. وقد قتل ابنه دعيج في هذه المعركه، وظل الشيخ جابر في البحرين بين أهله وأقربائه حتى آل الأمر إليه في الحكم بوفاة والده الشيخ عبد الله عام ١٢٢٩هـ/١٨١٤م، فعاد إلى الكويت .

الدروس المستفادة :

يمكن استخلاص الدروس المستفادة التالية من معركة أخكيكيره :

التعرض والمبادأة :

تبرز هذه المعركة بوضوح أهمية تطبيق مبدئي التعرض والمبادأة والنتائج الجيدة التي يمكن تحقيقها، فاستعداد آل خليفة والتدابير السريعة لتجهيز قوة قادرة، ثم الانطلاق لضرب العدو في مواقعه قبل أن يستكمل استعداده لتنفيذ مقاصده، هيأت الظروف الملائمة لإرباكه وبالتالي الانتصار عليه . وأن تغزو عدوك في عقر داره يجعلك في وضع متميز لاختيار وقت ومكان المعركة وإملاء الإرادة عليه وتكون ردود فعل العدو محسوبة سلفا للجانب المهاجم .

القيادة :

تهيأت لقوات آل خليفة قيادة جيدة ممثلة في الشيخ عبد الله بن أحمد وما اتصف به من دهاء ومهارة في إدارة هذه المعارك البحرية . وفي الجانب المقابل كان أرحمه على جانب عظيم من المهارة والدهاء والخبرة الطويلة في الحروب . ولكن القرار هنا كان لقائدين مختلفين — أرحمه وابن عفيصان – وقد تضاربت آراؤهما في ضرورة خوض المعركة . ولاشك أن القيادة الممثلة في رجل واحد هي أقوم الأمور وخاصة في المجالات العسكرية لتحمل المسئولية في اتخاذ القرار . ولابد هنا من التنويه بالعزم والتصميم اللذين ظهرا في جانب القيادة الخليفية لتوخي الهدف وضرورة الإجهاز على قوة العدو المتربص في الخوير .

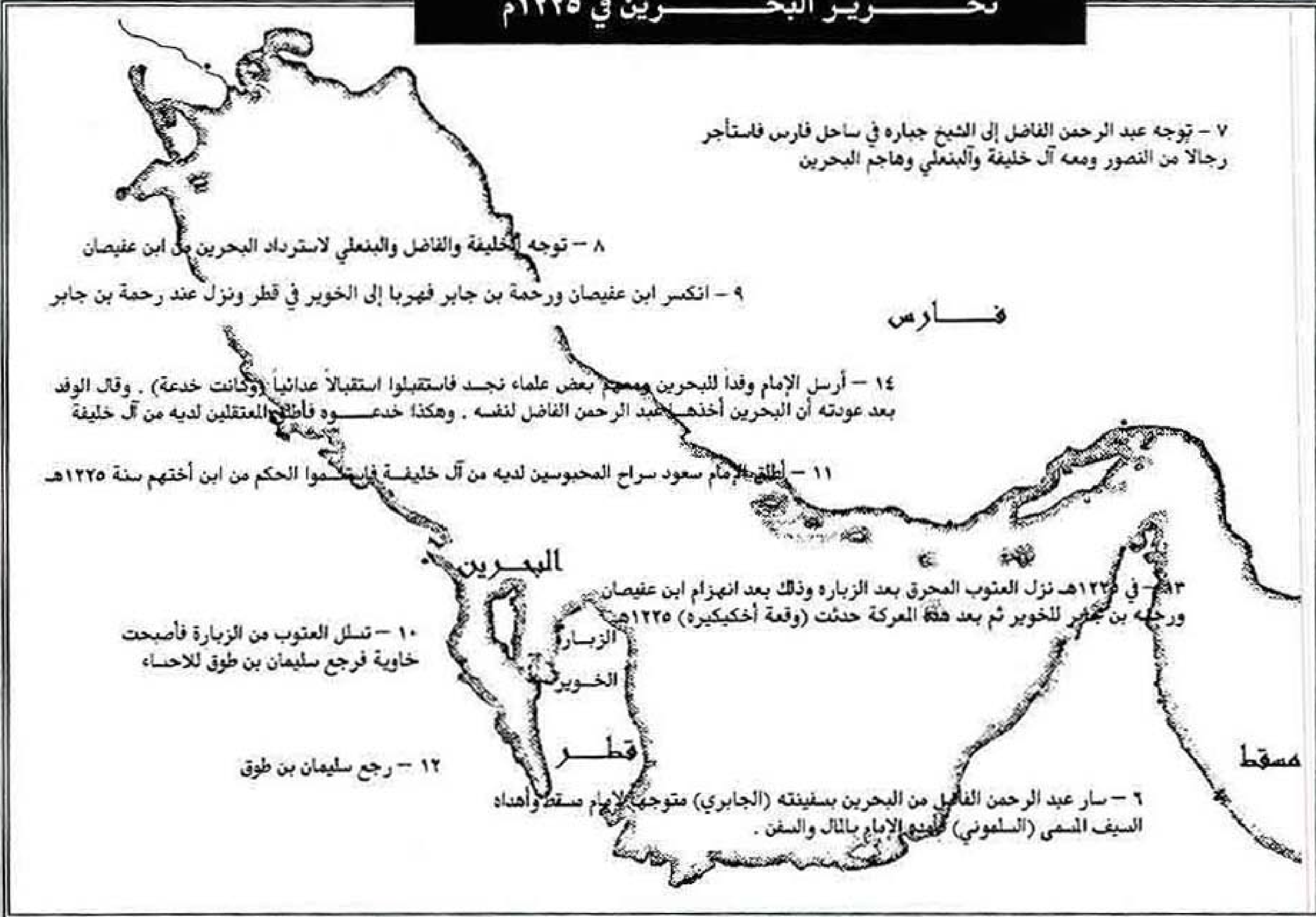
السرعة والمفاجأة :

اعتمد الشيخ عبد الله في تقربه إلى الأعداء على عاملي السرعة والمفاجأة . فكانت حركة السفن تحت جنح الظلام وكان ظهورها عند الوصول مفاجأة للعدو، ثم كانت هناك مفاجأة أخرى في حجم القوة المنفتحةمما أثار الرهبة في نفس أرحمه ونصح ابن عفيصان بتحاشي خوض معركة غير متكافئة . وهذه أول مظاهر الخلل النفسي في القيادة المقابلة، وقد برزت السرعة في الحركة إلى ساحل قطر وأثناء عملية انفتاح قوات آل خليفة وإدارة المعركة في المكان المنتخب[٢٢] .

وقعـــة أخكيكيـــره – ١٢٢٥م



تحرير البحرين في ١٢٢٥م



معركة سترة

١٢٣٠هـ ، ١٨١٦م

الموقف العام :

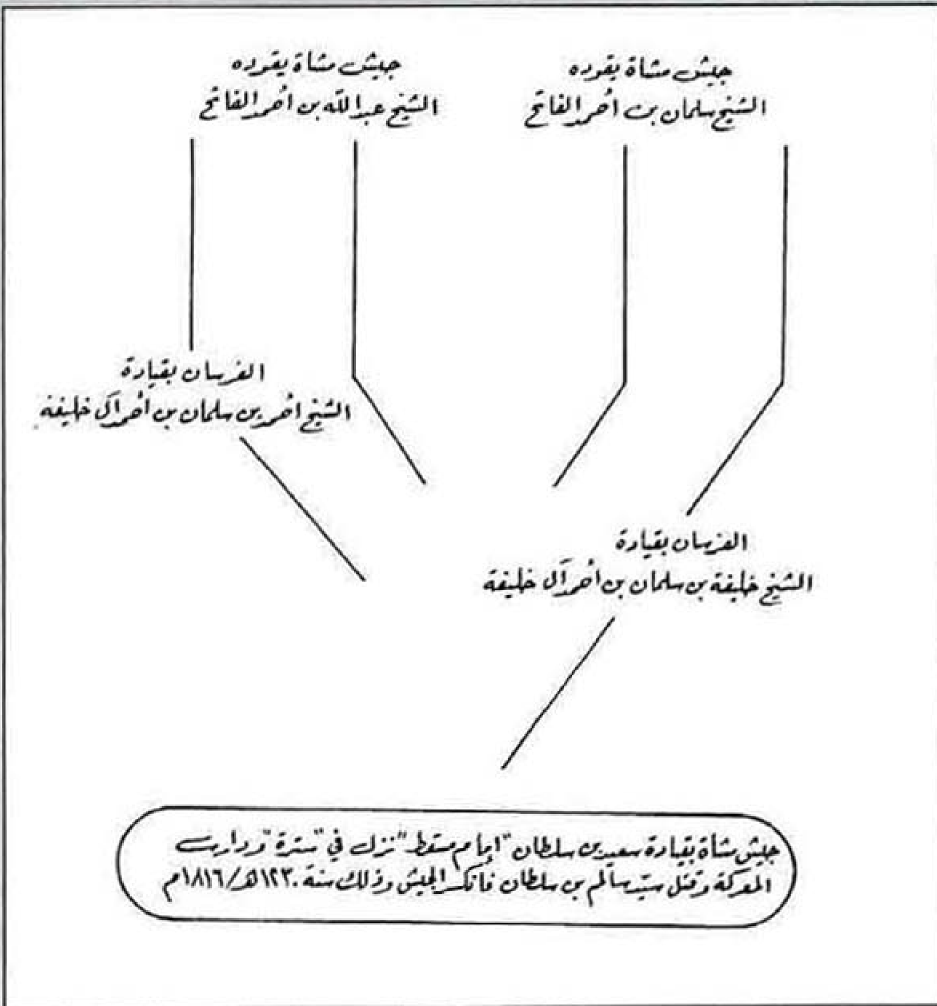
إن فشل أرحمه بن جابر الجلاهمة في معركة أخكيكيره زاد من كوامن الحسد والبغضاء في نفسه لأخذ الثأر . وأخذ يبحث عن السبل الكفيلة للوصول إلى ذلك أينما وجدت، وخاصة عند أعدائهم، نظراً لعجزه عن مناجزتهم بالقوة بمن يلتف حوله من رجاله، فسافر إلى مسقط يطلب مساعدة حاكمها (سعيد بن سلطان) ويعرض عليه التحالف والعمل سوية لتوجيه الضربة إلى البحرين . واتفق الطرفان على خطة عمل وبدأت تدابير الاستعداد وحشد القوة اللازمة .

وبينما كانت الاستعدادات جارية في مسقط لاحت فرصة للابتزاز والتهديد حينما رست قافلة سفن من تجار البحرين في مياه مسقط وهم في طريقهم إلى الهند جاءوا لميناء مسقط للتزود بالماء والمؤن اللازمة لسفرهم . وكان من بينهم كل من (عبدالرحمن بن راشد آل فاضل) و(محمد بن مقرن بن محمد آل خليفة) و(محمد بن صقر المعاودة) و(سيار بن قاسم المعاودة) . فقبض عليهم (سيد سعيد) وأودعهم السجن في قلعة (برج موزه الجلالي) وفيها إذ ذاك أخته (موزة بنت سلطان) . وبعد هذا الإجراء كتب السلطان إلى أهل البحرين طالبا الدخول في طاعته وإرسال الخراج إليه .

علم التجار المسجونون بنوايا سلطان مسقط وكتبوا سراً إلى أهلهم برفض طلبه وأن يجيبوه بقتلهم لأنهم سمو أبناءهم بأسمائهم وهم في غنى عنهم . فكان رد آل خليفة على هذا الأساس، مما جعل سيد سعيد بن سلطان يقرر مهاجمة البحرين بالقوة للسيطرة عليها .

الموقف الخاص :

قام سيد سعيد بتجهيز حملة بحرية قادها بنفسه يصحبه أرحمه بن جابر واتجه إلى البحرين حيث رست السفن أمام جزيرة (سترة) ونزلت القوات إلى البر وانفتحت تأهبا للقتال، ولم تحاول التقدم بانتظار ظهور القوات المدافعة عن البحرين لخوض المعركة



المصدر : الضوء الأول صفحة ٨٧

هناك حتى لا تبتعد قواته عن قاعدتها المتمثلة بالسفن الراسية مقابل سترة، وبعد المعركة الأولى يتقرر تطوير العمليات حسب ظروف الموقف .

أما في جانب آل خليفة فقد تمت تعبئة القوات من سكان البحرين وحشدها في جزيرة المنامة التي لايفصلها عن جزيرة سترة سوى مخاضة يسهل على الرجل خوضها . وتألفت القوات من المشاة والفرسان وخلفها عمق من الأرض حتى المنامة وفيها قاعدتها الرئيسية . قاد الشيخ سلمان القوات واتخذ تدابير تستر واختفاء بين أشجار النخيل ليمنع رصد العدو لقواته .

طبيعة الأرض :

كان المكان الذي انفتحت فيه قوات سيد سعيد في سترة مكسوا بغابات من النخيل تحيطها سواحل ضحلة تبرز على أشدها وقت الجزر ما جعل سيد سعيد أن يجعل مرسى سفنه بعيدة نسبيا عن قواته في عرض البحر . وكانت ساحة العمليات تحددها طبيعة الأرض وكثرة أشجار النخيل لكلا الطرفين .

الخطة :

كانت خطة (سيد سعيد) تتلخص في خوض المعركة الفاصلة وقواته في مواضع نزولها حتى لا تبتعد عن قاعدتها المثلة في السفن قبالة الشاطئ، واتخذ تدابير انفتاح القوات على شكل دفاعي بانتظار تقرب القوات المعادية .

أما خطة الشيخ سلمان فكانت تتلخص في مهاجمة قوات العدو ودفعها إلى البحر وإذا تعذر ذلك وخسر المعركة ينسحب بقواته إلى المنامة وإقامة دفاعاته على سواحلها . وقد رتب الشيخ سلمان قواته لخوض المعركة في ثلاث مجموعات :

١ – مجموعة المشاة الرئيسية في الوسط واتخذ مقره فيها ومعه أخوه الشيخ عبد الله بن أحمد .

٢ – مجموعة من الفرسان على اليمين .

٣ - ومجموعة من الفرسان على اليسار، وأوكل قيادة كل مجموعة فرسان إلى أحد أبنائه وهما خليفة بن سلمان وأحمد بن سلمان . وعند اقتراب القوات إلى مسافة الالتحام تقوم مجموعتا الفرسان بحركة سريعة في عملية التفاف للإحاطة بقوات سلطان عمان وعندئذ يسهل تدميرها، بينما تقوم قوات المشاة في الوسط باقتحام مواضع العدو في المواجهة .

وبنظرة مقارنة بين الخطتين نجد أن خطة سلطان عمان دفاعية ومقيدة بحكم الموقع وضرورة عدم الابتعاد عن السفن وهي قاعدتها، ويفتقر جيشه إلى الفرسان وهي عنصر الحركة السريعة والحسم في القتال .

أما خطة الشيخ سلمان فكانت هجومية تتصف بالمرونة لمجابهة تطورات الموقف، ولديه ميزة وجود الفرسان، وعمق الأرض الخلفية، والقاعدة المؤمنة للقوات .

<u>العمليات الهجومية والدفاعية</u> :

جاء سيد سعيد بقواته إلى البحرين متعرضا ومهاجما لإخضاعها لسيطرته، ولكنه التزم الدفاع المستكن في موقع معين على الشاطئ حتى لا يبتعد عن السفن . وهذا التدبير كان وبالاً عليه حيث ترك لآل خليفة حرية إتمام حشد القوة والمناورة واتخاذ كافة التدابير في عمق من الأرض يسمح لهم بذلك، وبالتالي اختيار وقت الهجوم في الوقت الملائم . ولو قام السيد سعيد بمهاجمة الأهداف الرئيسية فور نزول قواته وأدام التعرض وحرية الحركة فربما اتخذت النتائج شكلا آخر .

<u>الخطة</u> :

البساطة والمرونة من مستلزمات الخطة لأي موقف، وكانت خطة سيد سعيد مقيدة بضرورات الموقع ولم تحسب حسابا للميزات المتوفرة في جانب آل خليفة والتفكير فيها ومعالجتها فكانت الخطة قاصرة عن مجابهة احتمالات الموقف المتعددة . أما خطة

الشيخ سلمان فقد راعت جميع احتمالات الموقف وتطوراته ووضع الحلول لمثل تلك الاحتمالات، فكانت مرنة جدا وجريئة وعملية . وهكذا تفوق التخطيط الجيد المرن على التخطيط المقيد نتيجة قصر النظر .

المناورة على الأجنحة والتطويق :

عمليات المناورة على أجنحة العدو التي يتبعها عملية تطويق سواء أكان مفردا أم مزدوجا – من جناح واحد أو من جناحين – هي من أهم ظواهر الفكر العسكري للحصول على نتائج حاسمة وسريعة على العدو . وقد كانت معركة (كانيا) سنة ٢١٦ قبل الميلاد التي خاضها (هانيبال) ضد جيوش روما عملية تطويق مزدوج بمجموعتي فرسان التفت على الأجنحة ودمر جيوش روما المتفوقه، وبقيت هذه المعركة كدرس عظيم في التاريخ العسكري لايتغير، واستمر كبار قادة الجيش الألماني الحديث منذ مطلع القرن الحالي يشددون في تعليماتهم لضباطهم على القيام بمثل هذه العملية في أي مكان يسمح فيه الموقف بذلك .

وقد كانت مناورة فرسان الشيخ سلمان وعملية التطويق لقوات السيد سعيد مثلا رائعا على براعة القيادة وهكذا حققت نتائج حاسمة في وقت قصير وبخسائر قليلة . وقد ساعد على ذلك توفر قوات الفرسان لديهم وكان السيد سعيد يفتقر إلى مثل هذه القوات .

التستر والمخادعة :

اتخذ الشيخ سلمان تدابير التستر والمخادعة بحجب قواته عن العدو لمدة ثلاثة أيام حتى تتهيأ بين أشجار النخيل، ويعتقد أنه حشد قوة تتفوق على عدوه، وهذا ضعف بين في الاستخبارات والمعلومات والاستطلاع في جانب سيد سعيد الذي لم يكن يعرف ماذا يجري في الجانب الاخر من تدابير، وهذه التدابير بمجموعها كانت سببا في المفاجأة التي أربكت قواته .

وفاة الشيخ سلمان :

توفي الشيخ سلمان بن احمد آل خليفة عام ١٢٣٦هـ/١٨٢١م وله من العمر خمسة وثمانون عاما، ودام حكمه سبعة وعشرين عاما قضاها في حروب لا تكاد تنقطع لفترات قصيرة ثم تبدأ من جديد، ولكنه تمكن في النهاية من المحافظة على حكم آل خليفة في البحرين وقطر . وبعد وفاته خلفه أخوه الشيخ عبد الله بن أحمد وهو الحاكم الثالث من آل خليفة في البحرين[٢٣] .

الدكتور علي أباحسين

معركة المقطع – ١٢٣٠هـ/١٨١٤م



وصف المعركة

وصلت حملة مسقط . أما الدفاع فقد تم بردم مدخل (خور القليعة) بالحجارة وإغراق السفن في المدخل عند (الساية) فتوجه سلطان مسقط ونزل (سترة) لأنه وجد مدخل (خور القليعة) مغلقا بالحجارة .

وتوزع جيش البحرين إلى فرق : الأولى يقودها الشيخ عبد الله بن أحمد في (المنامة) في قرية (جد علي) وسط النخيل، والثانية الفرسان ويقودها الشيخ سلمان بن أحمد في (الرفاع) وقد كملت في (الناصفة) .

وبقيت القوات ثلاثة أيام بدون تعرض مما ضايق المسقطيين فطلب السلطان من رحمة التعرض فأبى وقال له : أين عتوبك ؟ فأجابه رحمة : ماتوا . ثم انسحب رحمه من سترة مستهدفا الالتفاف حول (المحرق) فيهاجم المنامة وينهبها . ولكن ريح الشمال أجبرته على التأخر . أما السلطان فقد نزل أثناء الجزر إلى (العكر) ففوجئ بفرسان يهجمون على رجاله وقد خرجت من النخيل مع المشاة (بالمعامير) فانسحب السلطان إلى (واديان) وانهزمت قواته للسفن فوجدتها في فترة (الجزر) وغرق وقتل الكثير من جند السلطان بينما هرب السلطان . وعلم رحمه فانهزم هو الآخر .

ساحة المعركة

المشاة بالطبول لجيش البحرين يقودها الشيخ عبد الله من المنامة للتستر بالنخيل في (جد علي) . الفرسان يقودهم الشيخ خليفة بن سلمان بن أحمد في المعامير (جسر سترة اليوم) خلف سعيد بن سلطان . فرقة يقودها الشيخ سلمان بن أحمد من الرفاع .

١ – جهز إمام مسقط السلطان سعيد ثلاث سفن من بوشهر بأمر من حاكم شيراز وسفن من (كنكون) و (عسيلوه) مع قوات رحمه واتجهوا للبحرين . وقال السيد سعيد لرحمه : أين عتوبك ؟ أجابه رحمه : يجهزون عشاءك . وهنا اختلت الثقة بينهما واتجه رحمه شمالاً للمنامة وأخذ يجاوش (يراوغ) فتأخر عن السلطان أربعة أيام لمواجهتهم الريح . نزل السلطان (العكر) ثم انهزم . ومن خلف السلطان سعيد الفرسان في (المعامير) فانسحب السلطان إلى (كرزكان والنبيه) حيث فر بعد أن قتل أخوه سالم وانسحب بسفينته إلى مسقط .

٢ – هم السلطان بقتل المحتجزين فمنعته أخته (موزة) ثم ذهب إلى قيس استعداداً لحملة أخرى .

الخسائر :

١ – هزيمة سلطان مسقط ورحمة بن جابر .

٢ – مقتل أخي السلطان سعيد واسمه (سالم) .

٣ – مقتل قاسم بن درباس من البنعلي .

٤ – مقتل محمد بن إبراهيم آل خليفة .

٥ – مقتل أحد أبناء الشيخ عبد الله بن أحمد .

وكان موقف السلطان في قيس :

١ – سياسة الإنجليز ضرب القوى في الخليج بعضهم ببعض حسب سياسة (بروس) .

٢ – الإيرانيون ينوون القبض على السلطان وسجنه في شيراز .

٣ – تهجير إبراهيم بن محمد علي الدرعية في ١٤ سبتمبر ١٨١٨م – الموافق ١٢٣٣هـ وقضى على الدولة السعودية الأولى في ١٠ يوليو ١٨١٩م .

٤ – وصول وفد البحرين برئاسة الطبطباني وحمد بن عبد الله بن أحمد طالبا الصلح مقابل مال وفدية لأخيه (سالم) . وإطلاق سراح المعتقلين البحرينيين في الجلالي .

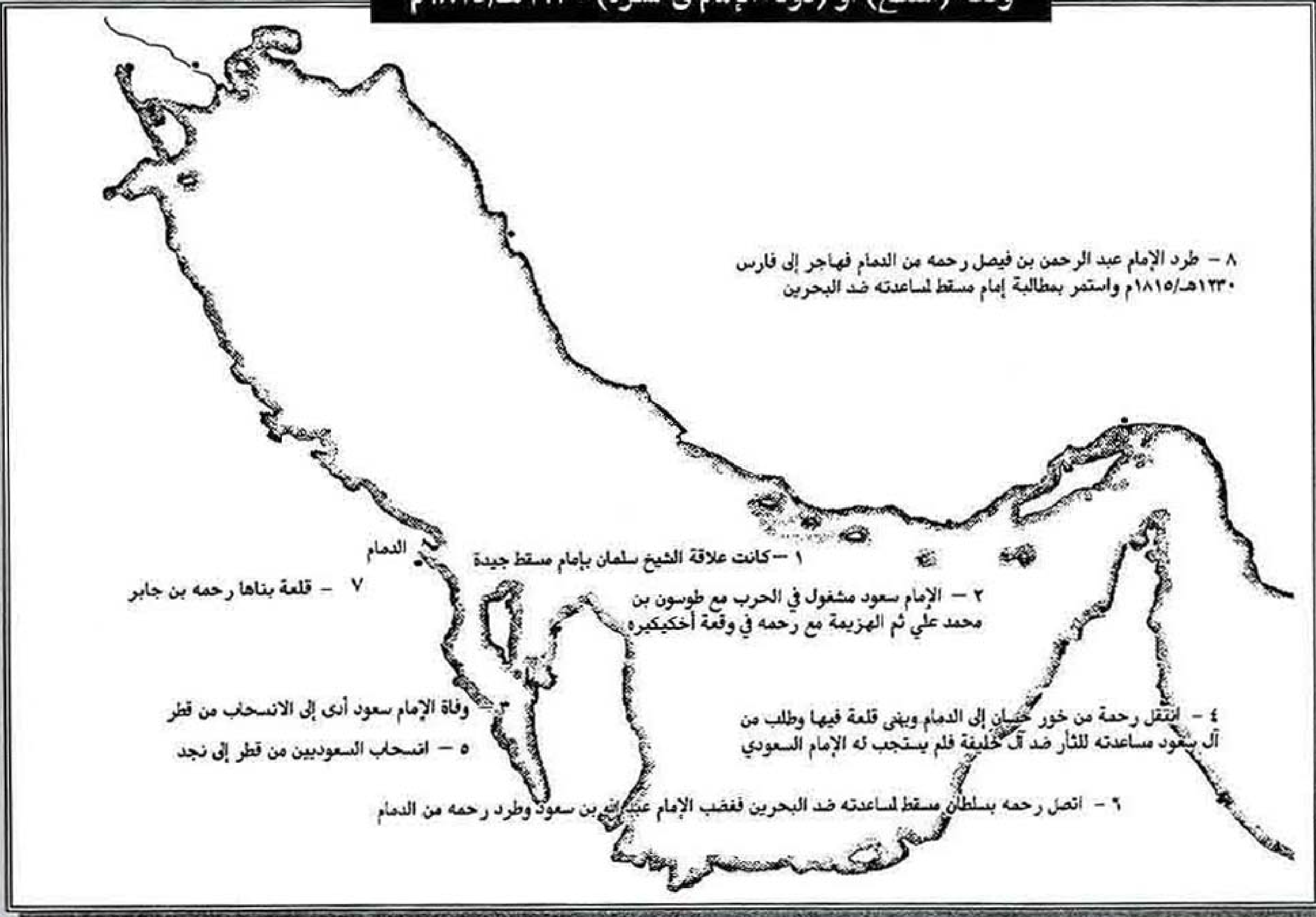
فوافق سلطان مسقط .

النتائج :

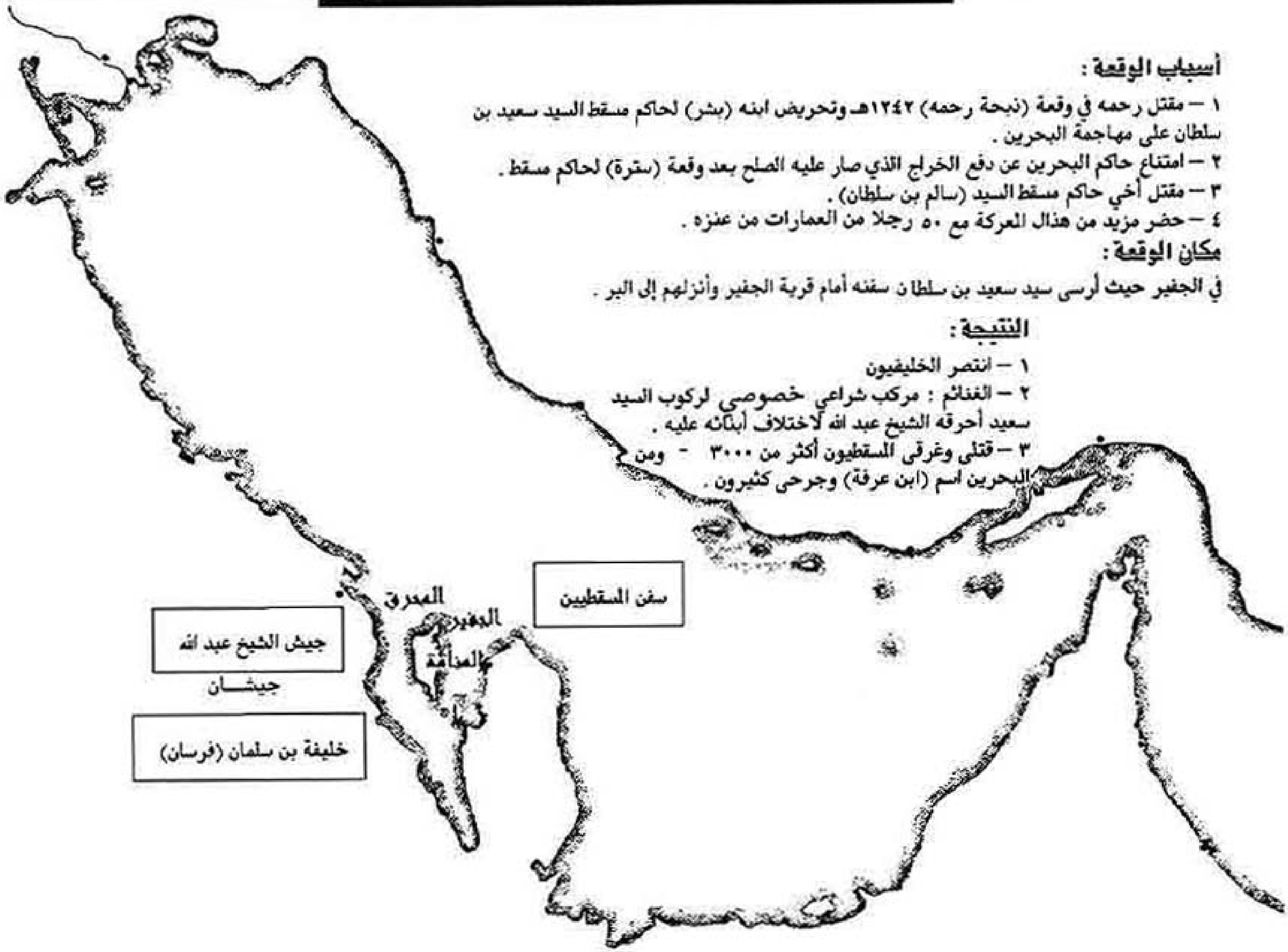
١ – همُ سلطان مسقط بقتل المعتقلين .

٢ – اتجه إلى (قيس) استعدادا لحملة أخرى

وقعة (المقطع) أو (دولة الإمام في سترة) ١٢٣٠هـ/١٨١٥م



وقعة قزقز ١٢٤٤هـ - أرخوها (بالله سعيد غلب)



أسباب الوقعة :

١ – مقتل رحمه في وقعة (ذبحة رحمه) ١٢٤٢هـ وتحريض ابنه (بشر) لحاكم مسقط السيد سعيد بن سلطان على مهاجمة البحرين .

٢ – امتناع حاكم البحرين عن دفع الخراج الذي صار عليه الصلح بعد وقعة (سترة) لحاكم مسقط .

٣ – مقتل أخي حاكم مسقط السيد (سالم بن سلطان) .

٤ – حضر مزيد من هذال المعركة مع ٥٠ رجلا من العمارات من عنزه .

مكان الوقعة :

في الجفير حيث أرسى سيد سعيد بن سلطان سفنه أمام قرية الجفير وأنزلهم إلى البر .

النتيجة :

١ – انتصر الخليفيون

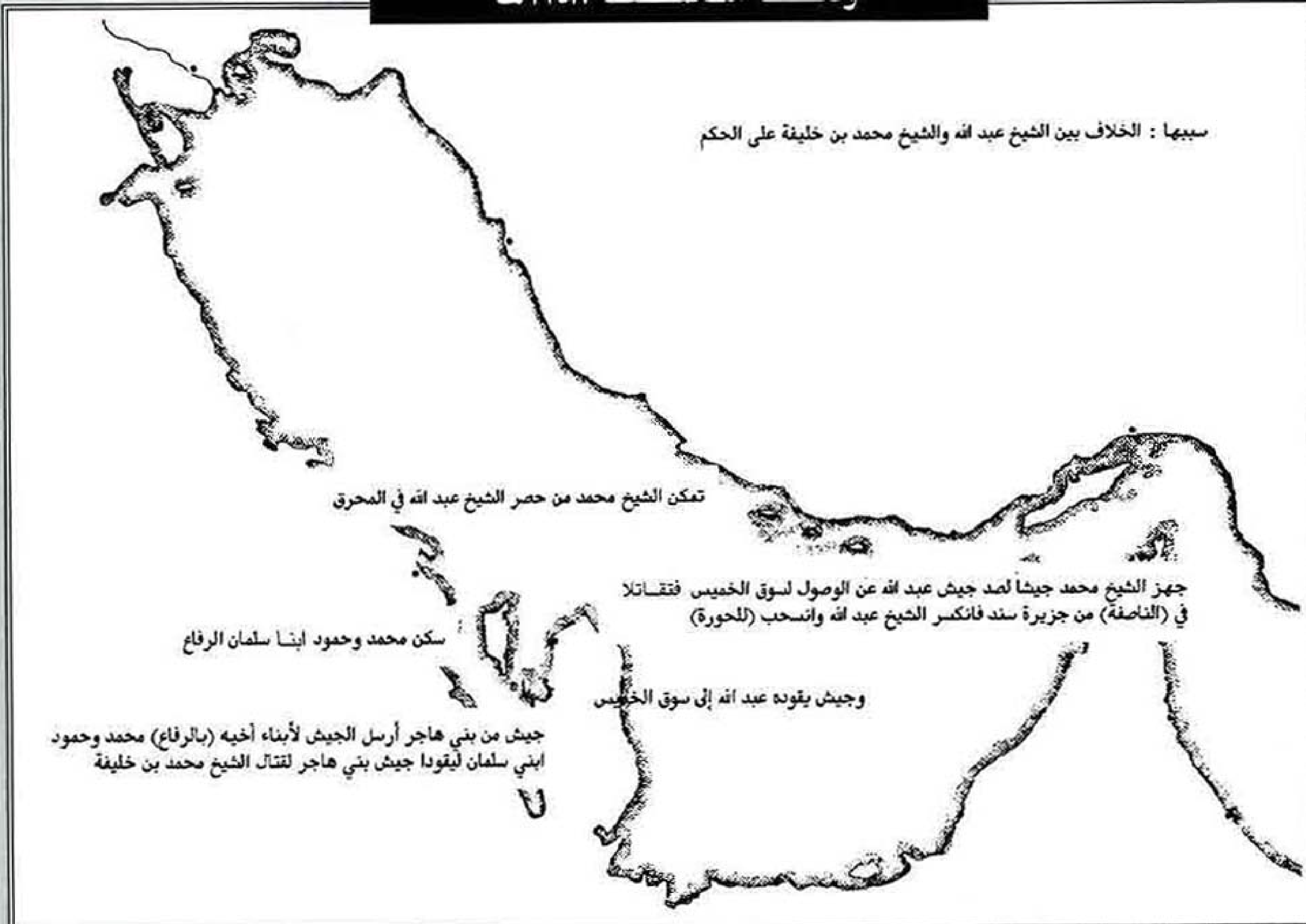
٢ – الغنائم : مركب شراعي خصوصي لركوب السيد سعيد أحرقه الشيخ عبد الله لاختلاف أبنائه عليه .

٣ – قتلى وغرقى المسقطيون أكثر من ٣٠٠٠ - ومن البحرين اسم (ابن عرقة) وجرحى كثيرون .

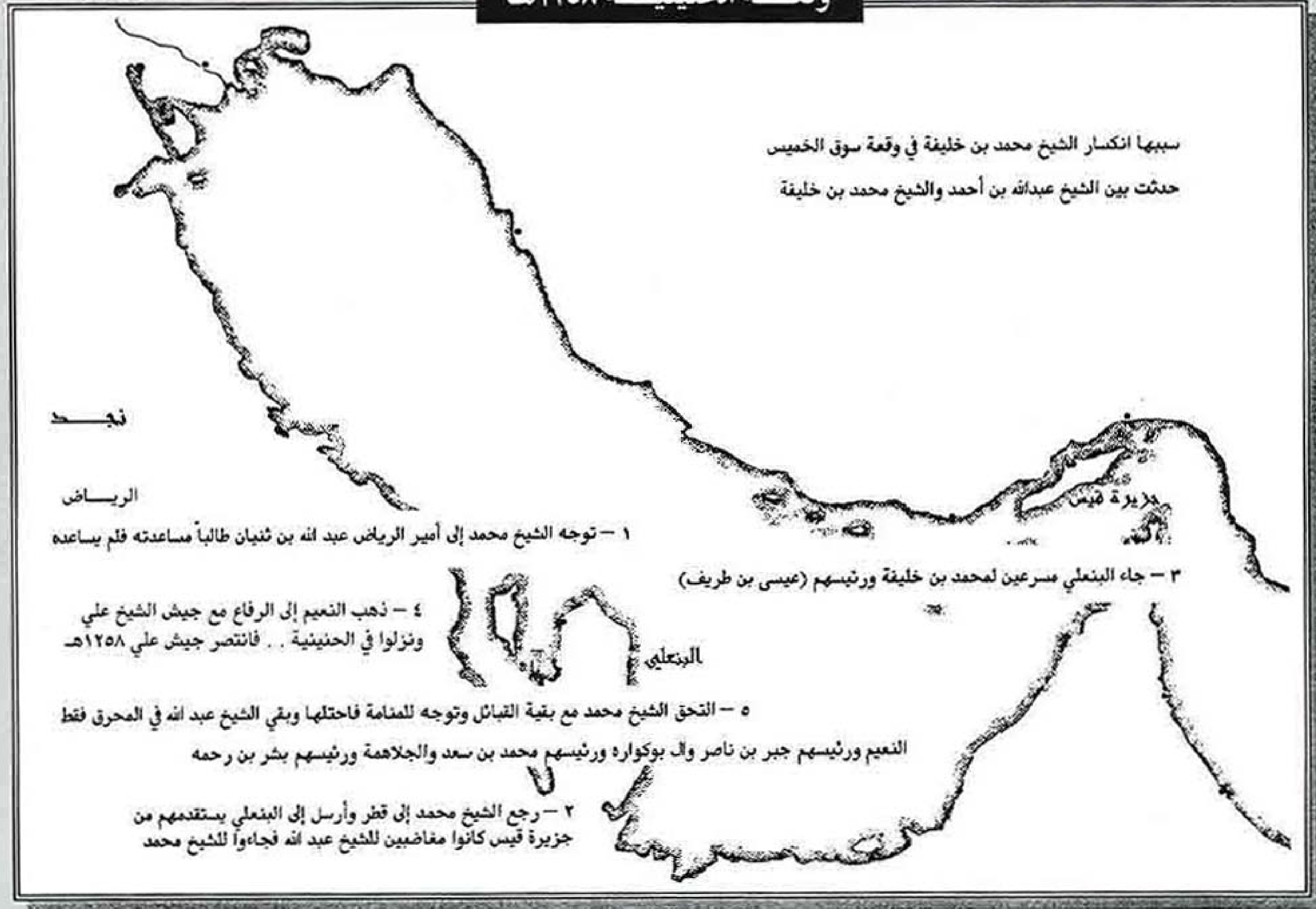
وقعة (سيهات) وهي (حرب القطيف) ١٢٤٩هـ



وقعة الناصفة ١٢٥٨هـ



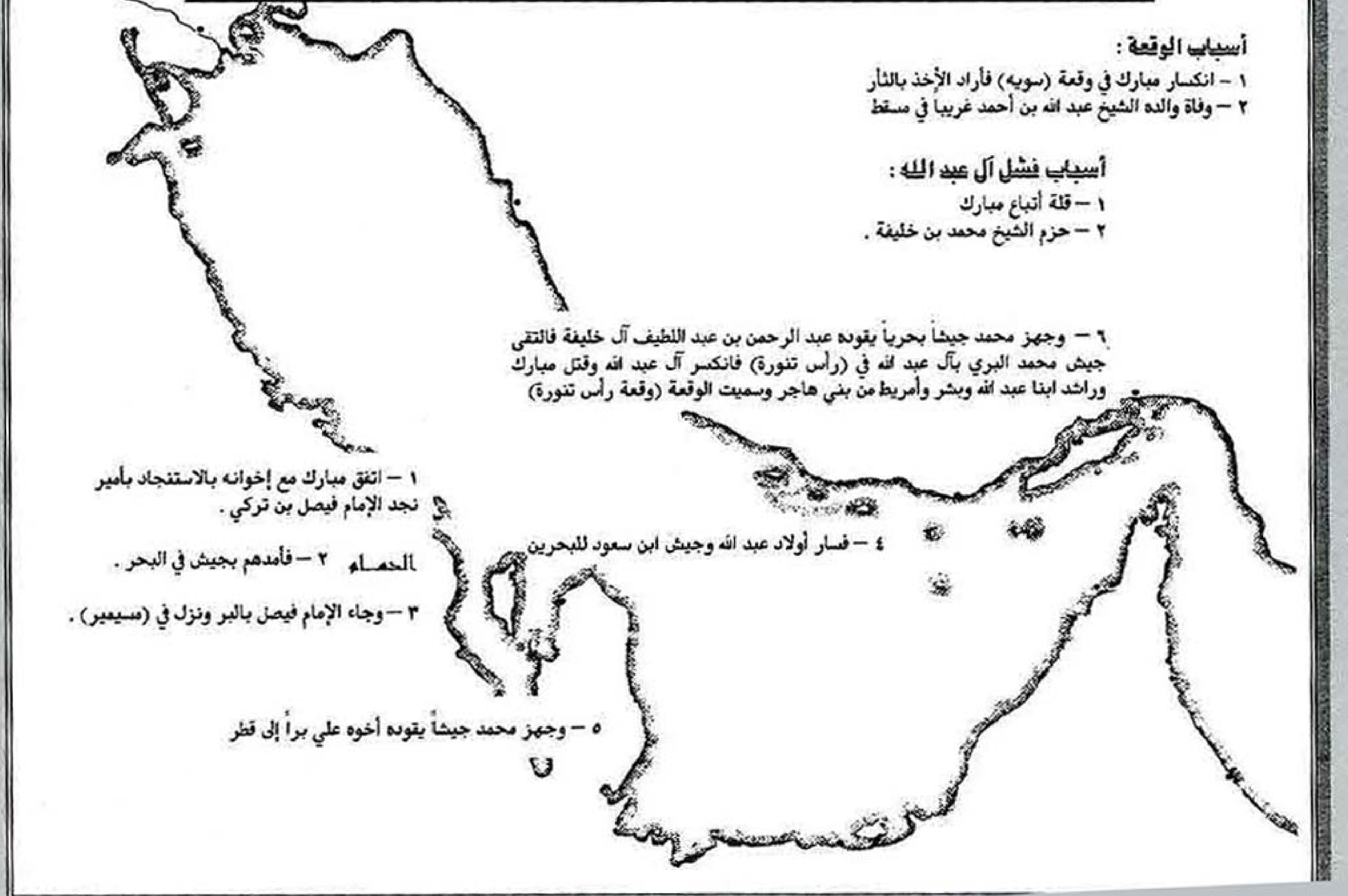
وقعة الحنينية ١٢٥٨هـ



وقعة (أم سوية) وقتل عيسى بن طريف وهو (خرّاب الدوحة الأول) ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م



وقعة (تنورة) ووصول الإمام فيصل بن تركى إلى (مسيمير) عام ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م



وقعة الدولاب ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م وأرخت بلفظ (خرعت)



كتمان السر :

انقطعت السفن القطرية فظن الشيخ علي أنها (مكيدة) من آل عبد الله فاتفق مع أخيه الشيخ محمد على إطلاق مدفعين ليخبر أخاه إذا ما وصلوا للمنامة (وهذه الإشارة هي كلمة السر) .

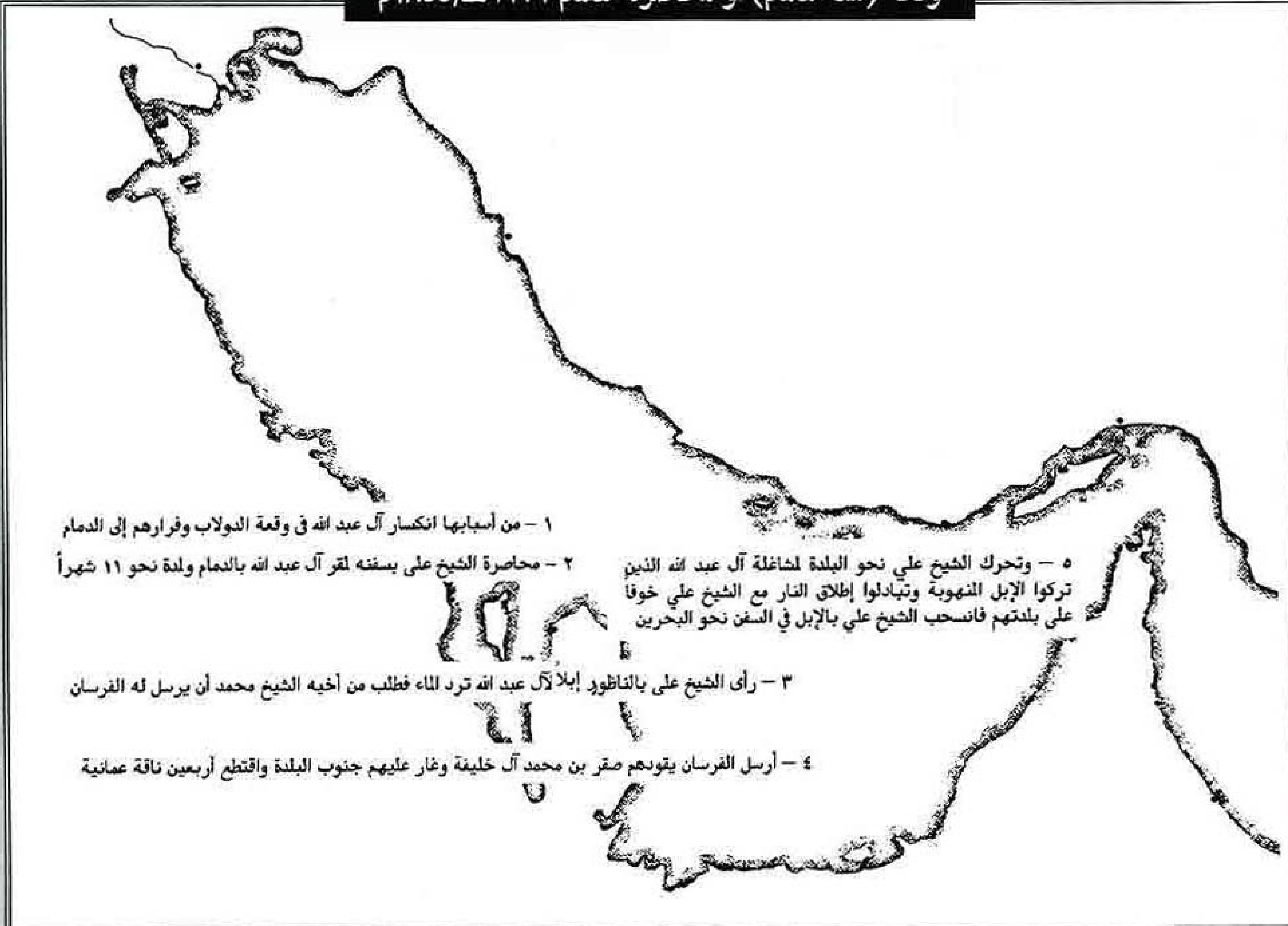
فوجئ الشيخ عبد الله بمجيء الفرسان وكان يظن أن أهل البلدة (البحرين) في الغوص . وهي خاوية في فصل الربيع ففر الأعداء لسفنهم وهذا هو عنصر (المفاجأة) بالمعركة .

وكذا حنكة وبسالة القيادة من الشيخ علي ومن معه ومنهم الشيخ سالم بن درويش رئيس (المنانعة)

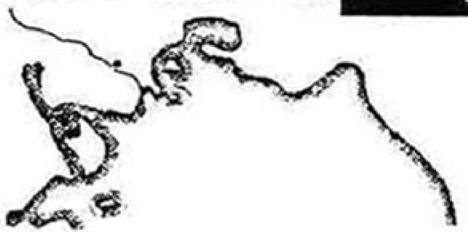
وقعة المحرق أو وقعة (الساية) ١٢٥٨هـ



وقعة (شد الدمام) أو محاصرة الدمام ١٢٧١هـ/١٨٥٥م



وقعة (الوكرة) ١٢٨٣هـ والحمرور



أسباب وقعة الوكرة :

١ – طلب الشيخ قاسم آل ثاني أن يطلق سراح علي بن ثامر النعيمي .
٢ – أن يعزل الشيخ محمد عامله الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن سلمان آل خليفة .
٣ – أغلظ الشيخ قاسم القول للشيخ محمد بن خليفة .

نتائجها :

أرسل الشيخ محمد جيشاً بقيادة أخيه الشيخ علي فنزل في بر (أبو عمران) ووصلوا (الدوحة) ووضعوا السيوف فيهم فانهزموا و (خربت الدوحة) ١٢٨٣هـ وسميت الوقعة (الخراب الثاني) . أما الأول ففي عام ١٢٦١هـ في مقتل عيسى بن طريف البنعلي .



١ – حينما كان الشيخ محمد بن خليفة حاجاً، عصى أهل قطر عامله في (الوكره) الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن سلمان

٢ – أمر الشيخ محمد عامله الشيخ أحمد بأن يقبض على (علي بن ثامر النعيمي) فسجنه .

٣ – استنجد قومه بقاسم آل ثاني فأنجدهم وسار معهم إلى الوكرة .

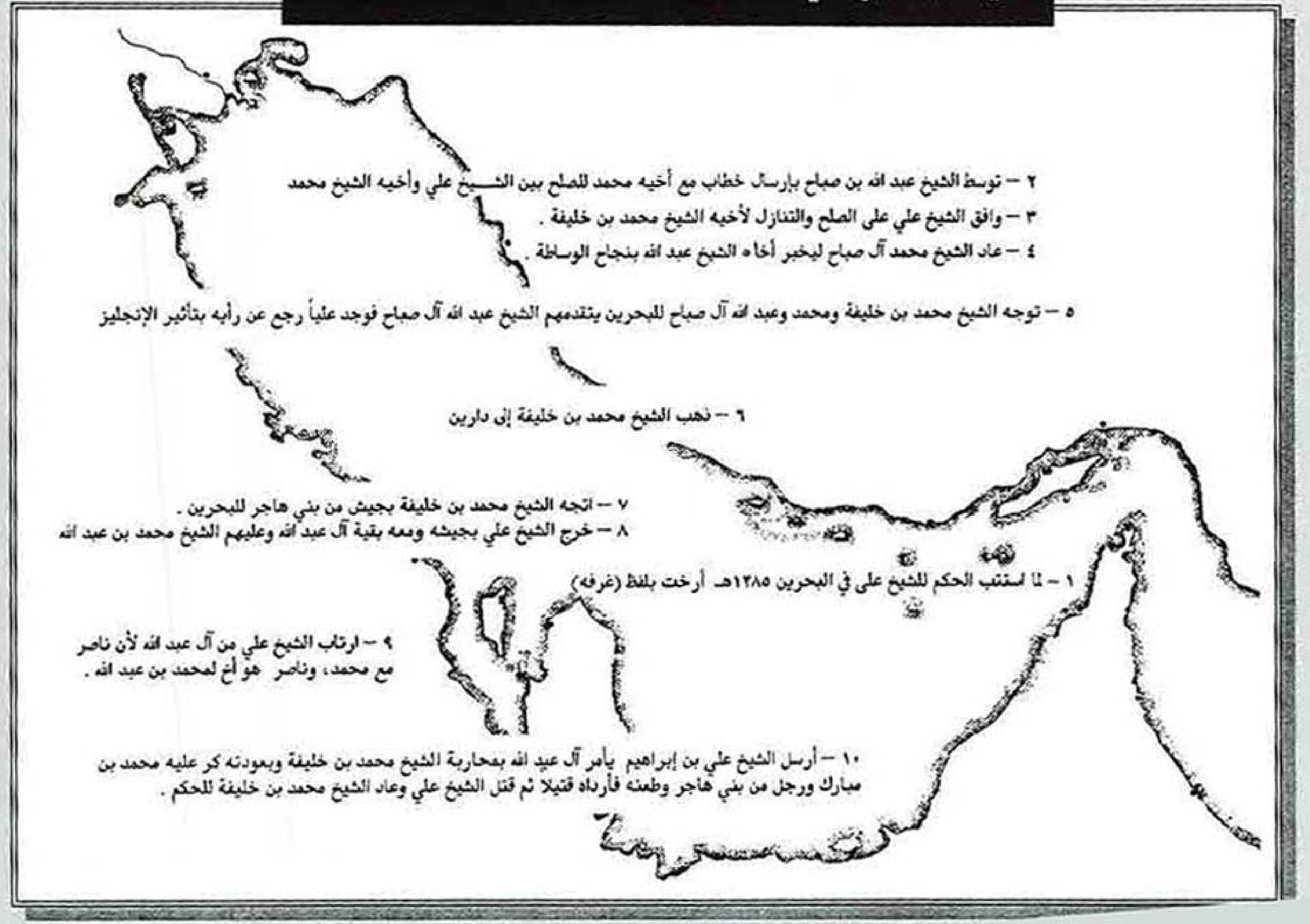
٤ – هرب الشيخ أحمد بمساعدة راشد بن مبارك بن خاطر البوعينين إلى الخوير

٥ – أرسل الشيخ محمد أخاه الشيخ علي إلى الدوحة وحدثت معركة أسفرت عن انتصار الشيخ علي وخربت الدوحة وسميت (وقعة خراب الدوحة الثاني) ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م . ثم حدثت معركة في البحر سميت معركة (الحمرور) ١٢٨٣هـ قرب ساحل قطر وانتهت بأن تفرق الجمعان متناصفين وكان سببها أن رحلت (النعيم) عن قطر خشية من الشيخ محمد بن خليفة فلحق بهم أحمد بن محمد ومعه العجمان ورئيسهم منصور بن محمد الطويل . والمناصير وعليهم مانع ومحمد بن سالمين وبنو هاجر فأدرك النعيم في (الحمرور) وحصلت معركة عظيمة قتل فيها أحمد بن محمد وخليفة بن عبد الرحمن الأجيرب من آل خليفة ثم تفرق الجمعان متناصفين ١٢٨٣هـ .

وقعـــة دامســـة في ٧ صفر ١٢٨٤هـ



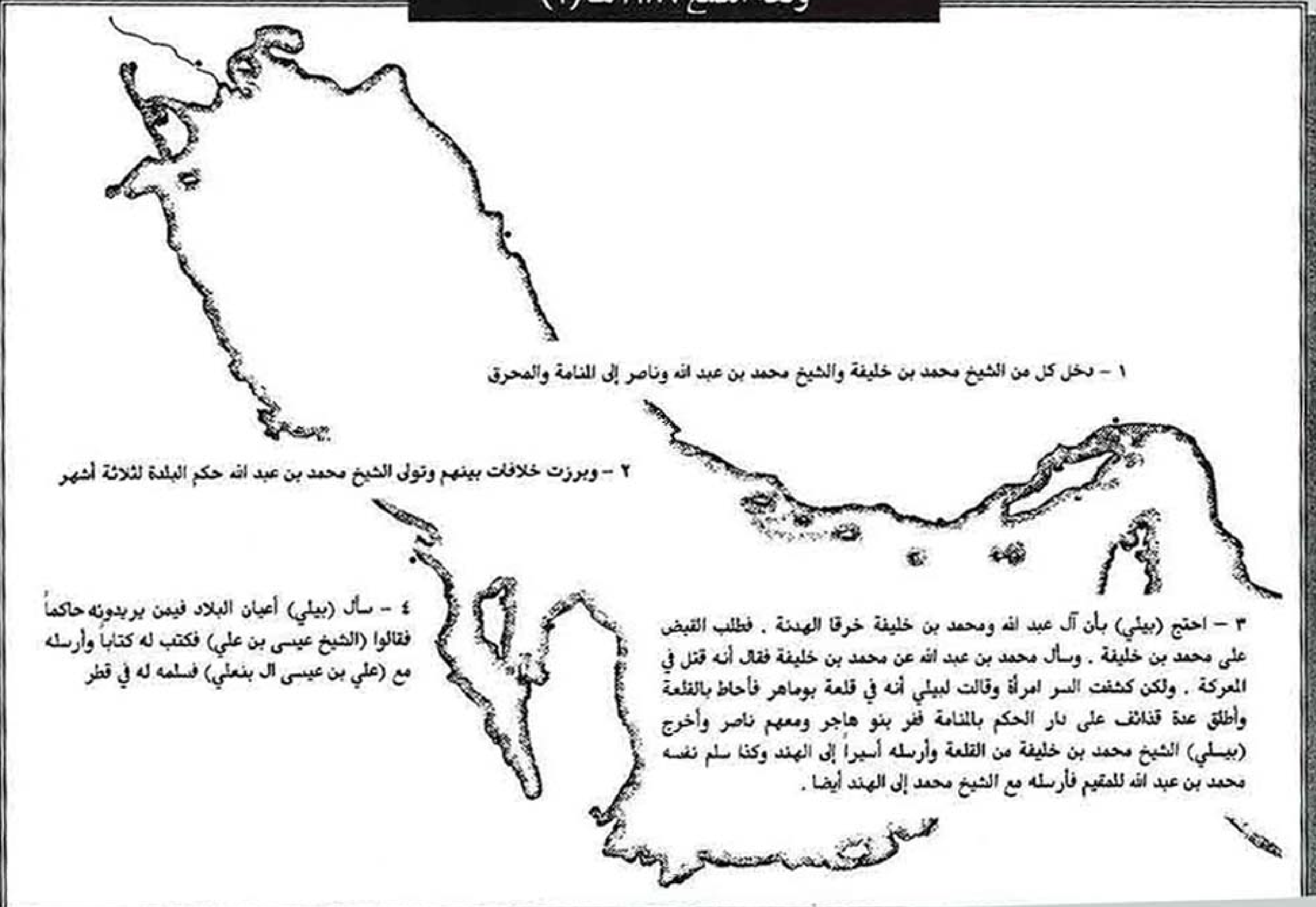
في حكم الشيخ علي بن خليفة ١٢٨٥هـ - وأرخت بلفظ (غُرفة)



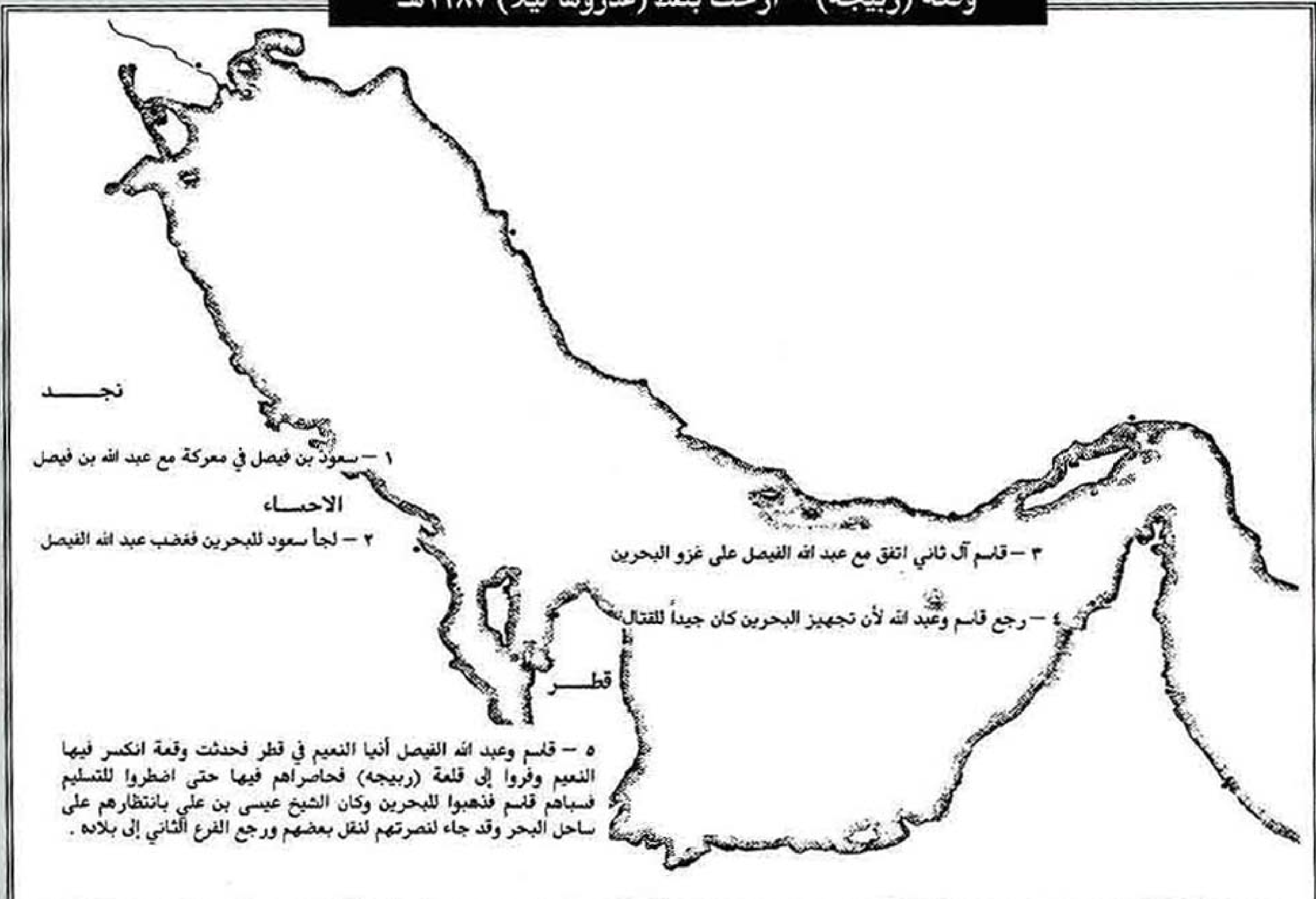
وقعة الضلع – ٢١ جمادى الثانية ١٢٨٦هـ أرخت بلفظ (وي لاوال خربت)



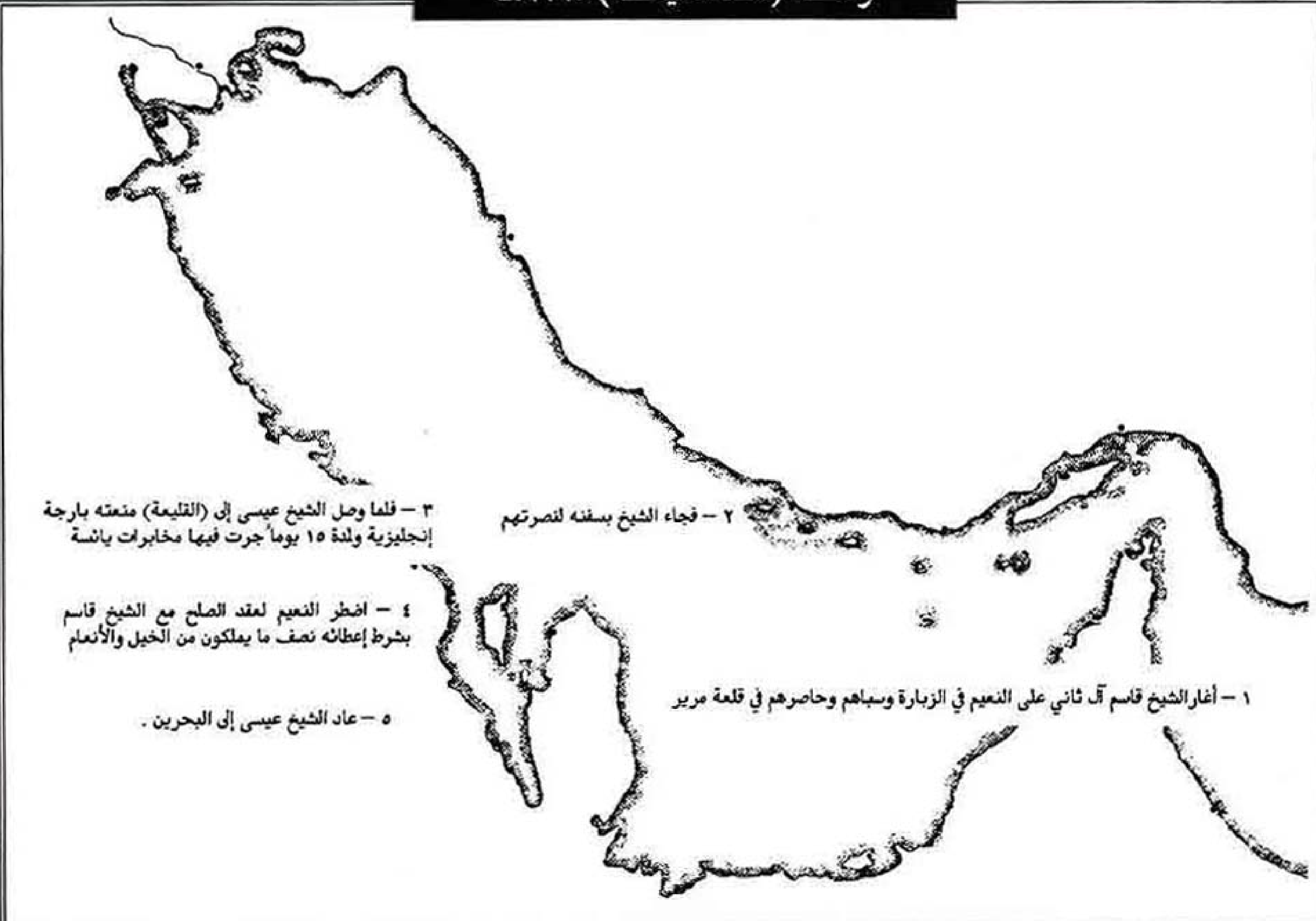
وقعة الضلع ١٢٨٦هـ (٢)



وقعة (ربيجة) – أرخت بلفظ (غدروها ليلاً) ١٢٨٧هـ



وقعة (شد القليعة) ١٢٩٥هـ



تواريخ بعض الوقعات والأحداث

بحساب الجمل الواردة في كتاب (التحفة النبهانيه) الطبعة الثانية

العنوان	عام	تاريخه	رقم الصفحة
انتشار المذهب في إيران	٩٠٦هـ	(بمذهب ناحق)	١٠٧
عزل (قزاغ سلطان) عن البحرين	١١١٣هـ	(قد زاغا)	١٠٨
بناء قلعة مرير في الزبارة بناها الشيخ محمد بن خليفة الأول	١١٨٠هـ	(تمت بعز وعون الله حاميها)	١٢١
حكم الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة للبحرين (أحمد الفاتح)	١١٩٧هـ	(أحمد صار في اوال خليفة)	١٢٦
بنى الشيخ سلمان بن أحمد قلعة عظيمة في الرفاع وكتب عليها تاريخها	١٢٢٧هـ	(خيم السعد بقصرك) (جاء خير بقصرك)	١٤٠و١٤١
وقعة (فزفز) بين المسقطيين والخليفيين وانتصر الخليفيون	١٢٤٤هـ ١٨٢٨م ١٨٢٩م	(بالله سعيد غُلب)	١٤٩
(وقعة المحرق) أو (وقعة السايه) بين آل عبد الله والشيخ محمد بن خليفه	١٢٥٨هـ	(بوقعة البحرين ذاب مال) أو (سر نحر ش)	١٦٣
(وقعة الدولاب) بين آل عبد الله وآل سلمان	١٢٧٠هـ	خرعت	١٦٦
الصلح بين آل عبدالله وآل سلمان بوساطة أمير نجد فيصل بن تركي	١٢٨٠هـ	فرغ	١٧٩
استتب الحكم للشيخ علي بن خليفه بالبحرين	١٢٨٥هـ	غرفه	١٨٧
(وقعة الضلع) بين محمد بن خليفه	٢١ جمادى	وي لأوال خربت	١٩٠

العنوان	عام	تاريخه	رقم الصفحة
ومعه ناصر بن مبارك من آل عبد الله.	الثانية ١٢٨٦هـ ٣٠ أغسطس ١٨٦٩م		
عود الشيخ محمد بن خليفه إلى الحكم وغدر آل عبد الله به ومقتل الشيخ علي بن خليفه	١٢٨٦هـ	علي غيّب ومحمد سيّب	١٩٥
تاريخ بناء قصر الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة	١٣٠٩هـ	هنيت بالبيت يا درّ العلى حمد	٢٣٦
(وقعة ربيجه) في قطر بين النعيم والشيخ قاسم آل ثاني	١٢٨٧هـ	غدروها ليلا	٢٤٠
قصر بناه الشيخ خليفة بن سلمان حفيد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة	١٣٣٣هـ	خليفة نال العلا	٦٤
بنى الشيخ راشد بن عيسى بن علي آل خليفة قصراً له حذاء قصر والده	١٣٤٠هـ	جمع الجد والشرف الأثيل	٦٦
الشيخ خليفه بن سلمان حفيد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة جدد بناء قصره	١٣٣٩هـ	عمرت فيه بلا نقص ولا كدر	٢٣٧
الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة بنى المسجد الجامع الكبير في الرفاع الغربي	١٤٠٣هـ	من فضل راح يديك طاب المسجد	شعر مكتوب على باب المسجد

الهوامش

١ - محمد تيسير التميمي. موضوعات في فن القيادة ط١. عمان ١٩٩٢م. ص٦٣-٩٤.

٢ - دام حكم سيف بن سلطان اليعربي من ١٦٩٢-١٧١١م الموافق من ١١٠٤- ١١٢٣هـ بعد حكم دام ١٩ سنة وكانت وفاته في ٤ أكتوبر ١٧١١م بينما ذكر كتاب (كشف الغمة) أنه توفي ١٨٠٧م ودفن في الرستاق كما أورد ذلك مايلز ص ٢٢٥ . أنظر مخطوط أبطال عمان والنهضة الحديثة (مخطوط) وفي السيرة القحطانية ٤١٥/٣ أنه توفي ١١٣٥هـ .

٣ - لوريمر . دليل الخليج ٦٣٩/٢، والعابد، دور القواسم في الخليج العربي ص٤٠ . وفاروقي . جزر البحرين . ص٦٤ .

٤ - الأباضية : نسبة للإمام عبد الله أباض التميمي كان حيا ٦٨٥هـ ومن علمائهم جابر بن زيد الأزدي العماني (أبوالشعثاء) والأباضية ليسوا من الخوارج وأعرق الأباضية في عمان.

٥ - الخصوصي . دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ص٦٣ . وأحمد محمود صبحي، البحرين ودعوى إيران . ويوسف بن أحمد . لؤلؤتي البحرين ص ٢٤٠ (مخطوط) .

Faroughy, the Bahrain Islands. P.64, Belgrave, Welcome to Bahrain, P.128.

٦- Milles, S.B. The Countries and tribes of the Persicin Gulf. P 237. London 1966.

٧ - يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي. لؤلؤتي البحرين (مخطوط) ص٢٤٠-٢٤٤ .

٨ - وثيقة من دفاتر المهمه رقم ١١١/ص٧١٣ مصورة من أرشيف رئاسة الوزراء العثماني باسطنبول .

٩ - لوريمر ٩٩/١، ١٠٤ .

١٠ - يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي المتوفى ١١٨٦هـ مؤلف كتاب لؤلؤتي البحرين (مخطوط مصور في مركز الوثائق التاريخية) .

١١ - يدعوهم الخوارج، والأباضية في عمان ليسوا من الخوارج بل هم يخالفون الخوارج ولا تجمعهم بالخوارج صلة .

١٢ - **الشاخورة** : موضع على بعد بضعة أميال جنوب شرقي قلعة البحرين غربي جد حفص يكثر فيها زراعة النخيل وتحيط به مقابر أثرية قديمة ، (أنظر لوريمر/ ٢٨٧/١ وسنان، ٣٨٧) .

١٣ - **القلعة** : هي (قلعة البحرين) الواقعة على بعد يسير من ساحل البحر مباشرة شمال المنامة وهي تسيطر على خليج المنامة . وكان حولها خندق عرضه حوالي ١٥ قدما تغمره مياه البحر من جميع جهات القلعة .

والقلعة واقعة على مرتفع يحيطها سور مرتفع من داخلها من جهة الشرق وفي زواياه الأربع ترتفع أربعة حصون أو أبراج أو قلاع وفي وسطها بئر (أنظر سنان ٢٩٨-٣٠٠ . ولوريمر ٧٢/١) وفيها مرصدان مواجهان الساحل يتصلان فيما بينهما بأماكن محفوظة ومربوطة بطريق مبنى بالآجر .

١٤ - **الشراة** : في بعض كتب الملل والنحل أنهم فرقة من فرق الخوارج .

١٥ - الشاه سلطان حسين . جلس على كرسي الحكم من ١١٠٥هـ حتى ١١٢٥هـ الموافق ١٦٩٣م-١٧١٢م .

١٦ - لؤلؤتي البحرين . ص٢٤٠-٢٤٤ توفي مؤلف لؤلؤتي البحرين وهو الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي ١١٩٨هـ/١٧٨٤م .

١٧ - البحرين ودعوى إيران. ص٦٩-٧١ .

١٨ - البلادي . أنوار البدرين .

١٩ - السيرة القحطانية أو الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين لابن رزيق حميد بن محمد، جـ ٣/ ص٤١٥ .

٢٠ - **يحورب**، أي يتحرش بالشعر ليثير الحماسة والنخوة في قلوب الرجال لأن العرب تهتز أسنتها بالشعر - النبهاني - حورب أي هزج وهي في اصطلاح اللبنانيين وعرب نجد - الريحاني (يحورب) ينشد شعرا في الفخر والحماسة يثير النخوة في جيشه ويخذل جيش الأعداء، وفي العراق يكون (الحوارب) على ظهور الخيل .

٢١ - محمود بهجت سنان، البحرين درة الخليج العربي . ص١٥٨ .

٢٢ - الضوء الأول . ص٨٧-١٠٨ . ولمحات من تاريخ البحرين العسكري . اللواء يوسف كعوش . والمادة التاريخية للدكتور علي أباحسين .

٢٣ - ن. م. س .

التطورات السيا



بقلم :

الأستاذ الدكتور جاسم ياسين الدرويش

...ية في عمان

٢٨٠ – ٣١٧هـ / ٨٩٣ – ٩٢٩م



شهدت عمان في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي قيام إمامة اباضية فيها، والاباضية إحدى فرق الخوارج أجمعت المصادر على أن تسميتها مشتقة من اسم عبد الله بن اباض التميمي الذي تزعم الجناح المعتدل من حركة الخوارج بعد الاختلاف مع نافع بن الأزرق عام ٦٤هـ / ٦٣٨م في البصرة حول شرعية الثـورة ضـد المسلمين المخالفين لمذهبهم[١]، وقد تبنت الاباضية منذ ذلك الوقت آراء معتدلة حتى وصفت بأنها أقرب فرق الخـوارج إلى أهـل السنة[٢]، وقد انتهج الاباضية أسلوب التنظيم والعمل السري، ولاقت دعوتهم أرضاً خصبة في عمان[٣] حتى نجحت في انتخاب أول إمام لها في عمان وهو الجلندي بن مسعود عام ١٣٢هـ /٧٤٩م[٤]، إلا أن ذلك لم يدم طويلا إذ اعتبرت الخلافة العباسية قيام إمامة أباضية في عمان تهديداً خطيراً لزعامتها الدينية والدنيوية للمسلمين فأرسلت قواتها إلى هناك وتمكنت من إسقاط إمامة الجلندي عام ١٣٤هـ /٧٥١م[٥]. إلا أن ذلك لم يأت بنتائج هامة بالنسبة للعباسيين إذ استمر الناس في ولائهم للاباضية بسبب رسوخ المذهب الأباضي هناك، وما إن حل عام ١٧٧هـ /٧٩٣م حتى تمكنت الأباضية من توحيد صفوفها وانتخاب إمام لها وهو محمد بن أبي عفان مكونة بذلك الإمامة الاباضية الثانية في عمان والتي استمرت حتى عام ٢٨٠هـ /٨٩٣م[٦].

وقد شهدت سبعينات القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي انقساماً خطيراً في صفوف الحركة الأباضية في عمان، ففي عام ٢٧٢هـ /٨٨٦م عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي (٢٣٧ – ٢٧٢هـ /٨٥١ – ٨٨٦م) من الإمامة من قبل العالم السامي موسى بن موسى (من بني سامة بن لؤي بن غالب) بحجة شيخوخته ونصب مكانه راشد بن النظر، وعلى إثر هذا الحادث ثارت نار الحرب الأهلية في عمان بين المناصرين للصلت بن مالك وأغلبهم من القبائل اليمانية والمعارضين له وأغلبهم من القبائل التراريةَ(٧)، نتج عنها هزيمة الترارية في وقعة القاع وقتل قائدهم موسى بن موسى(٨)، وعلى أثر ذلك توجه عدد من زعماء الترارية إلى الخلافة العباسية لمساعدتهم من أجل إرجاع النفوذ العباسي هناك، فكانت سلسلة من الحروب أدت إلى انهيار الإمامة الأباضية الثانية في عمان .

إن في البحث محاولة لتسليط الضوء على فترة غامضة من تاريخ عمان أعقبت انهيار الإمامة عام ٢٨٠هـ /٨٩٣م وذلك بسبب اضطراب النصوص التاريخية حولها وتضاربها رغم أهميتها، إذ شهدت قيام إمارة بني سامة فيها، وأولى محاولات القرامطة لمد نفوذهم إليها(٩) .

أولاً : إمارة بني سامة في عمان :

في أعقاب موقعة القاع عام ٢٧٨هـ /٨٩١م التجأ عدد من زعماء بني سامة (إحدى القبائل الترارية في عمان) وهم محمد بن القاسم السامي وبشير بن المنذر السامي إلى محمد بن بور عامل الخليفة المعتضد على البحرين وسألاه مساعدتهما وشكيا إليه ما أصابهما على أيدي اليمانية، فأشار محمد بن بور إليهما بأن يذهبا إلى الخليفة المعتضد ويطلبا منه المساعدة ويذكران له (أنهما قدما يريدان نصرته)(١٠)، فذهب محمد بن القاسم إلى الخليفة في بغداد الذي أجاب طلبه وأرسل إلى محمد بن بور بمساعدتهم(١١)، فجمع محمد بن بور العساكر وخاصة القبائل الترارية وسار بها إلى عمان وتمكن بعد حروب من قتل الإمام عزان بن تميم (٢٧٧ – ٢٨٠هـ /٨٩٠ – ٨٩٣م) والاستيلاء على عمان وإخضاعها منهياً بذلك الإمامة الأباضية فيها(١٢) .

إلا أن محمد بن بور لم يمكث طويلاً في عمان، إذ تذكر المصادر المحلية العمانية أنه عندما أراد الرجوع إلى البحرين عين على عمان رجلاً من قِبَلِه يدعى أحمد بن هلال[١٣] دون أن تشير إلى محمد بن القاسم السامي الذي سعى بنفسه إلى الخليفة المعتضد وطلب منه المساعدة في استرجاع عمان . ولكن ابن خلدون يذكر أن دولة قامت في عمان في هذا الوقت كان أولهم بها محمد بن القاسم السامي[١٤]، ويبدو أن ما أشار إليه ابن خلدون هو الراجح، إذ أن أحمد بن هلال – كما سنرى – لم يتقلد إمارة عمان إلا في عام ٣٠٠هـ /٩١٢م، لذلك فإن ما أشارت إليه المصادر المحلية من أن محمد بن بور أناب عنه أحمد بن هلال لا يعتد به، ويبدو أيضاً أن محمد بن القاسم السامي تسلم أمر عمان من الخليفة المعتضد وليس من محمد بن بور، فقد أشار ابن خلدون صراحة إلى أن (محمد بن القاسم السامي بعثه المعتضد وأعانه ففتحها وطرد الخوارج إلى نزوى قاعدة الجبال وأقام الخطبة لبني العباس)[١٥]، ومما يضعف أيضا ما ذهبت إليه المصادر المحلية هو أن نور الدين السالمي الذي اعتاد على ذكر مصادره في الروايات الموثوقة، لا يذكر مصادره في هذه الرواية[١٦] مما يدل على أن السالمي يضعفها أيضاً .

إلا أن النفوذ العباسي لم يستمر طويلاً في المناطق الداخلية من عمان خصوصاً في نزوى معقل الأباضية، إذ لم يستمر الحكم العباسي فيها أكثر من سنتين حتى ثار الأباضية على العامل العباسي المدعو بحيرة وقتلوه[١٧]، ويبدو أن عمال الخلافة من بني سامة عملوا على التضييق على العلماء الأباضية ووضعهم تحت المراقبة وخصوصاً ما يصدر منهم من تصريحات تمس بني سامة أو زعيمها موسى الذي قتل بسبب أحداث عزل الإمام الصلت بن مالك، فعندما أشيع بأن أبا الحواري محمد بن الحواري (الزعيم الروحي للأباضية بعد انهيار الإمامة) تبرأ من موسى بن موسى أرسل إليه بحيرة من يهدده بسبب هذه الإشاعة[١٨] رغم ما هو معروف عن موقف أبي الحواري المعتدل من أحداث موسى وراشد[١٩]، وقد اتخذ العامل العباسي بعد مقتل بحيرة من بهلا مركزاً له[٢٠]، وربما كان ذلك بسبب موقعها الحصين[٢١] وقربها من نزوى[٢٢] معقل الأباضية مما يسهل عليه رصد تحركاتهم، ولم ترد معلومات عن مدة حكم محمد بن القاسم السامي ولا من تلاه في الحكم إلا أن ابن خلدون يذكر أن بنيه توارثوا الحكم من بعده[٢٣] .

وفي عام ٢٨٩هـ /٩٠١م ظهر على النقود في عمان اسم حاكم يعرف بمحمد بن هارون أطلق عليه علماء النقود كلمة (ثائر)[٢٤]، ويرجح الأستاذ العش أن محمد بن هارون هذا، هو نفسه الذي ثار على إسماعيل ابن أحمد الساماني[٢٥] في الري[٢٦] وتغلب عليها مدة ثم حاربه إسماعيل بن أحمد ودس إليه من قيده وأتي به إلى بخارى[٢٧] حيث حبس ومات فيها[٢٨]، ونحن نستبعد أن يكون الشخص المضروب اسمه على النقود في عمان هو محمد بن هارون الثائر على الدولة السامانية، فيذكر ابن الأثير في حوادث عام ٢٨٨هـ / ٩٠٠م أن محمد بن هارون خلع طاعة إسماعيل وغلب على الري بمساعدة أهلها وكان قبل هذا والياً لإسماعيل على طبرستان[٢٩]، ويذكر أيضاً في حوادث عام ٢٨٩هـ /٩٠١م أن إسماعيل بن أحمد كانت له وقعة مع محمد بن هارون في الري فانهزم محمد بن هارون ولحق بالديلم مستجيراً[٣٠]، وفي حوادث ٢٩٠هـ /٩٠٢م يذكر ابن الأثير أن إسماعيل بن أحمد طلب من عامله على جرجان[٣١] إحضار محمد بن هارون(قسراً أو صلحاً) . عندئذ قبل محمد بن هارون الصلح وتوجه إلى بخارى، إلا أنه اعتقل وهو في الطريق وجيء به مقيداً فحبس حتى مات[٣٢]، فأي فرصة استطاع أن يستغلها هذا الثائر بين عامي (٢٨٨ – ٢٩٠هـ /٩٠٠ – ٩٠٢م) لكي يهرب إلى الخلافة فترسله إلى عمان، أو يذهب إليها ليسك النقد باسمه ؟ .

إننا نرجح شخصاً آخر قد يكون أقرب إلى المعقول من غيره وهو محمد بن هارون الضبي والد هارون بن محمد الذي وصفه الخطيب البغدادي بأن أسلافه كانوا ملوك عمان منذ القديم وأن جده (سالم بن تيم أول من دخل عمان من بني ضبة فتملك بها ثم لم يزل ولده من بعده يرثون هناك السيادة والشرف)[٣٣]. كما أن هارون بن محمد نفسه (ساد عمان في حداثة سنه ثم خرج عنها فلقي العلماء بمكة والكوفة والبصرة ورحل إلى مدينة السلام سنة خمس وثلاثمائة)[٣٤]، وهذا يعني أن هارون بن محمد بن هارون حكم عمان بعد أبيه وقبل أن يهاجر منها وهو أول شخصية من بني ضبة يخرج من عمان[٣٥]، وربما كان ذلك بسبب تغلب حاكم آخر على عمان أرغمه على الهجرة .

وفي عام ٢٩١هـ /٩٠٣م ظهر على النقود التي سكت في عمان أيضاً اسم أحمد بن الحسين، ولم ترد معلومات عنه سوى أنه ذكر اسم الخليفة المكتفي[٣٦] إلى جانب اسمه على النقود[٣٧]، ويبدو أن أحمد بن الحسين لم يستمر طويلاً إذ غلب عليه أمير فارس

وعامل الخلافة في شيراز طاهر بن محمد الصفاري الذي سك النقد المضروب في عمان سنة ٢٩٥هـ /٩٠٧م باسمه[٣٨]، وطاهر بن محمد بن الليث الصفاري ورث حكم الإمارة الصفارية[٣٩] عن جده (عمرو بن الليث) ولكنها كانت في آخر مراحلها بسبب تغلب السامانيين عليها، إن ضرب النقد في عمان من قِبَل والي فارس يعني أن هذا الوالي صار له الإشراف على عمان أيضاً[٤٠].

إلا أن الأمور لم تستقر لطاهر بن محمد طويلاً في فارس إذ نازعه على حكمها غلام كان لجده يعرف بسبك السبكري، وقد تمكن سبكري في عام ٢٩٦هـ /٩٠٨م من التغلب على فارس وقبض على طاهر بن محمد مع أخ له وأرسله إلى بغداد، لذلك كافأ الخليفة سبكري بأن جعله والياً على فارس وكرمان في عام ٢٩٧هـ /٩٠٩م[٤١]، وبموجبه أصبحت عمان ضمن منطقة نفوذه كما كان الحال مع طاهر بن محمد الصفاري، وبذلك فقد أنهى سبكري حكماً صفارياً لعمان دام خمس سنوات تقريباً(٢٩١ – ٢٩٦هـ /٩٠٣ – ٩٠٨م) لم نعرف عنه شيئاً سوى ما وصلنا عن طريق النقود.

وهكذا عادت عمان إلى الحكم العباسي المباشر عن طريق واليها على فارس، فضرب سبكري النقود العباسية الصرفة في عمان سنة ٢٩٨هـ /٩١٠م، حيث ذكر الأستاذ العش وجود نموذجين من هذا النوع من النقود في متحف قطر الوطني[٤٢]، إلا أن علاقة سبكري مع الخلافة لم تستمر طويلا، إذ ساءت العلاقة بينهما في عام ٢٩٨هـ /٩١٠م بسبب امتناع سبكري عن إرسال الأموال مما حدا بالخلافة إلى إرسال الجيوش تباعا للقضاء عليه، ولكنه استطاع الهرب من أيدي قوات الخلافة ليقع في أيدي السامانيين الذين أرسلوه بدورهم إلى بغداد[٤٣]، وبذلك فإن ولاية سبكري لعمان لم تتجاوز السنتين.

وفي عام ٢٩٩هـ /٩١١م حصل تطور آخر وهو أن بني سامة عادوا إلى الظهور من جديد في عمان، فقد ضرب عام ٢٩٩هـ /٩١١م نقد باسم أحمد بن الخليل الذي كان يحمل صفة سامي (أي من بني سامة) وهذا النقد موجود في متحف قطر الوطني[٤٤]، أما عن كيفية حكم بني سامة في الفترة من عام ٢٨٠هـ /٨٩٣م إلى عام ٢٩٨هـ /٩١٠م فلم تذكر المصادر عنه شيئاً، ويبدو أن عمان في هذه الفترة كانت هدفا للطامعين سواء من داخلها مثل محمد بن هارون، أو من خارجها كما هو الحال مع ولاة الخلافة في فارس، وأن الخلافة آنذاك لم يكن يهمها كثيراً من هو الحاكم ما دامت المبالغ السنوية تحمل

إليها، فقد رأينا كيف أنها اختلفت مع سبكري لأنه رفض أن يدفع لها زيادة سنوية لإقراره على أعماله في فارس وكرمان وعمان[٤٥].

ويبدو أن بني سامة قد احتفظوا بنفوذهم في بعض مناطق عمان طيلة هذه الفترة وخصوصاً في معاقلهم الرئيسية في توام[٤٦]، حيث يذكر ياقوت أنها كانت منبراً لبني سامة[٤٧]، أي أنها كانت مقراً لهم[٤٨]، كما أن بني سامة احتفظوا أيضاً بنفوذهم السياسي في مناطقهم وبعلاقتهم بالخلافة من جهة وبالأباضية من جهة أخرى[٤٩]، ومع عدم ورود معلومات عن ولاة عمان المباشرين أثناء تبعيتها لولاة الخلافة في فارس، إلا أننا نرجح هؤلاء الولاة من بني سامة، فيذكر العوتبي أن المهدي بن سليمان[٥٠] كان أميراً متنفذاً على هرموز (هرمز) وقد أقره سبكري عليها[٥١]، وهذا يعني أن سبكري قد أبقى الأمراء المتنفذين عمالاً تابعين له، ولما كان بنو سامة حكاماً لعمان موالين للخلافة منذ عام ٢٨٠هـ /٨٩٣م لذلك يحتمل أن سبكري قد أقرهم عليها أثناء تبعيتها له.

أما عن سبب ظهورهم على المسرح السياسي المباشر في عمان عام ٢٩٩هـ /٩١١م فربما يعود إلى علاقة القتَّال (أو القيتال) قائد جيش سبكري ومولى عمرو بن الليث مع بني سامة، فيذكر المسعودي أن القتَّال خال لأحمد بن هلال السامي[٥٢]، وهذا يعني أن القتَّال كان من بني سامة أو على الأقل أنه كان عمانياً، ومعروف أن القتَّال تولى قيادة جيش سبكري أثناء ولايته لفارس وكرمان وعمان[٥٣]، وعندما تمرد سبكري في فارس عام ٢٩٨هـ /٩١٠م أرسلت إليه الخلافة قوة تمكنت من هزيمته وأسر قائده القتَّال[٥٤]، لذا يحتمل أن القتَّال أطلق سراحه – بعد أن تمكنت الخلافة من القبض علي سبكري[٥٥] – ورجع إلى عمان وساعد أقاربه من بني سامة على تجديد نشاطهم القديم وإعادة صلتهم المباشرة بالخلافة وذلك بسبب النفـوذ الكبير الذي كان يتمتع بـه (أي القتَّال) في سواحل عمان[٥٦]، وبذلك أصبح ولاة عمان من بني سامة تابعين مباشرة للخلافة.

ولم ترد معلومات عن فترة حكم أحمد بن خليل السامي إلا أنه كان موجوداً في عمان عام ٣٠٠هـ /٩١٢م حيث يوجد درهم يحمل اسمه إلى جانب اسم الخليفة المقتدر يعود إلى تلك الفترة[٥٧].

وفي عام ٣٠٠هـ /٩١٢م فقد أحمد بن خليل السامي سلطته، ولا تذكر المصادر المتوفرة كيف حصل ذلك، ولكن برزك يشير إلى أن أحمد بن هلال كان أميراً على عمان

في هذا العام[٥٨]، وأحمد بن هلال هذا هو أيضاً من بني سامة حيث عثر على نقد فضي يحمل اسم أحمد بن هلال السامي يعود إلى عام ٣٠٥هـ /٩١٧م[٥٩]، وفي أيام أحمد بن هلال تحدثت المصادر عن علاقات واسعة بين عمان والخلافة متمثلة بصفقات الهدايا التي أرسلها هذا الأمير إلى بغداد[٦٠].

إن المصادر التي أوردت صفة هذه الهدايا لم تذكر الغرض من إرسالها، وإذا صح ما تحراه Miles من أن هدايا عام ٣٠٥هـ /٩١٧م كانت مصحوبة بطلب قوة عسكرية للمساعدة في صد الغزو القرمطي على عمان[٦١]، فإن هذا يعني أن إرسال الهدايا كان يتزامن مع أوقات الشدائد التي أصابت عمان أيام هذا الأمير لكسب تأييد الخلافة ومساعدتها، ولكن هذا لا ينطبق إلا على هدايا عام ٣٠٥هـ /٩١٧م، لذلك فإن ربط إرسال الهدايا بالأوقات الحرجة ليس حالة عامة، فقد جرت العادة حوالي عام ٣٠٠هـ /٩١٢م أن ترسل مع الخراج أشياء طريفة غريبة عن المألوف[٦٢]، فيذكر مثلاً أنه في عام ٢٩٩هـ /٩١١م أرسل والي مصر إلى الخليفة المقتدر هدايا ثمينة وغريبة مع مبلغ كبير من المال[٦٣]، كما بعث الأمير أحمد بن إسماعيل الساماني هدايا من ذهب وجواهر وخِلع سلطانية فاخرة[٦٤]، وأرسل يوسف بن أبي الساج صاحب أرمينية هدايا منها بساط طوله سبعون ذراعاً عمل في عشرين سنة[٦٥]، وإذا أضفنا إلى هذه هدايا صاحب عمان وهي (أنواع من الطيب ورماح وطرائف من البحر وطائر أسود يتكلم الفارسية والهندية أفصح من الببغا وظباء سود)[٦٦]، فإنه يمكن القول إن هذه الهدايا غالباً ما كانت ترسل لتؤكد ولاء هذه الأطراف للخلافة، إضافة إلى أن هذه الهدايا كانت تلقى التشجيع والقبول من الخلافة لأنها أصبحت تشكل مورداً مهماً من موارد بيت المال الخاص بالخليفة[٦٧].

وفي أيام الأمير أحمد بن هلال حصل بنو سامة على صلاحيات واسعة من الاستقلال الذاتي في عمان، فقد كان لأمير عمان وكيل عنه بحضرة الخليفة يتولى الإشراف على جميع المخاطبات التي تصدر من الخلافة إلى عمان والواردة من عمان إلى الخلافة[٦٨] و وقد أوكل الأمير أحمد بن هلال هذه المهمة في أيامه إلى هارون بن محمد بن هارون الضبي[٦٩]، ويبدو أن هذا التطور في العلاقة بين الخلافة والأطراف قد حصل بمبادرة من الخلافة نفسها، فقد عمل الخليفة المقتدر على توزيع الأمصار بين العمال

والقواد على أن يدفعوا أرزاق الجند من موارد أقاليمهم وذلك بسبب الإفلاس الذي كانت تشكو منه الخزينة آنذاك(٧٠).

كان الأمير أحمد بن هلال موجوداً في عمان عام ٣٠٦هـ /٩١٨م(٧١)، ولكن في الفترة من ٣٠٦هـ /٩١٨م حتى عام ٣١٧هـ /٩٢٩م لم تشر المصادر المتوفرة إلى أحداث عمان خلالها عدا ما أورده برزك من أن صاحب عمان – دون أن يشير إلى اسمه – أرسل في عام ٣١٠هـ /٩٢٢م هدايا إلى الخليفة المقتدر(٧٢)، ويبدو أن بني سامة كانوا لايزالون حكاماً على عمان حتى عام ٣١٦هـ /٩٢٨م حيث ظهر في هذا العام نقد يحمل اسم سامي يدعى عبد الخاتم بن إبراهيم الذي انتهى به حكم بني سامة في عمان(٧٣)، كما أشار ابن خلدون إلى أن بني سامة استمر حكمهم في عمان بعد عام ٣٠٥هـ /٩١٧م على اختلاف بينهم حتى تغلب عليهم أبو طاهر القرمطي سنة ٣١٧هـ /٩٢٩م(٧٤).

ثانياً: الأطماع القرمطية في عمان [٢٨٧-٣١٧هـ /٩٠٠-٩٢٩م]

ترجع الأطماع القرمطية في عمان إلى بداية توسعاتهم في شرق الجزيرة العربية عام ٢٨٦هـ /٨٩٩م، إذ قام أبو سعيد الجنابي بتحركات كبيرة في المنطقة(٧٥) كانت تهدف بادئ ذي بدء الاستيلاء على منطقة البحرين. وبعد أن حقق أبو سعيد أهدافه الأولى بدأ بتنفيذ المرحلة الثانية من مخططه ألا وهي التوسع الخارجي الذي كان يستهدف بالدرجة الأولى المراكز التي كانت تتمتع بسمة تجارية مهمة في الخليج العربي(٧٦)، وتأتي عمان على رأس القائمة في هذا المخطط فهي علاوة على أهميتها التجارية فإن إخضاعها يعني تحقيق الوحدة السياسية للقرامطة في شبه الجزيرة العربية(٧٧)، ففي الوقت الذي كانت فيه الدعوة القرمطية تنتشر في الاحساء والبحرين كانت الدعوة تلقى نجاحات في اليمن على يد الدعاة الذين أرسلهم قادتهم من الكوفة إلى هناك(٧٨)، وما إن حلت سنة ٢٩٠هـ /٣٠٩م حتى سيطر القرامطة على أغلب مناطق اليمن(٧٩)، لهذا كان إخضاع عمان الهدف الأول لأبي سعيد الجنابي خصوصاً بعد احتلاله هجر عام ٢٨٧هـ /٩٠٠م(٨٠)، وقد شجعه على ذلك أوضاع عمان نفسها فهي تعيش حالة من الانقسام بين الأباضية المتنفذين في المناطق الداخلية والوالي العباسي في المناطق الساحلية، كما أن العمانيين

الذين هربوا من عمان إبان الحرب الأهلية وحروب محمد بن بور قد شجعوا أيضاً أبا سعيد على غزو عمان(٨١) ليس حباً بالقرامطة لكن انتقاماً لأنفسهم من الأحداث المارة الذكر .

ويبدو أن أول هجوم قرمطي على عمان حدث في الفترة بين عام ٢٨٧هـ / ٩٠٠م وعام ٢٨٩هـ /٩٠٢م حيث يجعل المقريزي هجوم القرامطة على عمان بعد احتلالهم لهجر مباشرة وفي أيام الخليفة المعتضد(٨٢)، لذلك نرجح أن أول هجوم قرمطي على عمان هو بين احتلال هجر عام ٢٨٧هـ /٩٠٠م ووفاة الخليفة المعتضد عام ٢٨٩هـ /٩٠٢م، ولعل السبب المباشر الذي حفز القرامطة للهجوم على عمان في ذلك الوقت بالذات هو التسهيلات التي قدمها الإمام الأباضي عبد الله بن محمد الحداني (المعروف بأبي سعيد القرمطي) بسبب اعتناقه المبادئ القرمطية في هذا الوقت(٨٣)، لهذا تحاشت حملتهم مناطق نفوذ الأباضية واستهدفوا المناطق الساحلية وخصوصاً صحار بالدرجة الأولى(٨٤) حيث يتمركز النفوذ العباسي، إلا أن خطة أبي سعيد هذه لم يكتب لها النجاح، فيذكر المقريزي أن الحملة التي أرسلها أبو سعيد قوبلت بمقاومة عنيفة من أهل عمان حتى تفاني الجانبان ولم يبق من القوة العمانية سوى خمسة أنفار ومن القرامطة ستة أنفار فقتلهم أبو سعيد(٨٥) . ويضيف المقريزي أن أبا سعيد كف عن أهل عمان بسبب (تطيره من هلاك السرية)(٨٦)، ولكن المسعودي يشير أن الحملة على صحار أردفت بقوات أخرى وأنهم تمكنوا من دخول البلد عنوة(٨٧)، أما البلخي فيذكر أن القرامطة نجحوا في السيطرة على ربع البلد(٨٨)، وعليه يمكن القول أن النجاح القرمطي في هذه المحاولات كان محدوداً ولعله اقتصر على المناطق الشمالية من عمان(٨٩)، كما أن هذا التصدي قد يرجع إلى بسالة الحامية العباسية التي كانت في عمان تساعدها في ذلك القبائل التزارية الموالية للخلافة(٩٠) .

ويبدو أن الخلافة لم تقف مكتوفة الأيدي تجاه تعديات أبي سعيد على عمان، فقد كان الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩ – ٢٩٥هـ /٩٠٢ – ٩٠٨م) رغم قصر عهده قوياً كافح في سبيل تقوية الدولة واسترجاع سيطرتها على ولاياتها(٩١)، فقد أرسل حملة عسكرية لإيقاف التوسعات القرمطية في شرق الجزيرة العربية، ويذكر المسعودي رواية مفادها أن قوة عسكرية بقيادة بدر المحلي جاءت من عمان في البحر لمحاربة القرامطة(٩٢)، ولم ترد معلومات عن هذه المعركة سوى أن الخادمين اللذين قتلا أبا سعيد الجنابي هما أسيرين

كان قد أخذهما من جيش بدر المحلي[٩٣]، لذا يحتمل أن المعركة لم تكن لصالح جيش الخلافة وأن القرامطة احتفظوا بسيطرتهم على المناطق الشمالية من عمان على الأقل.

وفي عام ٣٠١هـ /٩١٣م قتل أبو سعيد الجنابي وخلفه في القيادة ابنه الأصغر أبو طاهر سليمان، ولم يكن أقل طموحاً من أبيه، فقد كانت خطته تقضي بالحصول على نصيب وافر من تجارة الخليج العربي والعراق والجزيرة العربية وصحراء سوريا[٩٤]، وقد بدأ خطته بمحاولة إحكام السيطرة على تجارة الخليج العربي عن طريق الاستيلاء أولاً على عمان فقد كانت أجزاء منها خاضعة لسيطرتهم[٩٥]، فاستغل أبو طاهر الهدنة المؤقتة مع الخلافة والتي حصلت بسبب مكاتبتها لهم[٩٦] لإكمال احتلال عمان، وقد وقعت هذه المحاولة في حدود عام ٣٠٥هـ / ٩١٧م[٩٧]، ولم يشر المسعودي إلى هذه الحادثة رغم وجوده في عمان في تلك الفترة[٩٨]، أما المصادر المحلية فقد اكتفت بالقول أن القرامطة جاءوا إلى عمان في إمامة عمر بن محمد بن مطرف (٣٠٠ – ٣٠٥هـ /٩١٢ – ٩١٧م) وأنهم رجعوا بعد ذلك إلى بلدهم دون الإشارة إلى سبب ذلك[٩٩]، مما يدعو إلى القول أن الأباضية لم يكن لهم دور هذه المرة في التصدي للقرامطة بل إنهم خضعوا لهم باعتزال الإمام عمر بن محمد عن بيت الإمامة[١٠٠].

لذا فإن هذا التصدي كان من قِبل طرف آخر وهو الأمير أحمد بن هلال الذي كان حاكماً على عمان آنذاك[١٠١]، وتشير المصادر إلى أن الأمير أحمد بن هلال أرسل هدايا إلى الخليفة المقتدر في ذلك الوقت[١٠٢] (أي عام ٣٠٥هـ) ويضيف مايلز Miles أن هذه الهدايا كانت مصحوبة بطلب قوة عسكرية للمساعدة في التصدي للغزو الخطير الذي يقوم به أعداء الإسلام الذين تقدموا من الاحساء إلى عمان، ويكمل أيضاً بأن الخلافة قد أرسلت القوات المطلوبة دون تأخير حيث تمكنت هذه القوات بالاشتراك مع قوات الأمير أحمد ابن هلال من إفشال الحملة القرمطية على عمان[١٠٣]، وقد أثر هذا الفشل على فعاليات القرامطة العسكرية لسنتين تقريباً حيث لم يقوموا بأي نشاط عسكري حتى عام ٣٠٧هـ /٩١٩م حينما هاجموا البصرة آنذاك[١٠٤]، ولم يستأنفوا نشاطهم العسكري على الساحة العمانية إلا بعد عشر سنوات.

وفي عام ٣١٧هـ /٩٢٩م هاجم القرامطة مكة المكرمة في موسم الحج وقتلوا أعداداً كبيرة من الحجاج وانتهبوا الحجر الأسود[١٠٥]، ولا نريد الدخول في تفاصيل هذا الحادث الخطير وحسبنا منه نتائجه على الجبهة العمانية، فقد انتظر أبو طاهر حوالي سنة بعد

نكبة حجاج مكة ولم تعمل الخلافة أي شيء للاقتصاص من القرامطة أو وضع حد لتحدياتهم في المستقبل على الأقل، فأيقن أبو طاهر أن الخلافة عاجزة عن قتالهم[١٠٦]، لذلك قرر اجتياح عمان بعد هذه الحادثة[١٠٧]، وهو البلد الذي طالما بقي رأس الحربة في تحقيق مخططاتهم للسيطرة على الجزيرة العربية فكان احتلالهم له يعني وضع الجزيرة العربية بأكملها تحت نفوذهم[١٠٨]، إضافة إلى أن الاستيلاء على عمان يعتبر تأميناً للجيش القرمطي من الخلف[١٠٩]، لـذا نراه يقدم بعد ذلك على مهاجمة الكوفة واحتلالها[١١٠].

ولم تكن عمان هذه المرة كسابقتها فقد ضعفت عسكرياً بسبب سحب الخليفة المقتدر للحامية التي كانت موجودة فيها[١١١]، وذلك لضغط الأحوال السياسية الحاصلة في بغداد في تلك الفترة إثر تهديد القرامطة لها[١١٢]، كما أن الاختلاف الذي أصاب بني سامة في عمان بعد عام ٣٠٥هـ /٩١٧م جعل بعضهم يلجأ إلى القرامطة[١١٣]، ولا نستبعد أن هؤلاء، قد شجعوا أبا طاهر على غزو عمان، بالإضافة إلى ذلك أن العمانيين قد أصيبوا بالفزع والرعب إثر الكارثة العظيمة التي حلت بالعالم الإسلامي في مكة على أيدي أبي طاهر، لذلك لم يقوموا بأي مقاومة تذكر[١١٤].

وبذلك فقد سقطت عمان التي يمكن اعتبارها آخر معقل للمقاومة المسلحة ضد القرامطة في شرق الجزيرة العربية خاصة والجزيرة العربية عامة، وقد استهدف هجومهم المناطق الداخلية من عمان وتمكنوا من الحصول على موطئ قدم لهم هناك حيث امتد نفوذهم إلى أدم[١١٥] الواقعة في الجنوب الغربي من عمان[١١٦]، بالإضافة إلى المناطق الشمالية التي كانت في أيديهم منذ عام ٣٠٥هـ /٩١٧م.

أما المناطق الساحلية الشرقية فقد بقيت بقبضة الموالين للخلافة العباسية حيث نرى في هذه الفترة ظهور وال جديد، هو يوسف بن وجيه الذي أسس إمارة جديدة في عمان استمرت حتى منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي[١١٧].

أ. د. جاسم ياسين الدرويش

جامعة البصرة — كلية التربية — قسم التاريخ

هوامش البحث

١ — خليفات، نشأة الحركة الأباضية، ص٧٨ .

٢ — المبرد، الكامل، ٢١٤/٢ .

٣ — أنظر أسباب انتشار المذهب الأباضي في عمان، خليفات، نشأة الحركة الأباضية، ص١٢٧-١٣٢ .

٤ — الطبري، تاريخ، ١٤٩/٩-١٥٠ . ابن الأثير، الكامل، ٣٤٣/٤ . السالمي، تحفة، ٨٨/١ وما بعدها . عمر، تاريخ الخليج العربي، ص١١-١٤ .

٥ — الطبري، م. ن.، والصفحة .

٦ — السالمي، تحفة، ١٠٩/١ وما بعدها . Wilkinson, Sources, p. 8

٧ — أنظر التفصيلات عن أحداث عزل الصلت بن مالك، أبو المؤثر، الأحداث والصفات، ص١٣ وما بعدها .

٨ — أنظر التفصيلات عن وقعة القاع : العوتبي، الأسباب، ٣١٩-٣٢٢ . الآزكوي، تاريخ عمان، ٥٦-٥٧ . ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٣٤ .

٩ — السالمي، إسعاف الأعيان، ص١٧-١٨ .

١٠ — الآزكوي، تاريخ عمان، ص٥٨ . ابن رزيق، الفتح المبين، ص٤٣٥ . السالمي، تحفة، ١/ ٢٥٨ .

١١ — العوتبي، الأنساب، ٣٢٢/١-٣٢٣ . السالمي، تحفة، ٢٥٨/١ .

١٢ — م. ن، والصفحات .

١٣ — الآزكوي، تاريخ عمان، ص٦١ . ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٣٧ . السالمي م. ن، والصفحة

١٤ — ابن خلدون، تاريخ، ١٩٨/٤-١٩٩ .

١٥ — ابن خلدون، م. ن، ص١٩٩ . وفي إشارة إلى نفس المعنى أنظر : البلخي، الأقاليم، ص١٤ . الاصطخري، المسالك، ص٢٧ . ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٥ .

١٦ — السالمي، تحفة، ٢٥٨/١ .

١٧ — الآزكوي، تاريخ عمان، ص١٦ . ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٣٧ . الشعاع، ص٥٩ . السالمي، تحفة، ٢٦٢/١ .

١٨ — م. ن، والصفحات أعلاه .

١٩ — السالمي، تحفة، ١٩٧/١ .

٢٠ — الآزكوي، تاريخ عمان، ص٦١ . ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٣٧ . الشعاع، ص٥٩ . السالمي، تحفة، ٢٦٢/١ .

٢١ — تقع بهلا على قمة جبل مرتفع، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١٨ .

٢٢ — تقع بهلا على عشرين ميلاً من نزوى، لوريمر، دليل الخليج العربي، ٢٥٩/١ .

٢٣ — ابن خلدون، تاريخ، ١٩٩/٤ .

٢٤ — العش، النقود، ٣٠٠/١ .

٢٥ — هو إسماعيل بن أحمد بن سامان كان واحداً من أعظم أمراء السامانيين حيث ظهرت الدولة في عهده بمظهر القوة والعظمة، كانت وفاته عام ٢٩٥هـ . أنظر ترجمته : ابن الجوزي، المنتظم، ٧٧/٦–٧٨ . ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٦١/٥ .

٢٦ — الري : مدينة كبيرة في بلاد الديلم تقع بين قومس والجبال، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٤٢٠ –٤٢١ .

٢٧ — بخارى : وهي إحدى مدن بلاد ما وراء النهر، البلخي، الأقاليم، ص٨٨ .

٢٨ — العش، النقود، ٣٠١/١ .

٢٩ — ابن الأثير، الكامل، ١٠١/٦ .

٣٠ — م. ن، ١٠٤/٦ .

٣١ — جرجان : إحدى المدن الواقعة في إقليم خراسان، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٤٥٣ .

٣٢ — ابن الأثير، الكامل، ١٠٧/٦ .

٣٣ — الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٣/١٤ . أنظر أيضاً ابن الجوزي، المنتظم، ٢٥٦/٦ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢١٨/١١ . ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٢٩٤/٣ .

٣٤ — الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٣/١٤ .

٣٥ — م. ن، والصفحة .

٣٦ — المكتفي بالله : هو علي بن أحمد المعتضد، بويع بالخلافة عام ٢٨٩هـ وتوفي عام ٢٩٥هـ، القلقشندي، مآثر الانافة، ٢٦٨/١–٢٦٩ .

٣٧ — الحسيني، دليل لمجموعة عبد الله شكر الصراف، مجلة المسكوكات، مجلد ١، ٢/٥٥ .

٣٨ — العش، النقود، ١/٣٠١ .

٣٩ — قامت الإمارة الصفارية في خراسان وفارس في القرن الثالث الهجري بجهود الأخوين يعقوب وعمرو ابني الليث الصفاري وتمكنا من السيطرة على مناطق واسعة إلا أن الخلافة استطاعت أن تكبح جماحهم وتوقع بهم الهزيمة عام ٢٦١هـ ثم أغرت بهم الدولة السامانية التي استطاعت أن تنتزع خراسان منهم وتأسر عمرو بن الليث وترسله إلى بغداد، وقد ورث محمد بن طاهر الدولة عن جده عمرو بن الليث حيث تولى فارس في خلافة المكتفي ومد نفوذه إلى عمان وكانت نهاية محمد بن طاهر على يد غلام كان لجده يدعى سبك السبكري الذي استطاع أسر محمد وإرساله إلى بغداد واضعا نهاية للإمارة الصفارية، أنظر : حيدر، الدويلات الإسلامية، ص٥٧ –٧٣ . حسن، تاريخ الإسلام، ٣/٦٥–٧٠ .

٤٠ — العش، النقود، ١/٣٠٣ .

٤١ — مسكويه، تجارب الأمم، ١/١٦ . ابن الأثير، الكامل، ٦/١٠٧ .

٤٢ — العش، النقود، ١/٣٠٣ .

٤٣ — مسكويه، تجارب الأمم، ١/١٦–١٩ . ابن الأثير، الكامل، ٦/١٣٦ .

٤٤ — العش، النقود، ١/٣٠٥ .

٤٥ — مسكويه، تجارب الأمم، ١/١٨–١٩ . لم يرد اسم عمان عند مسكويه ولكنها تابعة له إدارياً بسبب ضرب اسمه على النقود فيها .

٤٦ — توأم : تعرف الآن بالبوريمي تقع على بعد ٩٠ ميلاً جنوب شرق مدينة أبو ظبي وهي ملتقى كثير من طرق المواصلات في شرق الجزيرة العربية، أنظر : شركة الزيت العربية الأمريكية، عمان والساحل الجنوبي للخليج العربي، ص١٩٩ .

٤٧ — ياقوت، المشترك وضعاً، ص٨٤ .

٤٨ — يذكر المنبر أحياناً للتعبير عن اتخاذ المنطقة مقراً للرئيس أو الشيخ، أنظر عن المنبر : ناجي، مفهوم العرب للمدينة، ص٦٥–٦٧ .

٤٩ — Wilkinson, Water, p. 225, Oman and Muscat, p, 9.

٥٠ — المهدي بن سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي كان قد هاجر إلى هرمز مع قومه هربا من أعمال محمد بن بور الانتقامية، أنظر : العوتبي، الأنساب، ٢/٣٢٣ . السالمي، تحفة، ١/ ٢٥٩ .

٥١ — العوتبي، م. ن، والصفحة .

٥٢ – المسعودي، مروج الذهب، ١٠١/١ . لم نعثر على الإسم الصريح للقتّال في المصادر المتوفرة .

٥٣ – الطبري، تاريخ، ٤٠٦/١١ . مسكويه، تجارب الأمم، ١٨/١ .

٥٤ – م. ن، أعلاه .

٥٥ – م. ن، أعلاه .

٥٦ – يدل على سعة نفوذ القتّال في سواحل عمان أن المسعودي الذي كان في عمان عام ٣٠٤هـ عندما أراد التعريف بأحمد بن هلال أمير عمان آنذاك نسبه إلى القتّال، مروج الذهب ، ١٠٨/١ .

٥٧ – زامباور، معجم الأنساب، ص١٩٤ . العش، النقود، ٣٠٥/١ .

٥٨ – برزك، عجائب الهند، ص١٨، ٨٠ .

٥٩ – العش، النقود، ٣٠٥/١ .

٦٠ – أنظر : مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ٢٧٢/٤ . برزك، عجائب الهند، ص٤٩ . المسعودي، مروج الذهب، ١٩٧/١ . ابن الجوزي، المنتظم، ١٤٥/٦ .

٦١ – Miles, The countries and tribes, p. 92.

٦٢ – متز، الحضارة الإسلامية، ٢١٢/١ .

٦٣ – ابن الجوزي، المنتظم، ١٠٩/٦ . ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٦/١١ .

٦٤ – ابن الجوزي، م. ن، ١١٠/٦ . ابن كثير، م. ن، والصفحة .

٦٥ – م. ن، أعلاه .

٦٦ – ابن الجوزي، م. ن، ١٤٥/٦ .

٦٧ – الدجيلي، بيت المال، ص١٩٩–٢٠٠ .

٦٨ – التنوخي، نشوار المحاضرة، ٤٨/٤–٤٩ . ياقوت، معجم الأدباء، ٨٧/٨ .

٦٩ – م. ن، أعلاه .

٧٠ – الكبيسي، عصر الخليفة المقتدر، ص ٥٦٧ .

٧١ – برزك، عجائب الهند، ص٤٩ .

٧٢ – م. ن، ص١٢ .

٧٣ – زامباور، معجم الأنساب، ص١٤٩ . العش، النقود، ٣٠٦/١ . B. Bates, Notes and communications, p. 174.

٧٤ – ابن خلدون، تاريخ، ١٩٩/٤ .

٧٥ – عن توسعات أبي سعيد الجنابي في منطقة البحرين أنظر : ثابت بن سنان، تاريخ أخبار القرامطة، ص١٣-١٧ .

٧٦ – ناجي، دوافع قرامطة البحرين، ص٥٧، ٥٩ .

٧٧ – لأن البحرين وشرق الجزيرة العربية كانت تحت سيطرتهم كما أن اليمن كانت ضمن نفوذهم أيضاً والحجاز والطرق المؤدية إليه هدفاً لغاراتهم ولم تبق إلا عمان .

٧٨ – الحمادي اليماني، كشف أسرار الباطنية، ص٢٠٢ .

٧٩ – م. ن، ص٢٠٧ .

٨٠ – المسعودي، مروج الذهب، ٢٦٥/٤ . ثابت بن سنان، تاريخ أخبار القرامطة، ص١٥-١٦ . ابن الأثير، الكامل، ٩٤/٦-٩٥ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٨٣/١١ .

٨١ – Miles, The countries and tribes, p. 240.

٨٢ – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص١٦٢ . أنظر أيضاً : عارف، القرامطة، ص١٤٠ .

٨٣ – Wilkinson, Al-Bahrayn and Oman, p. 240. وعن الإمام محمد بن عبد الله الحداني واعتناقه المذهب الأباضي ينظر : الأزكوي، تاريخ عمان، ص٦١ . ابن رزيق، الفتح المبين، ص٤٣٧ . السالمي، تحفة، ٢٦٩/١ .

٨٤ – المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٣٤١ . ابن القاسم، غاية الأماني، ص٢٠٠ . ولكنه يضع هذه المحاولة في عام ٢٩٦هـ وفي ذلك تخليط .

٨٥ – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص١٦٢ .

٨٦ – م. ن، والصفحة .

٨٧ – المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٣٤١ .

٨٨ – Miles, The countries and tribes, p. 91.

٨٩ – Wilkinson, Al-Bahrayn and Oman, p. 240.

٩٠ – ترجع الصلة بين الخلافة والقبائل النزارية في عمان وخصوصاً بني سامة إلى عام ٢٧٨هـ عندما استنجد بنو سامة بالخلافة لمساعدتهم ضد القبائل اليمانية في أعقاب موقعة القاع، أنظر : الاصطخري، المسالك، ص٢٧ . ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٥ . العوتبي، الأنساب، ٢/ ٣٢١-٣٢٢ .

٩١ – قضى الخليفة المكتفي على حركات القرامطة في بلاد الشام كما استطاع القضاء على الطولونيين واسترجاع مصر عام ٢٩٤هـ، للتفاصيل ينظر : الدوري، دراسات في العصور العباسية، ص١٩٠ .

٩٢ – المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٣٤١ . أنظر أيضاً : ابن القاسم، غاية الأماني، ص٢٠٠ .

٩٣ – المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٣١١ .

٩٤ – الطبري، تاريخ، ٤٠٨/١١ . ثابت بن سنان، تاريخ أخبار القرامطة، ص٣٦ . ابن الأثير، الكامل، ١٤٧/٦ . ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢٢/١١ . الاحسائي، تحفة المستفيد، ص٨٦ .

٩٥ – Shapan, Islamic history, p. 153.

٩٦ – حصلت مكاتبات بين الخلافة والقرامطة في محاولة من الخلافة لتأمين الحاج أسفرت عن هدنة مؤقتة، أنظر : عريب، صلة، ١٣/١٢ . ثابت بن سنان، تاريخ أخبار القرامطة، ص٣٧ . ابن الجوزي، المنتظم، ١٣١/٦ . ابن الأثير، الكامل، ١٤٧/٦ . ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢٣/١١ .

٩٧ – عمر، مقدمة، ص٤٦ . Wilkinson, Al-Bahrayn and Oman, p. 241.

٩٨ – المسعودي، مروج الذهب، ١٠٨/١ .

٩٩ – الآزكوي، تاريخ عمان، ص٦٢ . ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٣٨ . السالمي، تحفة، ٢٦٥/١ .

١٠٠ – م. ن، أعلاه .

١٠١ – المسعودي، مروج الذهب، ١٠٨/١ .

١٠٢ – المسعودي، م. ن، ١٩٧/١ . مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ٢٧٢/٤ . عريب، صلة، ٣٥/١٢ . ابن الجوزي، المنتظم، ١٤٥/٦ . ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ١٩٢/٣ .

١٠٣ – Miles, The countries and tribes, p. 92.

١٠٤ – ابن الجوزي، المنتظم، ١٥٣/٦ . الذهبي، العبر، ١٣٣/٢ . ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٠/١١ . ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ١٩٧/٣ .

١٠٥ – عريب، صلة، ٧٠/١٢–٧١ . مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ٣٤٨/٤–٣٤٩ . مسكويه، تجارب الأمم، ٢٠١/١–٢٠٢ . ابن الأثير، الكامل، ٣٠٣/٦–٣٠٤ . الذهبي، العبر، ١٦٧/٣–١٦٨ .

١٠٦ – جوزي، من تاريخ الحركات الفكرية، ص١٨٨ .

١٠٧ – Wilkinson, Al-Bahrayn and Oman, p. 241.

١٠٨ – لأن البحرين وشرق الجزيرة العربية كانتا تحت سيطرتهم، كما أن اليمن كانت ضمن نفوذهم أيضاً، والحجاز والطرق المؤدية إليه هدفاً لغاراتهم، ولم تبق إلا عمان .

١٠٩ – جوزي، من تاريخ الحركات الفكرية، ص١٨٨ .

١١٠ – عريب، صلة، ٨٢/١٢ .

١١١ – عمر، مقدمة، ص٤٧ . Miles, The countries and tribes, p. 29 .

١١٢ – عريب، صلة، ٦٨/١٢ . ثابت بن سنان، تاريخ أخبار القرامطة، ص١٦ . ابن الأثير، الكامل، ١٨٦/٦–١٨٧ . ابن كثير، البداية والنهاية، ١٥٥/١١–١٥٦ .

١١٣ – ابن خلدون، تاريخ، ١٩٨/٤–١٩٩ .

١١٤ – Miles, The countries and tribes, p. 95.

١١٥ – ابن المقرب، ديوان ابن المقرب، ص٥٣١ . السالمي، العقد الثمين، ٥٥/١ . وأدم : إحدى المناطق الداخلية من عمان تقع إلى جنوب غرب نزوى، وصفها شيخ الربوة بأنها مسورة برية، نخبة الدهر، ص٢١٨ .

١١٦ – لوريمر، دليل الخليج العربي، ٢٤/١ .

١١٧ – لكاتب هذه الأسطر بحث عن إمارة بني وجيه في عمان سيرسل – إن شاء الله – إلى النشر قريباً .

المصادر العربية القديمة

☆ ابن الأثير، ابو الحسن عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ /١٢٣٢م) .

١ – الكامل في التاريخ، ط ٢، بيروت ١٩٦٧م .

☆ الأزكوي، سرحان بن سعيد (ت في حدود ١١٤٠هـ /١٧٢٨م)

٢ – تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق عبد المجيد القيسي، أبوظبي ١٩٧٦م.

☆ الأصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد (ت منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) .

٣ – المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مصر ١٩٦١م .

☆ برزك بن شهريار الناخذة الرامهرمزي (منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) .

٤ – عجائب الهند، بره وبحره وجزايره، ط ١، مصر ١٩٠٨م .

☆ البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت ٣٢٢هـ /٩٣٤م) .

٥ — الأقاليم، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى بغداد (وقد نسب خطأ إلى الاصطخري).

☆ **ابن تغري بردى**، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ /١٤٦٩م).

٦ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط ١، مصر ١٩٣٢م.

☆ **التنوخي**، أبو علي المحسن بن علي(ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م).

٧ — نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، ١٩٣٧م.

☆ **ثابت بن سنان** (ت٣٦٥هـ / ٩٧٥م).

٨ — تاريخ أخبار القرامطة، تحقيق سهيل زكار، بيروت ١٩٧١م.

☆ **ابن الجوزي**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ /١٢٠٠م).

٩ — المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط ١، حيدر آباد الدكن ١٣٥٨هـ.

☆ **الحمادي اليماني**، محمد بن مالك (ت. منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)

١٠ — كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق محمد زاهر الكوثري، ط ٢، ١٩٥٥م.

☆ **ابن حوقل**، أبو القاسم محمد بن علي (ت ٣٦٧هـ /٩٧٧م).

١١ — صورة الأرض، بيروت، بدون تاريخ.

☆ **الخطيب البغدادي**، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ /١٠٧٠م).

١٢ — تاريخ بغداد أو مدينة السلام، بيروت ١٩٣١م.

☆ **ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ /١٤٠٥م).

١٣ — العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط ٣، بيروت ١٩٧٦م.

☆ **ابن خلكان**، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ /١٢٨٢م).

١٤ — وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣م.

☆ **ابن رزيق**، حميد بن محمد (ت ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م).

١٥ — الشعاع الشاسع باللمعان في ذكر أئمة عمان، تحقيق عبد المنعم عامر، سلطنة عمان ١٩٧٨م.

١٦ — الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبد الله، سلطنة عمان ١٩٧٧م.

☆ **شيخ الربوة**، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م).

١٧ — نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لايبزك ١٩٢٣م.

☆ **الطبري**، أبوجعفر محمد بن جرير (ت. ٣١٠هـ /٩٢٢م).

١٨ – تاريخ الرسل والملوك، ط ١، مصر ١٩٠٨م .
☆ **عريب بن سعد القرطبي** (ت ٣٦٦هـ /٩٧٦م) .
١٩ – صلة تاريخ الطبري، ط ١، مصر ١٩٠٨م .
☆ **أبو الفدا**، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ /١٣٣١م)
٢٠ – تقويم البلدان، تحقيق ماك كوكين ديسلان، باريس ١٨٤٠م .
☆ **ابن القاسم**، يحيى بن الحسين (ت ١١٠٠هـ /١٦٨٨م) .
٢١ – غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٣٦م ..
☆ **القلقشندي**، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ /١٢١٨م) .
٢٢ – مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت ١٩٦٤م .
☆ **ابن كثير**، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٧٤هـ /١٣٧٢م) .
٢٣ – البداية والنهاية، بيروت١٩٦٧م .
☆ **المبرد**، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ /٨٩٨م) .
٢٤ – الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت .
☆ **المسعودي**، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ /٩٥٧م) .
٢٥ – التنبيه والأشراف، اعتنى بتصحيحه عبد الله إسماعيل الصاوي، ط ١، مصر ١٩٣٨م .
٢٦ – مروج الذهب ومعادن الجوهـــر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، القاهرة ١٩٧٤م .
☆ **مسكويه**، أبو علي أحمد بن عمر (ت ٤٢١هـ /١٠٣٠م) .
٢٧ – تجارب الأمم، اعتنى بتصحيحه هـ . ف. آمدروز، مصر ١٩١٤م .
☆ **المقدسي**، شمس الدين أبو عبد الله محمد الشافعي (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) .
٢٨ – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢، ليدن ١٩٠٦م .
☆ **ابن المقرب**، أبو الحسن علي (ت ٦٣٠هـ /١٢٣٢م) .
٢٩ – ديوان ابن المقرب، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ط ١، الاحساء ١٩٦٣م .
☆ **المقريزي**، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ /١٤٤١م) .
٣٠ – اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٧م .
☆ **مؤلف مجهول**، (ت حدود نهاية القرن الرابع الهجري/الحادي عشر الميلادي)
٣١ – العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود، النجف الأشرف ١٩٧٢م .

☆ **ياقوت الحموي**، شهاب الدين ياقــوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

٣٢ – المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، كوتنجن ١٨٤٦م .

٣٣ – معجم الأدباء، نشر دافيد صموئيل مرجليوث، مصر ١٩٣٨م .

المراجع العربية الحديثة

☆ **الاحسائي**، محمد بن عبد الله .

٣٤ – تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد، ط ١، مطابع الرياض ١٩٦٠م .

☆ **جوزي**، بندلي .

٣٥ – من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، دار الروائع، بيروت .

☆ **حسن**، حسن إبراهيم .

٣٦ – تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ٧، القاهرة ١٩٦٥م .

☆ **حيدر**، محمد علي .

٣٧ – الدويلات الإسلامية في المشرق، القاهرة ١٩٧٣م .

☆ **خليفات**، عوض .

٣٨ – نشأة الحركة الأباضية، عمّان ١٩٧٨م .

☆ **الدجيلي**، خولة شاكر .

٣٩ – بيت المال نشأته وتطوره من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع الهجري، بغداد ١٩٧٦م .

☆ **الدوري**، عبد العزيز .

٤٠ – دراسات في تاريخ العصور العباسية المتأخرة، بغداد ١٩٤٥م .

☆ **زامباور**، إدوارد فون .

٤١ – معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة وإخراج زكي محمد حسن ورفاقه، بيروت ١٩٨٠م .

☆ **السالمي**، نور الدين عبد الله بن حميد (ت ١٩١٣م) .

٤٢ – تحفة الأعيــان بسيرة أهل عمان، تحقيق أبو إسحق إبراهيم أطفيش، ط ٥، ١٩٧٤م .

٤٣ — العقد الثمين من فتاوى نور الدين، قام بتصحيحه وتحقيقه وترتيبه سالم بن حمد الحارثي، مصر ١٣٩٣هـ .

☆ السيابي، سالم بن حمود .

٤٤ — إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، بيروت ١٩٦٥م .

☆ شركة الزيت العربية الأمريكية .

٤٥ — عمان والساحل الجنوبي للخليج العربي، القاهرة ١٩٥٢م .

☆ عارف، ثامر .

٤٦ — القرامطة، أصلهم . . نشأتهم . . تاريخهم . . حروبهم، مكتبة الحياة، بيروت .

☆ عمر، فاروق .

٤٧ — تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى، ط ٢، بغداد ١٩٨٥م .

٤٨ — مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني، بغداد ١٩٧٩م .

☆ الكبيسي، حمدان عبد المجيد .

٤٩ — عصر الخليفة المقتدر بالله، النجف الأشرف ١٩٧٤م .

☆ لوريمر، ج. ج. .

٥٠ — دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر، بيروت ١٩٦٩م .

☆ متز، آدم .

٥١ — الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربيـة محمد عبد الهادي أبو ريده، ط ٤، بيروت ١٩٦٧م .

الدوريات العربية

٥٢ — الصراف، عبد الله شكر، ما ضرب من النقود باسم الخليفة المستكفي بعد خلعه، مجلة المسكوكات، تصدرها مديرية الآثار العراقية العامة، مجلد ١، الجزء ٢، سنة ١٩٦٩م .

٥٣ — الحسيني، محمد باقر، دليل لمجموعة عبد الله شكر الصراف ، مجلة المسكوكات، تصدرها مديرية الآثار العراقية العامة، جزء ٢، مجلد ١، سنة ١٩٦٩م .

٥٤ — ناجي، عبد الجبار، دوافع قرامطة البحرين في السيطرة على البصرة في القرن الرابع الهجري، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ٨، السنة السادسة ١٩٧٣م .

٥٥ – ناجي، عبد الجبار، مفهوم العرب للمدينة الإسلامية، مجلة المدينة العربية، العدد ١٥، السنة الثالثة، ١٩٨٤م .

المراجع والمقالات الأجنبية

☆ **Bates**, M. L

56 - Notes and communications, Unpublished Wajihid and Buyid coins from Oman in the American Numismatic society, in Arabian studies, Vol. , 1, 1974

☆ **Miles**, S. B,

57 - The countries and tribes of the (Arabian) Gulf, London, 1966.

☆ **Risso**, Patricia .

58 - Oman and Muscat, an early modern history, London 1986.

☆ **Shapan**, M. A.

59- Islamic history, new interpretation, London, 1976.

☆ **Wilkinson**, J. C.

60- Al-Bahrayn and Oman, Al-Watheekah, No. 7, 4th year.

61- The origin of the Omani state, in Arabian peninsula, ed, by Hop wood, London, 1972.

62- Sources for early history of Oman, Unpublished paper read in the first international symposium on studies in the history of Arabia, University of Riyadh, 1997.

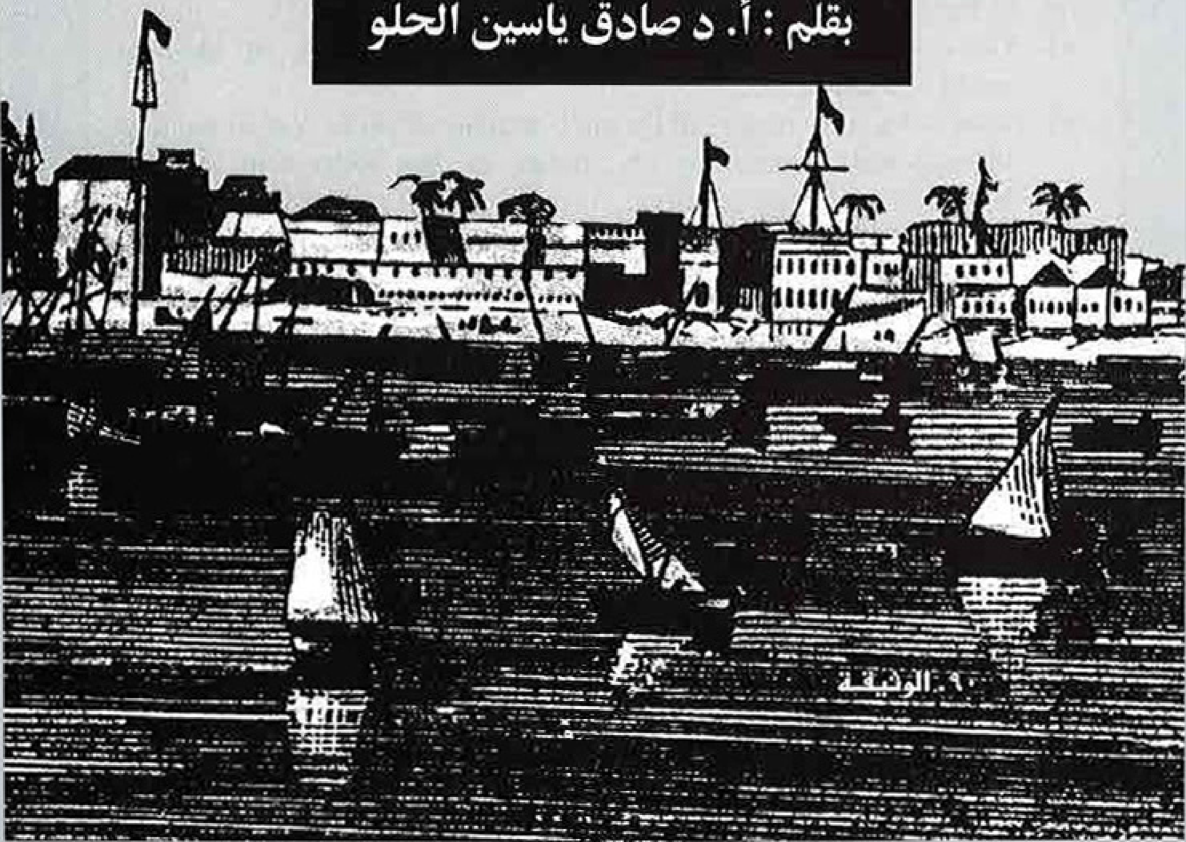
63- Water and tribal settlement in south-east Arabia, Studies of Aflaj of Oman, London, 1977.

السياسة البريطانية تجاه المشيخات في الساحل العماني

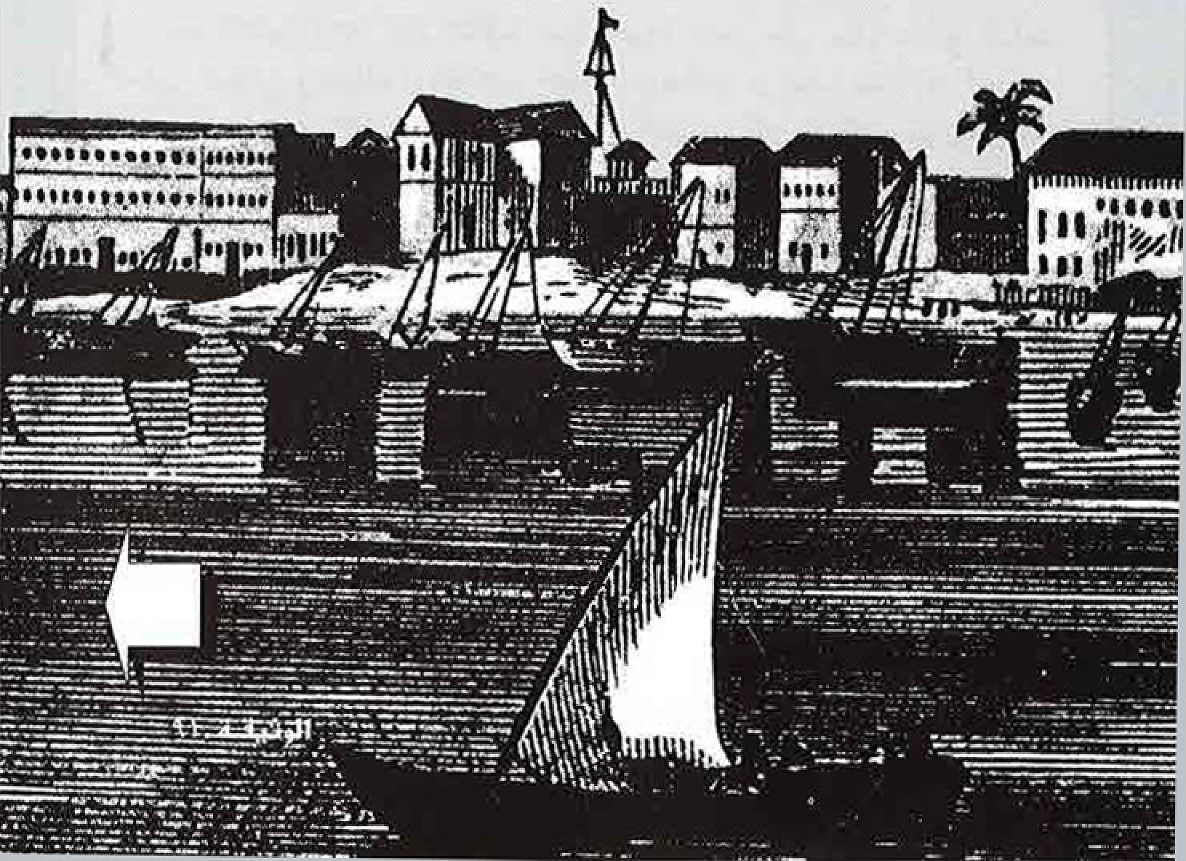
من المعاهدة الدائمة .. إلى المعاهدة المانعة

١٨٥٣ - ١٨٩٢م

بقلم : أ. د صادق ياسين الحلو



منذ أن فرضت بريطانيا معاهدة ١٨٢٠م العامة على مشايخ ساحل عمان الشمالي بعد غزوات عسكرية عديدة دمرت فيها الأساطيل البحرية للقوى العربية وأصبحت الحكم في النزاعات البحرية بينها، إذ اعتمدت سياسات تقضي بالحفاظ على الواقع الجديد القائم (Statu Quo) على تجزئة السلطة السياسية والحفاظ على السلم والهدوء وعدم السماح ببروز أية قوى بحرية عربية جديدة، كما جعلت من نفسها الرقيب على تنفيذ اتفاقيات الهدنات البحرية التي أخذت تجدد ولعشر سنوات ابتداء من اتفاقية ١٨٣٤م ثم أصبحت دائمة عام ١٨٥٣م . ومن خلالها تدخلت بريطانيا في النزاعات الداخلية التي كانت تدعي أنها تؤثر على الهدوء والتجارة في الخليج العربي، وانتهت أخيرا بالتصدي لأية قوة أجنبية إقليمية أو دولية تحاول التوسع باتجاه الساحل العماني أو تقيم علاقة معه كالفرس والعثمـانيين والفرنسيين،



الوثيقة ٩١

وتوجت بريطانيا سياستها تلك بعد الاتفاقية المانعة عام ١٨٩٢م، إذ تولت من خلالها السياسة الخارجية لمشايخ منطقة الساحل العماني الشمالي حتى عام ١٩٧١م، ولتحقيق تلك الأهداف اتبعت بريطانيا وسائل عديدة منها : الهدنة البحرية الدائمة، والاتفاقية المانعة، والتدخل البريطاني في النزاعات الداخلية في الساحل العماني الشمالي ثم الادعاء بضرورة إدخال التحديث إلى هذه المنطقة كخطوط التلغراف والسفن التجارية، وأخيراً الوقوف بوجه محاولات القوى الإقليمية والدولية لإنشاء علاقات مع مشايخ الساحل العماني الشمالي، وختمت كل ذلك بفرض ما يشبه الحماية من خلال المعاهدة المانعة .

وعلى أية حال يمكن تبين سمات السياسة البريطانية وأهدافها من خلال المحاور الآتية .

١ - السياسة البريطانية للحفاظ على السلم البحري من الاتفاقية الدائمة ١٨٥٣ إلى الاتفاقية المانعة ١٨٩٢م

تعد اتفاقية ١٨٣٥ أول اتفاقية هدنة بحرية تحظر على سائر مشايخ الساحل العماني الشمالي ورعاياهم الاشتباكات البحرية، وتعاقب من يقوم بها، وقد أعدت في البداية لتشمل صيد اللؤلؤ فقط، وبعد ذلك أصبحت هذه الهدنات سارية وتجدد كل سنة[١] .

وكان من الطبيعي بأن مشايخ الساحل العماني الشمالي كانوا يتطلعون أن يسود السلام البحري في المنطقة لمدة أطول، وتطابق ذلك مع أهداف مصالح السياسة البريطانية الاستراتيجية في الخليج العربي . ولهذا السبب قام هنيل المقيم البريطاني في الخليج العربي بإرسال مساعده كامبل في عام ١٨٤٣م لجمع آراء شيوخ ساحل عمان الشمالي من أجل تجديد الهدنة السنوية لفترة أطول تصل إلى عشر سنوات، وقد أعطى الشيوخ موافقتهم على ذلك[٢] .

وقعت تلك الاتفاقية في الأول من حزيران (يونيو) ١٨٤٣م[٣] . وأصبحت نافذة المفعول منذ ذلك التاريخ وانتهت في مارس ١٨٥٣م . نصت المادة الأولى منها على إيقاف

النزاعات البحرية بين مشايخ الساحل العماني الشمالي ورعاياهم، وتضمنت المادة الثانية تعهد الشيوخ بمعاقبة أولئك الرعايا الذين يهاجمون السفن قبل وصول الخبر إلى المقيم البريطاني، أما المادة الثالثة فقد تعهد الشيوخ فيها بتجديد الهدنة لمدة ثمان سنوات، وفي حالة عدم وجود اتفاق على تجديدها يجب إخبار المقيم البريطاني بذلك[٤].

ومن الملاحظ على هذه الهدنة البحرية عدم تناولها للصراعات البرية بين الشيوخ لأن المهم بالنسبة لبريطانيا هو تأمين سلامة الخطوط التجارية البحرية.

ولاشك أن النقاط الإيجابية للهدنة صبت باتجاه المصالح البريطانية، وزادت من تقوية الهيمنة والنفوذ البحري البريطاني، وهذا ما دفع بحكومة الهند البريطانية إلى تقليل عدد سفن المراقبة التي يتألف منها أسطولها في الخليج العربي، لاسيما أن القوى البحرية العربية كانت حريصة على استتباب الهدوء والأمن في مواسم صيد اللؤلؤ[٥].

وعلى الرغم من إشراف بريطانيا من خلال معاهدة ١٨٤٣م على زعماء الساحل العماني الشمالي لتطبيق مرادها فإن المشايخ أخذوا يشعرون بفائدتها ويتطلعون إلى تجديدها وتحويلها إلى نظام عام يمتد إلى عشر سنوات أو أكثر. ويذكر تقرير بريطاني بأن الساحل أصبح مثل غيره من بحار العالم الأخرى مفتوحاً أمام التجارة والملاحة لسفن الأمم الأخرى[٦].

غير أن أثر السياسة البريطانية وهدفها كان واضحاً كل الوضوح ولم ينحصر في السلم البحري فقط وإنما سعت نحو تفكيك الإمارات العربية والوقوف ضد أية حركة من حركات التوحيد السياسي لها، كما أن الحوادث البحرية قلت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولكن ذلك كما يرى الدكتور جمال زكريا قاسم لم يكن بفضل تلك المعاهدات فقط بل لأن هؤلاء العرب قد أخذوا يفقدون قوتهم البحرية بسبب فقدان أهم مصدر من مصادر قوتهم وثروتهم. فضلاً عن عدم قدرتهم على الاشتغال بالتجارة نظرا لعدم مقدرتهم على منافسة الملاحة التجارية في المحيط الهندي[٧].

وعلى أية حال لم يحدث ما يعكر تطبيق معاهدة عام ١٨٤٣م، إذساير المشايخ العرب في السنوات اللاحقة السياسة البريطانية، ولم يحاولوا تعكير صفو السلام البحري. وقبل انتهاء مدة المعاهدة في ٣١ مايو ١٨٥٣م أعطت حكومة بومباي تعليماتها

إلى كامبل مساعد المقيم البريطاني في الخليج العربي لزيارة الساحل العماني الشمالي، ولخوفه من عدم رغبة الشيوخ العرب لتجديد تلك المعاهدة سواء كان ذلك لفترة محددة أو لاتفاقية دائمة . كتب كامبل (قبل تحقيقه الزيارة) خلال صيف ١٨٥٢م إلى الشيوخ طالباً أفكارهم حول الموضوع، وكانت أجوبتهم مختلفة، فبعضهم مستعد لقبول مقترحات المقيم والبعض الآخر فضل إعطاء قراره عند زيارة المقيم للساحل، وكان كامبل يفضل اتفاقية دائمة بدلا من اتفاقية محدودة المدة وكان يشاطره هذا الرأي رجال السلطة في بومباي[٨] .

وصل كامبل في ٢١ مارس ١٨٥٣م إلى الشارقة لمفاوضة شيوخ الساحل العماني الشمالي لعقد اتفاقية بحرية دائمة، وقد وجد أن جميع الحكام دون استثناء راغبون في إبرام اتفاق بحري للهدنة الدائمة ، وفيما بين ٤ و٩ مايو ١٨٥٣م وقع شيوخ الشارقة ورأس الخيمة وأم القيوين وعجمان ودبي وأبو ظبي على معاهدة السلم البحرية الدائمة . واحتوت المعاهدة على ثلاث مواد جاء في المادة الأولى تعهد الموقعين على أن تتوقف جميع العمليات الحربية في البحر بين رعاياهم وأتباعهم، وأن تقوم هدنة حقيقية دائمة في البحر ضد ممتلكات رعايا وأتباع الأطراف الأخرى الموقعة على الاتفاق، وعليهم أن يدفعوا ما يترتب على تلك الاعتداءات من تعويض وغرامات . أما المادة الثالثة فجاء فيها أنه إذا ما حدث اعتداء على أي فرد في البحر من رعايا أحد منهم من جانب رعايا طرف آخر من الموقعين على المعاهدة فليس من حقه الرد وإنما يبلغ بالأمر المقيم البريطاني في الخليج العربي .

وتقوم الحكومة البريطانية بمراقبة الأمور في البحر وتعمل على تنفيذ شـروط المعاهدة[٩] . ومن أجل إعطاء أهمية لهذه المعاهدة أرسلت إلى الحاكم العام في الهند ليصادق عليها، بينما كان المقيم البريطاني في الخليج العربي هو الذي صادق على المعاهدات السابقة[١٠] .

لقد كان من أبرز نتائج هذه المعاهدة بقاء نظام الهدنة ساري المفعول[١١] حتى الانسحاب البريطاني من الخليج العربي في سبعينات القرن العشرين، إذ حرَّم البريطانيون بموجب هذا الاتفاق حروب البحر على إطلاقها، واتخذت الحكومة البريطانية من الاتفاق ذريعة لتشديد قبضتها على المشيخات تحقيقاً لإيجاد سلم دائم

يتماشى مع مصالحها حتى اتسمت علاقتها بالكثير من الظلم والإجحاف والغرامات التي كانت تفرضها على شيوخ الساحل العماني الشمالي بحجة مخالفتهم لنصوصه[١٢] .

ومن جانب آخر قام المقيم البريطاني في الخليج العربي استناداً إلى بنود المعاهدة بتفويض سلطته العسكرية لضباط البحرية في الخليج العربي، وأصدر أوامره إليهم بمنع الحروب فوق مياهه وبالتدخل مباشرة[١٣]، واستعمال القوة إذا لم تنفع الوسائل الأخرى .

ويبدو أن الحوادث البحرية تضاءلت بعد توقيع المعاهدة المانعة إذ يقول سالدانا بأنه ومنذ العام ١٨٥٤م أصبحت حوادث البحر تافهة كما يصفها المقيم البريطاني في الخليج العربي، إذ لا تتطلب تدخله المباشر، لذلك أوكل أمر معالجتها إلى الوكيل الوطني في الشارقة[١٤] .

لقد أساءت السلطات البريطانية استخدام قوتها في فرض الغرامات على المشيخات فكانت تلزم المشايخ بدفع مبالغ كبيرة من المال لأبسط الأسباب، فمثلاً ألزم شيخ أبو ظبي بدفع مائة ريال لأنه أطلق عيارات نارية على قطيع من الأغنام يملكه أحد رؤساء القبائل من غير أتباعه، واعترف بادجر بأن خزينة المقيم في بوشير امتلأت بالأموال نتيجة تلك الغرامات[١٥] .

وفي هذا الإطار يسوق لوريمر بعض الحوادث البحرية التي سميت بالاضطرابات البحرية في المراسلات الرسمية للمقيم البريطاني تمثل من وجهة نظره خرقاً لتلك الاتفاقية البحرية الدائمة وإجراءات المقيمين البريطانيين اتجاهها في فترات مختلفة . ففي عام ١٨٥٥م فرض على شيخ أبو ظبي دفع تعويض قدره ٦٠٠ جنيه عن دية رجل قتل على ظهر سفينة جنحت في خور العديْد تعود ملكيتها لتاجر من البحرين . وفي عام ١٨٥٧م فرض المقيم البريطاني غرامة قدرها ٢٥ ألف جنيه على شيخ الشارقة تدفع على شكل أقساط عقاباً على إرساله قوات في السنة الماضية للإسهام في محاولة إعادة الشيخ سعيد بن طحنون شيخ أبو ظبي السابق إلى الحكم[١٦] .

وفي عام ١٨٦٠م فرضت غرامة قدرها ١٨٠ جنيهاً على أحد أتباع شيخ الشارقة سلطان بن صقر دفعت كتعويض لأصحاب إحدى السفن من لنجة لكن حكومة بومباي لم تكتف بذلك بل فرضت غرامة أخرى قدرها ٥٠٠ جنيه بأوامر من حكومة بومباي[١٧] .

ورفع المقيم السياسي بيللي بين أعوام ١٨٦٦ – ١٨٦٨م تقارير إلى الحكومة البريطانية يذكر فيها عددا من الاعتداءات البحرية الصغيرة لكن لم يعد بمقدوره فرض الغرامات على مرتكبيها لأن البحرية الهندية أصبحت غير خاضعة لأوامره والتي أبدلت بالبحرية الملكية التي كانت مثقلة بالواجبات مما زاد من صعوبة موقف المقيم[١٨] .

ومن كل ذلك يتبين أن السياسة البريطانية كانت قد استخدمت الاتفاق الدائم ليس لتجزئة الساحل العماني الشمالي وضرب قواه البحرية فقط، وإنما كانت تبحث عن أية وسيلة تصيغها بصيغة قانونية لإفقار الشيوخ مالياً مثلما كان يفعل المقيمون تجاه حوادث البحر البسيطة أو ما كانوا يطلقون عليه اضطرابات بحرية .

ومن جانب آخر فإن هذا التفرد السياسي البريطاني في الساحل على مشيخاته أثمر وبخاصة في ثمانينات القرن التاسع عشر، إذ قلت فيه حتى تلك الاضطرابات البحرية البسيطة كما تؤكد تقارير المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي في تلك الفترة إذ جاء في التقرير السنوي الإداري البريطاني للمقيم السياسي في الخليج العربي Ross (روس) لعام ١٨٨٠–١٨٨١م عن الساحل العماني الشمالي "مرت السنة دون حدوث أية اضطرابات مهمة تزعزع الهدوء في البحر أو البر .

وبقي الشيوخ في حالة سلام مع بعضهم البعض، عدا بعض الغارات غير ذات أهمية قام بها قليل من البدو في رأس الخيمة وأخذوا فيها عدداً قليلاً من الجمال"[١٩] .

وفي تقرير لاحق للمقيم السياسي البريطاني نفسه لعام ١٨٨١ – ١٨٨٢م يقول : لا تغير حصل في حكومات الساحل إذ يواصل مختلف الشيوخ مراعاة تعهدات حكوماتهم والسلام مستتب في البحر والبر"[٢٠] .

ولا يختلف التقرير الذي كتبه المقيم السياسي (روس) لعام ١٨٨٢ – ١٨٨٣م في تأكيده على أنه "خلال العام ١٨٨٢ – ١٨٨٣ لم يحصل خرق للسلام البحري ولا يزال الشيوخ ملتزمين بتعهداتهم"[٢١] .

وتمضي التقارير اللاحقة للأعوام ١٨٨٣/١٨٨٤م و١٨٨٤/١٨٨٥م و١٨٨٥/١٨٨٦م و ١٨٨٦/١٨٨٧م في نفس الاتجاه، ولم تسجل أية حوادث بحرية تؤثر على السلام البحري[٢٢] .

أعانت تلك السلسلة من الإجراءات البريطانية بريطانيا على فرض سيطرتها البحرية في الساحل العماني الشمالي ومن ذلك طواف السفن الحربية، ومعاهدة الصلح الدائم ١٨٥٣م، وفرض الغرامات لإضعاف قدرات الشيوخ المالية، والإيغال في تجزئة مشيخات الساحل العماني الشمالي منعاً لأي اتحاد سياسي بينها ولم تكتف بريطانيا بذلك بل رغبت في أن تلجأ إلى وسيلة أقوى من تلك الإجراءات لتجعل من المشيخات أكثر ارتباطاً بها .

تحقق ذلك لبريطانيا عندما ربطت شيوخ الساحل باتفاقية جديدة تم التوقيع عليها عام ١٨٩٢ عرفت باسم الاتفاقية المانعة أو الأبدية[٢٣] .

مهدت أحداث خارجية تمثلت بوصول مبعوث فارس للتأثير على شيوخ الساحل في عام ١٨٨٧–١٨٨٨م وإقناعهم بإبدال النفوذ البريطاني بالفارسي، دفع ذلك المقيم البريطاني روس إلى الحضور إلى الساحل واستطاع الحصول من شيوخ أبوظبي وعجمان وأم القيوين والشارقة ودبي على ضمانات خطية تعهد كل منهم فيها بـ :

١ – عدم الدخول في مراسلات أو علاقات أو توقيع اتفاقيات مع أية جهة باستثناء الدولة البريطانية .

٢ – لن يسمح الشيوخ لوكيل أي حكومة أخرى بالإقامة في أرضه دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية، وقد رفعت حكومة الهند تلك التعهدات فوراً إلى وزير الدولة لشئوون الهند[٢٤] .

وفضلاً عن التحرك الفارسي، كان هناك تحرك عثماني للتدخل في الصراع بين أبوظبي وقطر حول العديد، وكذلك فرنسي تجاه شيخ أم القيوين[٢٥] .

كانت اتفاقية عام ١٨٩٢م وليدة لظروف داخلية وتحركات خارجية دفعت بالمقيم السياسي في الخليج تالبوت (Talbot) إلى رفعها إلى حكومة الهند وقد وقع عليها خمسة شيوخ من شيوخ الساحل العماني الشمالي في تواريخ مختلفة من شهر مارس ١٨٩٢م وهم شيوخ أبوظبي ودبي وعجمان والشارقة ورأس الخيمة[٢٦] .

تضمنت الاتفاقية التزامهم أصالة عن أنفسهم ونيابة عمن يرثهم أو يخلفهم بالشروط الآتية :

١ – ألا يدخلوا في أية اتفاقية أو أية مراسلات أو علاقات بدولة أجنبية عدا الحكومة البريطانية .

٢ – ألا يسمحوا لوكيل دولة أجنبية أخرى بالبقاء في أراضيهم دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية .

٣ – أن لا يمنحوا أي جزء من أراضيهم سواء عن طريق البيع أو الإيجار أو الرهن أو التنازل أو غير ذلك لاحتلال أي دولة أجنبية باستثناء بريطانيا[٢٧] .

صادق نائب الملكة بالهند على هذه الاتفاقية في ١٢ مايو ١٨٩٢م وبعدها صادقت عليها الحكومة البريطانية[٢٨] .

وبهذه الاتفاقية ضمنت بريطانيا سيطرتها المطلقة على مقدرات ساحل عمان الشمالي لمدة تزيد على ثلاثة أرباع القرن واستندت عليه للوقوف بوجه أية تطلعات ومنافسات نحو الساحل العماني الشمالي إقليمية أو دولية .

ومنعت الاتفاقية أيضاً أي تهديد لحدود الإمبراطورية البريطانية الهندية الشمالية وخطوط مواصلاتها مع أوروبا[٢٩] .

٢ – السياسة البريطانية وتحجيم النزاعات البحرية والمحلية بين مشايخ الساحل العماني الشمالي ١٨٥٣ – ١٨٩٢م .

كان الخط العام للسياسة البريطانية في الخليج العربي بعامة واتجاه الساحل العماني الشمالي بخاصة ألا تورط نفسها في النزاعات الداخلية بين مشايخ الساحل بالقدر الذي قد يؤثر على مصالحها، ولكنها تدخلت في أغلب الأحيان في نزاعات محلية بين مشايخ الساحل العماني الشمالي ادعت أنها قد تتوسع فتؤثر على نفوذها ومصالحها والسلام البحري في هذه المنطقة، ولذلك تدخل المقيم البريطاني السياسي في الخليج العربي أو وكيله الوطني لإيقافها .

وكثيراً ما كانت بريطانيا لا ترضى بقيام تعاون بين شيوخ الساحل العماني الشمالي والكيانات العربية المجاورة . ففي مطلع عام ١٨٥٤م استنجد السيد ثويني حاكم مسقط

بالشيخ سعيد بن طحنون لإمداده ببعض السفن والرجال للدفاع عن بندر عباس ضد الفرس، وقد استجاب الشيخ سعيد لتقديم المساعدة وخرج بأسطوله إلى البحر لكن السلطات البريطانية أرغمته على الرجوع إلى مينائه على أساس أن عمله هذا قد يؤدي إلى توسيع رقعة الاضطرابات وتحويله إلى حالة اضطراب عام في مياه البحار[٣٠] .

ففي أواخر عام ١٨٥٧م ساعد شيخ أبو ظبي زايد بن خليفة دبي ضد هجوم قامت به الشارقة على معسكر لقبيلة المزاريع وقتل أربعة رجال منهم، وقد حلت الهزيمة بالشارقة في شهر مارس من عام ١٨٥٨م، وبعدها تدخل وكيل المقيمية في الشارقة بين الأطراف المتصارعة، وإحلال الصلح فيما بينها[٣١] .

وهناك حادثة أخرى منعت فيها بريطانيا تعاون شيوخ الساحل العماني الشمالي مع إمام عمان لحسم قضايا داخلية فيها . ففي عام ١٨٦٧م طلب السيد تركي بن سعيد بن سلطان العون من جميع شيوخ الساحل العماني الشمالي غير أن السلطات البريطانية حذرتهم من القيام بأي شيء يؤدي إلى الاضطراب خاصة في مياه البحر لذلك لم يتجاوبوا مع السلطان[٣٢] .

وعندما قام الشيخ زايد بن خليفة عام ١٨٦٧م بمساعدة حاكم البحرين ضد قطر وتعرضت مدينة الدوحة إلى الأذى في أكتوبر من نفس العام وقدرت الخسائر بـ ٢٠٠ ألف روبية[٣٣] .

وجه المقيم البريطاني بيلي إنذاراً إلى الشيخ زايد يطلب إليه تبريرا لمشاركته في الهجوم على قطر وطلب إليه رد الغنائم التي استولى عليها من قطر إلى أصحابها وإن لم يفعل فإنه سيحاصر أبوظبي[٣٤] .

اضطر الشيخ زايد في ١٨٦٨م إلى الاستجابة لطلب المقيم البريطاني لرد الغنائم ووضع عليه ٢٥,٠٠٠ روبية كغرامة على أن يدفع منها تسعة آلاف فوراً والباقي يدفع على قسطين[٣٥] .

وتدخل المقيم البريطاني أيضاً في أكثر من مرة وفي فترات مختلفة في الصراع بين أبوظبي وقطر حول حماية قبيلة القبيسات التي أرادت الانفصال عن أبوظبي واستقرت في العديْد، وطلب الشيخ بطي بن خادم حماية حاكم قطر فسمع بذلك الشيخ زايد وأخبر

حاكم قطر بأنه لن يسكت عن ذلك لكن المقيم البريطاني حذر من أي محاولة تؤدي إلى حرب بين أبوظبي وقطر، واستمرت هذه الأوضاع حتى عام ١٨٨١م عندما عادت قبيلة القبيسات إلى أبوظبي . وفي منتصف عام ١٨٨١م بعث حاكم قطر برسالة إلى المقيم البريطاني يعبر فيها عن عزمه على إعمار العديْد، رفض المقيم البريطاني ذلك موضحا بأن العُدَيْد ضمن سيادة شيخ أبوظبي، لذلك فإنه يستحيل عليه السماح له أو لأحد رعاياه بالسكن بها[٣٦] .

وفي خضم تلك النزاعات بين شيوخ الساحل العماني الشمالي والكيانات العربية المجاورة تدخل المقيم البريطاني للقضاء على ما تبقى من بعض الحوادث الصغرى في مياه الخليج العربي وسببها هجرة بعض العاملين في صيد اللؤلؤ بديونهم والتزاماتهم من إقليم لآخر[٣٧] .

وبما أن هذه الظاهرة قد تعوق مواسم صيد اللؤلؤ التي أصبحت أهم مورد من موارد مشايخ الساحل العماني الشمالي وسكانه، سعى البريطانيون إلى أن يضعوا صيغة باتفاقية بين الشيوخ تنظم ذلك .

وقعت الاتفاقية في ٢٤ يونيو ١٨٧٩م من جانب شيوخ الساحل الشمالي وبحضور حاجي عبد الرحمن وكيل المقيمية في الشارقة وقد تعهد الشيوخ فيها بالآتي :

١ — إرجاع الهاربين إلى شيوخ المناطق التي هربوا منها .

٢ — أن يدفعوا غرامة ويكلفوا بالمستحقات على المدنيين إن هم أمروهم رغم طلب الآخرين لهم .

٣ — إذا سمح الشيخ للهاربين من المناطق الأخرى بممارسة صيد اللؤلؤ قبل أن يدفعوا الغرامة ويتعهد بالنفقات فعليه أن يدفع أربعة أمثال الغرامة ويتكفل بالنفقات كذلك .

٤ — إذا حدث اختلاف حول حقيقة أمر الهارب يعقد مجلس من المحكمين لحله، ولا يكون قرار المجلس نافذاً إلا بعد موافقة المقيم البريطاني عليه .

٥ — تدفع الغرامة المنصوص عليها بعد موافقة المقيم[٣٨] .

كان من أبرز نتائج هذا الاتفاق أن أصبحت سواحل صيد اللؤلؤ تحت رقابة السفن البريطانية واستطاع البريطانيون بهذا الاتفاق أن يسيطروا على الشيوخ في الداخل من خلال رعاياهم الذين يعملون بصيد اللؤلؤ ويقرضهم الرعايا البريطانيون من الهنود المنتشرين على طول الساحل العماني الشمالي في موسم الغوص وأثنائه على أن يعيدوا تلك المبالغ بعد انتهاء صيد اللؤلؤ، وإن لم يستطيعوا يكتبون صكوكاً برد تلك المبالغ ويشهد الشيوخ على التعهد كما يشهد عليه وكيل المقيمية(٣٩) .

وفي نهاية ثمانينات القرن التاسع عشر ١٨٨٥–١٨٨٦م تكررت محاولات حاكم قطر بضم العديْد والمطالبة بها، بل قامت قواته باحتلالها في صيف ١٨٨٦م وعندما سألهم المقيم البريطاني ...... بإرسال وحدة بحرية لإجبار حاكم قطر على الانسحاب، وعندما علم الأخير بتحرك القوة البريطانية ترك العديْد مسرعاً إلى قطر(٤٠) .

وفضلاً عن تلك المشاكل الحدودية مع قطر حدث اضطراب محلي آخر في فبراير ١٨٩٩م بين إمارتي الشارقة ودبي بسبب رفض الأولى دفع التعويضات عن بعض عمليات السلب التي قامت بها في صيف عام ١٨٨٩م، وعلى أثرها تحرك شيخ أبوظبي على رأس قواته باتجاه دبي لنصرة حليفه غير أن شيوخ أم القيوين ورأس الخيمة توسطوا بين الطرفين ولم تؤد وساطتهم إلى حل الخلاف وهذا ما دفع المقيم البريطاني إلى التدخل لفض النزاع(٤١) .

وبهذا يتضح أن البريطانيين لم يتركوا فرصة تتيح لهم التدخل في شئون الساحل العماني الشمالي حتى وإن كانت قضايا داخلية بحرية أو حتى برية أو مشاكل مع جيرانهم من المشايخ العرب الآخرين إلا وتدخلوا فيها بهدف تعزيز الهيمنة والسيطرة البريطانية على ذلك الساحل حتى وإن أضر ذلك بمصالح سكانه .

٣ – السياسة البريطانية والنشاطات السياسية العثمانية والفارسية والفرنسية في الساحل العماني الشمالي

في ضوء أهداف السياسة البريطانية الهادفة إلى الانفراد بالعلاقة مع ساحل عمان الشمالي، حرصت الحكومة البريطانية، ومن خلال المقيمين السياسيين في الخليج العربي

على عدم إفساح المجال أمام أية قوة خارجية، سواء كانت إقليمية أو دولية أو غيرها بإقامة علاقات سياسية واقتصادية معها .

وعلى ذلك، عندما أرسلت الدولة العثمانية حملتها على الاحساء عام ١٨٧١م وهدفها إخضاع نجد، كانت الشارقة ودبي وأبوظبي في الساحل العماني الشمالي من وجهة نظر العثمانيين داخلة ضمنه[٤٢] .

وقد نجحت الحكومة البريطانية في الضغط على الأتراك العثمانيين كي يقصروا عملياتهم على الاحساء وقطر فقط، وفي نفس الوقت، أي في يونيو ١٨٧١م أصدرت الحكومة تعليماتها للمقيم في الخليج العربي بالطلب إلى الشيوخ في الساحل العماني الشمالي بعدم الانضمام إلى أي من الطرفين المتصارعين آنذاك، آل سعود والأتراك العثمانيون[٤٣] .

ومن جانب آخر طلبت الحكومة البريطانية في احتجاج قدمته إلى الدولة العثمانية ألا تؤدي حملتها في نجد إلى قلب الأوضاع أو السلام الواقع على القبائل العربية في ساحل الخليج[٤٤] .

كما أثيرت مشكلة العُدَيْد في عام ١٨٧١م عندما كتب شيخ أبوظبي زايد بن خليفة رسالة إلى المقيم البريطاني في الخليج العربي طالباً منه فيها الموافقة على ردع القبيسات وإرجاعهم إلى سلطته، لكن المقيم رفض إعطاءه الموافقة على القتال[٤٥] .

وظلت هذه المشكلة قائمة حتى يونيو ١٨٧٧م عندما كتب مساعد المقيم البريطاني في الخليج إلى شيخ أبوظبي يخبره بأن حكومة الهند قررت إرجاع العُدَيد إلى سيادته . وقد دخلها الشيخ زايد دون قتال في ٢٦ مارس ١٨٧٨م، فاحتجت الدولة العثمانية على ذلك باعتبار أن العُديد تابعة لقطر، لكن حكومة الهند ردت بأن العُديْد تتبع إلى أبوظبي وبريطانيا ترتبط بمعاهدة معها[٤٦] .

وبذلك فشلت المحاولات العثمانية في مد سيطرتها البحرية السياسية على الساحل العماني الشمالي من خلال حملتها على نجد وقد كانت السياسة البريطانية هي الحائل دون تحقيق ذلك .

ولم يقتصر الأمر على الدولة العثمانية في محاولتها لمد نفوذها إلى الساحل العماني الشمالي بل كانت فارس هي القوة الإقليمية الأجنبية الثانية التي سعت في ثمانينات القرن التاسع عشر إلى احتلال بعض الجزر التابعة لمشايخ القواسم في الساحل العماني مثل سيري وطنب الكبرى والصغرى وأبوموسى، فيذكر التقرير السنوي للمقيم البريطاني في الخليج العربي لعام ١٨٨٧–١٨٨٨م أن جزر الطنب وسيري وأبو موسى التي تقع في الوسط بين الساحل الشرقي للخليج وساحل عمان كانت ومنذ أجيال من أملاك القواسم. ولكن في هذه السنة رفع حاكم فارس العلم الفارسي على جزيرة سيرس وقد احتج حاكم الشارقة القاسمي على ذلك[٤٧].

ومن جانب آخر قام الفرس في النصف الثاني من عام ١٨٨٧–١٨٨٨م بمحاولة للتدخل في شئون الساحل العماني الشمالي وأقنعوا بعض مشايخه برفع الأعلام الفارسية، وإقامة قاعدة لهم فيه واستبعاد النفوذ البريطاني، فيذكر لوريمر أن سارتيب حاجي (نائب الحاكم سابقاً في بوشهر)، ذهب في أغسطس عام ١٨٨٧م إلى ساحل عمان الشمالي، وعندما علم به المقيم البريطاني أمر يخت المقيم لورنس بتتبعه إلى أبوظبي التي نزل بها فزار دبي ثم رحل إلى لنجه . . .

وقد ذكر شيخ دبي بأن أحمد خان اقترح توثيق علاقات إيران بشيوخ الساحل العماني الشمالي لاستبعاد النفوذ البريطاني من الساحل. ثم عاد مرة أخرى عام ١٨٨٨م إلى المنطقة، على ظهر سفينة أهلية وأحضر معه أعلاماً فارسية لإقناع بعض الشيوخ برفعها على مناطق نفوذهم، ولكنه لم يستطع إقناع أحد منهم فعاد إلى فارس، وقد قدم الوفد الدبلوماسي البريطاني في طهران، احتجاجا على أعمال أحمد خان إلى الحكومة الفارسية التي استنكرت علناً عمله، ولكنها كرمته سراً. وقد أبلغ ذلك الإنذار الرسمي لفارس إلى شيوخ الساحل العماني الشمالي من خلال سفينة نائب صاحب الجلالة أوشيري[٤٨].

كان أبرز ما قام به المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي رداً على ذلك النشاط الفارسي، هو دخول مشايخ الساحل العماني الشمالي باتفاقية جديدة عام ١٨٧٧م تعهدوا فيها بعدم الدخول في مراسلات أو علاقات أو توقيع اتفاقيات مع أية دولة

باستثناء الدولة البريطانية، كذلك تعهدوا بعدم السماح لوكيل أية حكومة أخرى بالإقامة في أرضه دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية[٤٩].

كان النشاط السياسي الآخر ذا الطابع الدولي في الساحل العماني الشمالي هو نشاط فرنسا الذي قام به فرنسيان أحدهما شبو (Chpuy) عام ١٨٨٣م ثم زارها مرة أخرى عام ١٨٩١م، ورافقه مغامر فرنسي آخر يدعى ترومي، وقد زارا شيخ أم القيوين ثلاث مرات، فأقنعاه بكتابة رسالة يحملانها إلى رئيس جمهورية فرنسا لإقامة علاقات مع بلاده[٥٠].

كان هذا النشاط الفرنسي أحد الدوافع التي جعلت بريطانيا تعجل بتوقيع المعاهدة المانعة مع شيوخ الساحل العماني في عام ١٨٩٢م والتي جاء في أحد موادها ألا يدخل الشيوخ في علاقات إلا مع الدولة البريطانية.

وعلى ذلك كانت النشاطات السياسية الإقليمية والدولية عاملاً دفع بريطانيا لعقد اتفاقيات جديدة مع شيوخ الساحل العماني وأصبحت بفعلها تدير سياستهم الخارجية، وجابهت بقوة دبلوماسياً وبحرياً أية محاولة من القوى الأوروبية الأخرى أو المحلية المجاورة لإقامة علاقات سياسية أو اقتصادية مع شيوخ ذلك الساحل التي ظلت تهيمن عليه حتى سبعينات القرن العشرين.

أ. د. صادق ياسين الحلو

رئيس قسم التاريخ

كلية الآداب والألسن – جامعة ذمار

الهوامش

١ — ج. ج.، لوريمر، دليل الخليج، (القسم التاريخي)، جـ٢، ترجمة مكتب أمير دولة قطر، الدوحة، قطر، د. ت.، ص٢٧١ .

٢ — Humaidak (Ali), les Princes dornoir, Paris 1968, p. 17.

٣ — Selections from the records of the Bombay government, No. XXIV, new series, Bombay 1856, P. 85. Aitchison, (c. u.). a collection of treaties, engagements and neighboring countries, vol. VI, Calcutta 1892, p. 131.

٤ — Aitcheson, op. cit. vol. VI, p. 134-135.

٥ — Al-Hilo (Sadik), L'Europe et les proplems Maritimes du Golfe Arabe de1789-1857, vol. II, thees de Doctorat d'tate, un public, Universite Marsaille - Aix en province, France 1984, p. 649.

٦ — Kembell (A. R.), observations on the pastpolicy of the British government towards the Arab tribes of the (...) Gulf, selections from the records of the Bombay government no. XXIV new series, Bombay, 1856, p. 74.

٧ — جمال زكريا قاسم(الدكتور)، دراسة لتاريخ الإمارات العربية المتحدة ١٨٤٠-١٩١٤م، الكويت ١٩٧٢م، ص١٣٤ .

٨ — كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م، جـ١، ترجمة محمد أمين عبد الله، عمان، لا. ث.، ص٢٩٨-٢٩٩ .

٩ — Saldana, precis of Turkish Arabia Affairs 1801-1905 Calcutta,. 1906, pp. 244-245, records of the Emarate primary documents,1820-1958, vol. 3 (1820-1958), London, 1900, p. 221.

١٠ — صلاح العقاد (الدكتور)، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٢٢ .

١١ – كيلي، مرجع سابق، جـ١، ص١٣٤ .

١٢ – جمال زكريا قاسم، مرجع سابق، ص١٣٤ .

١٣ – عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، بريطانيا وإمارات الساحل العماني، بغداد ١٩٧٨، ص٢٧٤ .

Saldana, precis of correspondence regarding trucial chiefs 1854-1905, Calcutta,1906, p. 8. – ١٤

١٥ – صلاح العقاد، مرجع سابق، ص١٧٩ .

١٦ – لوريمر، مصدر سابق، القسم التاريخي، جـ٢، ص١٠٩٣-١٠٩٤ .

١٧ – المصدر نفسه، ص١٠٩٦-١٠٩٧ .

١٨ – المصدر نفسه، ص١٠٩٧ .

Annual report of the administration of the Gulf political residency and Muscat political agency for the year 1880-81, by L. C. Ross, Calcutta 1880, quotied in the Gulf administration reports, vol. II (1879-1883), no. CIXXI, p.3. – ١٩

Annual reports, op. cit for the year 1881-1882, by Ross, Calcutta, 1881, no. CIXXXS., p. 3. – ٢٠

Ibid, no. CXC, p. 3. – ٢١

Ibid, no. CXVIII, p. 3, no. CCVII, p. 4, no. CCXX,p. 7. – ٢٢

Hurewitz, J. C., The Middle East and North Africa in world politics, vol. 1, p. 464. – ٢٣

٢٤ – لوريمر، مصدر سابق، القسم التاريخي، جـ٢، ص١١١٨-١١١٩ .

٢٥ – عبد العزيز عبد الغني(الدكتور)، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، ١٨٥٨-١٩١٤، الرياض ١٩٨٢، ص٢٥٦ .

٢٦ – لوريمر، مصدر سابق، القسم التاريخي، جـ٢، ص١١٢٠ .

Aitchison, op. cit, p. 219. – ٢٧

Faruk, head-bey, from Trucial States to United Arab Emmarats, London, 1982, p. 294. – ٢٩

٣٠ – كيلي، مرجع سابق، جـ١، ص١٨٠–١٨١ .

٣١ – لوريمر، مصدر سابق، القسم التاريخي، جـ٢، ص١١٠٩ .

٣٢ – المصدر نفسه، ص١١٠٦ .

٣٣ – Records of the Emirate primary documents 1820-1958, vol. 3 (1853-1871), p. 528.

٣٤ – Ibid. 1 dec. 1867. vol. 3, p. 2.

٣٥ – A letter from Captain Knox to Major Dox dated 19 Jan. 1906, quotied in R. Bidwall, The Affair of Arabia 1905-1906, vol. 2, London, 1971, p. 59.

٣٦ – سالدانها، مصدر سابق، ص١٠٤–١٠٥ .

٣٧ – لوريمر، مصدر سابق، القسم التاريخي، جـ٢، ص١١٠١ .

٣٨ – Annual, op. cit vol. IIC 1879, no. CIXXC., p. 3.

٣٩ – عبد العزيزعبد الغني، بريطانيا وإمارات الساحل العماني، ص٢٨٧–٢٨٨ .

٤٠ – Annual report, op. cit vol. VI, p. 6.

٤١ – Ibid, vol. IV, p. 8.

٤٢ –لوريمر، مصدر سابق، القسم التاريخي، جـ٢، ص١٠٩٨ .

٤٣ – المصدر نفسه .

٤٤ – جمال زكريا قاسم، مرجع سابق، ص١٩٠ .

٤٥ – عبد العزيز عبد الغني، مرجع سابق، ص٣٠٨–٣١٣ .

٤٦ – المرجع نفسه، ص٣١٢–٣١٥ .

٤٧ – Annual report, op. cit vol. II, p. 7.

٤٨ – لوريمر، مرجع سابق، القسم التاريخي، جـ٢، ص١١١٧–١١١٨ .

٤٩ – المصدر نفسه، ص١١١٩ .

٥٠ – المصدر نفسه، ص١١١٩–١١٢٠ .

تحالف الدولة الحميرية

مع ممالك وسط الجزيرة العربية وشماليها

خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين ظهرت على طول الحدود الشمالية لدول جنوبي شبه الجزيرة العربية عدة ممالك عربية – صغيرة – سرعان ما تحولت إلى مصادر تهديد لجيرانها، ومن ضمنهم الدول العربية الجنوبية . وعندما كانت سلعة البخور تنقل براً كانت قبائل تلك الممالك تحصل على مبالغ مالية وعينية محددة، مقابل مرور القوافل التجارية على أراضيها . وكانت المبالغ تدفع على شكل إتاوات أو ضرائب أو ما شابه ذلك . وكان جزءٌ من سكان تلك المناطق ينحدر من جنوبي شبه جزيرة العرب . لذلك حافظت وبصورة دائمة على علاقات ود وتفاهم مع دول الجنوب .



السياسي والعسكري

بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين

بقلم : الدكتور

مهيوب غالب أحمد كليب

على أن الدول العربية الجنوبية كانت تتجاذب هذه العلاقات كي تستخدم القبائل ؛ كقوىً في صراعها مع بعضها البعض أو كخط دفاع أمامي على حدودها الشمالية من هجمات بعض القبائل البدوية أو الدول التي كانت تقطن في وسط شبه الجزيرة العربية وشماليها . وفضلاً عن ذلك استخدمت الإمكانات العسكرية لتلك الممالك في تأمين طرق القوافل التجارية التي كانت تقطع شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال والشمال الشرقي والعكس .



من جهتها حاولت تلك الممالك والقبائل أن تستفيد ليس فقط من التناقضات التي كانت قائمة ؛ بين مختلف دول جنوبي شبه الجزيرة ؛ ولكنها استفادت كذلك من الصراعات التي كانت قائمة بين الدولتين الكبرتين في ذلك الوقت (بيزنطة وفارس)، لينمو دورها فيما بعد – وبصورة فعالة – في الحياة السياسية لبلاد العرب الجنوبية . إذ تشكلت من بعض أفرادها، في وقت لاحق القوى الأساسية لما كان يعرف باسم الخيّالة، لملوك حمْير منذ منتصف القرن الرابع الميلادي . وبرز منها قادة عسكريون لعبوا أدواراً مهمة في الحروب التي كانت تقوم سواءً بين دولتي سبأ وحِمْير أو بين الحمْيريين وأعدائهم . من أولئك القادة ؛ سعد طالب يتلف الجدني [إيرياني ٣٢] . لقد كان هذا القائد أحد أبرز القادة العسكريين في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، أيام حكم الملك أسعد الكامل . وعندما وسع هذا الملك اللقب الطويل ؛ من ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة إلى ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وأعرابهم في طوده وتهامة (أي في الجبل والسهل)، كان ذلك إيذاناً ببدء حقبة تاريخية جديدة في تاريخ علاقات الدولة الحمْيرية مع بقية القبائل العربية، في وسط شبه الجزيرة العربية وشماليها .

لقد تم تناول موضوع علاقات الدولة العربية الجنوبية (ومنها الحميرية) بممالك وسط شبه الجزيرة العربية وشماليها، من زوايا معينة، وبشكل متناثر هنا وهناك، وفي هذه الدراسة سوف نحاول إعطاء تحليل متكامل لكافة جوانب تلك العلاقات ونتائجها،لكي يتضح المشهد التاريخي لها وبشكل جلي .

على أننا ونحن نتناول هذا الموضوع سوف لن نستطيع أن نتقيد بالحقبة الزمنية التي حددت سابقاً بل سنضطر للعودة – وإن بصورة سريعة – إلى عصر مبكر قليلاً، حين بدأت تلك الممالك بالظهور لكي تتضح الصورة للقارئ حول ظروف ظهورها والدور الذي أنيط بهم، ومن ثم كيف أصبحت تشكل مناطق استقطاب لأكثر من جهة خلال العصر التاريخي الذي حددناه في بداية هذا الموضوع . وسوف نحاول، وبصورة مختصرة، تحليل موضوع ظهور تلك الممالك وتطورها، ودورها ليس فقط في تاريخ شبه الجزيرة العربية في النصف الأول من الألف الأول الميلادي، ولكن أيضاً، دورها في تاريخ العلاقات الدولية للشرق الأدنى القديم في ذلك الوقت .

بداية التحالفات السياسية – العسكرية :

كانت الحقبة الزمنية الممتدة من القرن الثالث حتي نهاية القرن الخامس الميلاديين – وهي الحقبة الأخيرة في تاريخ الحضارة اليمنية القديمة – مليئة بالصراعات السياسية والعسكرية . فتصارعت عدة دول يمنية، وفي إطار الدول ذاتها تصارعت عائلات من أجل السلطة وقيادة البلد . وكان الصراع بين حِمْير وسبأ هو الأعنف والأسرع . وقد حسمت الأمور مع نهاية القرن الرابع الميلادي لصالح ملوك حمير، وأصبح الحميَريون يحكمون اليمن بصورة كاملة .

خلال تلك الحقبة – أيضاً – لوحظ زيادة نشاط القبائل العربية الشمالية، في وسط شبه الجزيرة وشماليها . وفي هذه الفترة جرت عمليات ؛ سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، هامة وعاصفة، تمكنت خلالها اليمن القديم من الولوج في صفحات عدة من التاريخ العالمي العام : تحول اليمن حينذاك إلى قوىً إقليمية تلعب دوراً مهماً في صياغة العلاقات الدولية . الأمر الذي اضطرت معه الدولتان الكبيرتان إلى أن تضع هذا الدور في مكانه المناسب عند صراعهما فيما بينهما حول المصالح الاقتصادية حينذاك .

وفضلاً عن ذلك وظفت القوتان الكبرتان الأحزاب الدينية (المسيحية واليهودية) في صراعهما من أجل تأمين مصالحهما في هذه المنطقة من العالم . وبالرغم من أن هذه الحقبة الزمنية كلها، كانت بمثابة فترة انتقالية (من العصر القديم إلى العصر الوسيط)، فقد برزت خلالها عدة ظواهر واتجاهات سياسية جديدة، اتضحت بأنها من معالم القرون الوسطى المبكرة . وهي أولاً: اتجاه البلد بكاملها نحو ضرورة التوحد . ثانياً: ظهور مؤسسة الأقيال، وهي المؤسسة التي سعت نحو استقلال حكام الأقاليم . ثالثاً : تقوية التعاون العسكري مع المناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية (أي مع الممالك الصغيرة التي ظهرت هناك) . إلا أن "طريق البخور" ، الذي كان يقطع شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال والعكس ؛ قد اشترط أن تمر فيه القوافل التجارية بأمان، وهو ما يعني وجود قوىً على طول تلك الطريق ؛ تؤمِّن مرور تلك القوافل، وتحافظ على المصالح الاقتصادية للقوى الإقليمية والدولية، في هذه المنطقة من العالم . وهي المهمة التي

كانت تضطلع بها الدولة العربية الجنوبية وحلفاؤها على طول شبه الجزيرة العربية. وقد تمثل أولئك الحلفاء؛ في تلك المحطات التي انتشرت على طول الطريق التجاري من جهة والممالك العربية التي بدأت بالظهور منذ مطلع العصر الميلادي، من الجهة الأخرى . وما يهم هنا هو هذه الممالك، التي سوف نتناولها مبتدئين بالأقدم – حسبما نعتقد – وهكذا . ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن أصل قبائلها، لأنه ليس موضوع البحث، ولكننا سنلامس هذا الجانب، في سياق الحديث كلما دعت الضرورة .

أولاً – مملكة كندة :

كِندة قبيلة قديمة تنحدر – بحسب معظم الإشارات – من جنوب شبه الجزيرة، برز منها ملوك حكموا تلك المملكة التي قامت في قرية، في بداية العصر الميلادي، وسميت باسمها. وهي إحدى ثلاث قبائل تكونت منهاتلك المملكة (كندة وقحطان ومذحج) . وقد ذكر الهمداني كِندة على أنها من اليمن؛ باعتبارها واحدة من عدة قبائل تنحدر من سبأ [الهمداني، الإكليل ٢٠٠٤، ١٣١] . وذكرت كندة، كذلك، على أنها : "قبيلة عظيمة من القبائل اليمنية التي تربعت أريكة المُلْك زمناً طويلاً بحضرموت ونجد ولها تاريخ حافل . . ." [الهمداني، ١٠٢] . وفي مصدر آخر : "كندة من كهلان واسمه ابن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد، وجميع كندة أصلان : معاوية والأشرس . فبطون معاوية الأكرمين بنو عمرو بن وهب وهم الملوك . وبطون الأشرس السَكون (بفتح السين وضمها والصدِف (بكسر الدال) وتُجيب (بضم التاء) . ومن كندة العوادر، فهذه قبائل كندة ." [طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، ١٩٨٥، ٤٩–٥٠، ٦٤–٦٥] . وذُكرت كندة في قصيدة نشوان بن سعيد الحميري في أكثر من موضع [ملوك حمير وأقيال اليمن، ١٩٨٦، ١٣٣، ١٣٦–١٣٨، ١٨١] . ويعتقد بعض الباحثين، أن كندة كانت بطناً من قبيلة مذحج . وأنها قد ظهرت في حوالي ١٨٠ ميلادية وربما قبل ذلك بكثير . قطنت قبائل كندة ومذحج في وسط شبه الجزيرة العربية . أي في منطقة الأفلج [Wissman H., 1964, p. 124-499] وفي مناطق أخرى (سنأتي على ذكرها فيما بعد) . إلا أن مذحج كانت قبيلة قائمة بذاتها . وقد أجرى بعض الأثريين من جامعة الرياض، تحريات في

أطلال قرية الفاو، حيث كانت تقع حاضرة مملكة كندة، وهي التي وحدت في القرنين الخامس والسادس الميلاديين مساحة واسعة هناك، أي في عصر كندة الجديدة — على رأي بيتروفسكي . وقد اتضح للمختصين في شئون تلك المنطقة، وبصورة مدهشة، المستوى الحضاري المتطور لتلك المدينة، وعلاقاتها المتعددة مع المناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية، التي كانت تقطنها قبائل بدوية مختلفة [بطرس غريازنيفتش، ٢، ١٩٨٩، ١٢٩-١٣٥] .

وتعاقب على "قرية" — حاضرة كندة — ملوك من عشائر مختلفة . نعرف على الأقل من خلال المصادر ملوكاً من قحطان وملوكاً من كندة . فقد وجدت البعثة الأثرية التابعة لجامعة الرياض شاهداً على قبر في "قرية" ذاتها، باسم معاوية بن ربيعة ملك قحطان ومذحج [عبد الرحمن الأنصاري، ١٣٩٩، ٩، ك. روبان، ١٩٨٧، ٩١، م. بتروفسكي، ١٩٨٥، ١٨] مع العلم أن النصوص النقشية التالية كانت تتحدث عن ملوك كندة ومذحج — كما سنرى فيما بعد — .

إننا نعتقد أن مملكة كندة قد ظهرت في وقت مبكر أكثر مما افترضه هيرمان ويسمان، على اعتبار أنه عندما وصل الملك السبئي (شعر أوتر) إلى الحكم، كانت كندة موجودة، وأصبح لها وزنها في طريق القوافل التجارية، التي كانت تمر عبر أراضي كندة ذاتها شرقاً نحو الخليج . وبفضل موقعها على طريق القوافل التجارية فقد لعبت دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية والسياسية لمنطقة وسط شبه الجزيرة خلال القرنين الثاني والرابع الميلاديين، وهو عصر كندة الأول، أو عصر كندة القديمة، وكذلك في القرنين الخامس والسادس، وهو عصر كندة الثاني، أو عصر كندة الجديدة . وبحسب بافقيه فإن "علماء الأنساب ينسبون كندة إلى جد أسطوري هو كنــدة المسمى أيضـاً ثور بن عفير الخ . .، وقيل ثور بن مرتع بن معاوية الخ . ." [محمد عبد القادر بافقيه، روبان بيستون ومحمود الغول، ١٩٨٥، ٢٢٥] . وتشير بيجوليفسكايا ؛ إلى أن الكِنْديين قد عاشوا قبل هجرتهم تلك في منطقة كان مركزها "دمون" [بيجوليفسكايا ن. ف.، ١٩٨٣، ١٥٣، بيتروفسكي، ١٩٨٤، ٦٠] . ولعل بيجوليفسكايا تقصد هنا، الهجرة الثانية لكندة في مرحلتها الجديدة وليست القديمة . أي أن شطراً من قبائل كندة قد اضطر إلى الهجرة من جنوب شبه الجزيرة إلى مناطق جديدة في وسط شبه الجزيرة وشمال غربيها، بسبب

الاضطرابات التي حدثت في الجنوب، ربما عند ملتقى العصر الميلادي [شهدت بلاد العرب الجنوبية في تلك الفترة أحداثاً تاريخية مهمة عند ملتقى العصر الميلادي غيرت الخارطة السياسية والديموجرافية في المنطقة، مثل : حملة إليوس جالوس، تحول قسم كبير من التجارة الدولية إلى البحر، انتفاضة الحميريين وتأسيس دولتهم في جنوب غرب بلاد العرب الجنوبية الخ. .] . وفي طريق هجرتهم، سلك الكِنْديون الطريق التقليدية التي كانت تسلكها القوافل التجارية، ثم انتشر المهاجرون في مناطق شتى من وسط الجزيرة وشماليها (بلاد معد وبعض مناطق العراق وفينيقية "بلاد النخيل" وفلسطين وسوريا)، ومزجوا بين حياة البداوة والحضر على عكس مدن القوافل التي تأسست فيها مدن دول مثل ؛ تدمر والبتراء والحضر [يوسف محمد عبد الله، ١٩٩٠، ٦٠] . على أن المدينة (أي مدينة)، تنشأ كنتيجة لتطور الزراعة، ومن ثم وجود السوق الذي يضم مصالح مجموعات اجتماعية مختلفة، حقاً أو باطلاً .

في المدينة يتوحد الناس على أساس المصالح الاقتصادية . ومع ذلك تتطلب عملية حماية تلك الوحدة : إدارة، ثم دولة، وهو ما أدى فيما بعد إلى ظهور دولة المدينة . ودولة كندة لا تشذ عن هذه القاعدة، على الأقل في بعض جوانب تاريخ ظهورها . بمعنى أن مملكة كندة قد ظهرت قبل نهاية القرن الثاني الميلادي بوقت طويل، وأنها قد نشأت على أنقاض مدينة تجارية كانت تقع في تلك المنطقة التي تسمى "قرية"، باعتبارها محطة على "طريق البخور" . فهي لذلك مدينة بظهورها للدور الذي قامت به، في خدمة القوافل التجارية، والذي استمر مئات السنين . بمعنى أنه كان ظهور كندة مرتبط بعوامل موضوعية؛ أبرزها كمدينة في طريق القوافل التجارية الذي لابد من القيام به على أكمل وجه . ومن ذلك تأمين مرور القوافل التجارية من أي تعدٍ عليها . وذاتية؛ لأن توفر الإمكانات المالية والاقتصادية، ووجود أكثر من قبيلة هناك، ربما دخلت في صراع فيما بينها على الثروة التي تحصل عليها من ضرائب مرور التجارة، الأمر الذي أدى إلى ؛ إما أن تتحالف قحطان وكندة من أجل إدارة المدينة وضواحيها، مقابل قبيلة مذحج الكبيرة . وإما أن سبأ قد تدخلت وفرضت ؛ قبيلة قحطان، كي تحكم الكل . وعندما بدأت تتمرد على السبئيين – على ما يبدو – بسبب قلة الدخل المالي الذي كانت تحصل عليه، أرسلت حملة عسكرية من قِبل السبئيين لتأديبها، بل وفرضت كندة

كحاكمة على قحطان ومذحج، وهكذا . خاصة إذا ما تذكرنا أن معظم القوافل التجارية في تلك الفترة كانت قد تحولت إلى الطريق البحري . كما أن المضايقات التي كانت تتعرض لها القوافل التجارية من السبئيين ، وكذلك محاولتهم المستمرة في وضع الدول المنتجة للبخور تحت تأثيرها، قد أديا إلى أن تبحث تلك الدول عن طريق آخر لتصريف تجارتها بعيداً عن تأثير سبأ، وهو ما أكده ويسمان . إذ يرى أن أسباب الحملة التي أمر بها الملك السبئي شعر أوتر، كانت نتيجة للتحالف السياسي والعسكري الذي تم بين كل من كندة وأكسوم وحضرموت وبمباركة ودعم نجران [Wissman H. 1964, 432] .

وفي المصادر النقشية توجد إشارات عدة حول مملكة كندة، بعضها يعود إلى زمن حكم الملك السبئي شعر أوتر (Ja 635) وبعضها يعود إلى زمن حكم الملك الشرح يحضب وأخيه يازل بين، ملكي سبأ وذي ريدان [Ja ٥٧٦-٢١١٠] . وهناك نقش غير محدد بزمن، لكن المرجح أنه يعود إلى المرحلة البتعية ["بني بتع: قبيلة تنتمي إلى مجموعة قبائل سمعي التي عاشت حول صنعاء" Ja 634] . يشير أحد النقوش التي تعود إلى مرحلة شعر أوتر ملك سبأ وذي ريدان، بأنه أرسل حملات تأديبية ضد أمراء بعض تلك الممالك في وسط الجزيرة ومنهم ملك كندة، ربيعة آل ثور [Ja 635] . ففيه : ب ع ل ي / ر ب ع ت / ذ ا ل / ث و ر م / م ل ك / ك د ت / و ق ح ط ن / و ب ع ل ي / ا ب ع ل / هـ ج ر ن /ق ر ي ت م [الأسطر ٢٦-٢٨] . واضح أن هذه الأسطر تتحدث حول حملة عسكرية قامت بها القوات السبئية على قرية، حاضرة كندة وضد ملكها ربيعة آل ثور ؛ ملك كندة وقحطان . وفي الأسطر [٣٣-٣٥]، يقود أبكرب أحرس قوات شعر أوتر ؛ في حملة لمحاربة عشيرة يحابر التي كانت موالية لكندة . ويحابر هذه يبدو أنها من مذحج وأن مذحج – كما لاحظنا سابقاً – كان يحكمها ملوك من قحطان أولاً، ومن كندة ثانيا [Ja ٢١١٠، السطران ٨-٩]، م ل ك م / ب ن / ب د / م ل ك / ك د ت . ولعل الحديث يجري عن مالك بن بدة ؛ ملك كندة ؛ بمعنى أن الحكام كانوا من كندة، لكن مذحج كانت القبيلة الرئيسية هناك، ولا نعرف لماذا لم يبرز ملوك من بين أفرادها . على أن النقش [Ja ٦٣٤]، وهو يعود إلى المرحلة إياها التي كانت تعرف باسم المرحلة البتعية، يذكر فقط "قرية"، التي هي حاضرة كندة [السطران الرابع والخامس] . أما النقش [Ja ٥٧٦، السطران ٢-٣] فيتحدث عن حملة قامت بها قوات الملك السبئي

الشرح يحضب وأخوه يازل بين على كندة لتأديب ملك كندة وكبار قومها الذين أخلوا بالضمان الذي التزموا به للمقه عن امرئ القيس بن عوف ملك الخصاصات . وفي مأرب ظل ملك كندة وكبراؤها حتى أحضروا امرأ القيس . وبعدها دفعوا غرامة للمقه وللملكين السبئيين، يذكرها النقش بالتفصيل . وملك كندة هنا هو مالك بن بدة كما جاء في النقش . لذلك سعى، ملوك جنوب شبه الجزيرة على أن تبقى كندة ضمن حقل رقابتهم من ناحية، وعلى وفاق معها على الناحية الأخرى . . ومع ذلك لم تدم تلك العلاقات السلمية طويلا .

إن كندة، من المحتمل، قد استفادت من الفترة الممتدة منذ وفاة شعر أوتر وظهور الملك الشرح يحضب الثاني وأخيه يازل بين ؛ ملكي سبأ وذي ريدان، وهي فترة امتدت حوالي عقدين من السنين . وحاولت مد جسور العلاقة من جديد مع الحلف السابق الذي ذكرناه قبل قليل (حضرموت وكندة وأكسوم ونجران)، كي تتحلل من التزاماتها تجاه سبأ . أو ربما دخلت قوىً جديدة على الخط، لتساعد كندة على فك ارتباطها بسبأ، مثل حمير . ولهذا السبب أرسل الملك السبئي الشرح يحضب، بعثة دبلوماسية إلى الحارث بن كعب ملك الأسد، وإلى مالك بن بدة، ملك كندة ومذحج، وإلى آخرين غيرهما في وسط شبه الجزيرة العربية [Ja ٢١١٠ ؛ على أن مهمة تلك البعثة ليست واضحة ولكن من المؤكد أن حمــاية القوافل التجارية والتحالفات السياسية كانت حاضرة . خاصة إذا كنا نعرف أن الصراع السبئي الحميري كان على أشده في تلك الفترة ؛ أنظر : الأسطر ٨-١٠ في النقش ذاته، كذلك : م. بتروفسكي، ١٩٨٥، ١٨]، يخطب ود هذه الممالك، وفي مقدمتهم كندة . لقد كانت تلك القبائل ومعها أمراؤها مضطرة على أن تبقي على نــوع من العلاقات، ســواء مع ســبأ أو مع حمير فيما بعد [Wissman H. ،١٩٦٤ ،٤٧٤] .

لذلك فإننا نعتقد أن العصر الأول من تاريخ دولة كندة قد اقتصر على علاقات هذه الدولة بالسبئيين وبعض الممالك الأخرى كمملكة حضرموت، وأن المعلومات المستقاة من المصادر النقشية، التي أوردناها سابقاً لايرد فيها ذكر للحميريين . ربما لأن سبأ ارتبطت مع كندة باتفاقيات ألزمتها بعدم الخروج عنها . بالرغم من أنها كانت قد حاولت أن تتحلل من التزاماتها التي كانت مع سبأ (كما سبق) . إلا أن الملك الشرح يحضب وأخيه

يازل بين، ملكي سبأ وذي ريدان، ربما رجحا أن القوة وحدها ليست ناجحة في كل الحالات، ولذلك عادا واتبعا سياسة سلمية مع كندة، ومن ثم أرسلت سفارة إلى هناك عند منتصف القـرن الثالث الميلادي [Ja ٢١١٠] . إن ذكـر حضـر موت في النقش [Ja ٦٣٤]، لأنها كانت إحدى الممالك القديمة التي تصدر "الطيوب" وأنها قد حاولت غير مرة أن تقيم علاقة مباشرة مع بعض من تلك الممالك، لكي تتمكن من تصريف منتجاتها بعيداً عن تأثير سبأ . فضلاً عن ذلك فإن العلاقات التجارية الدولية للحميريين كانت – على الأغلب – تتم عن طريق البحر . إلا أن المعادلة تغيرت بشكل جذري مع نهاية القرن الثالث الميلادي، حين توحدت سبأ مع حمير وأصبحت الدولة الحميرية هي القوة المسيطرة على الأمور فيما يعرف بالمرتفعات الغربية . وكون مملكة كندة في عصرها ذاك قد تأسست من اتحاد ثلاث قبائل هي ؛ قحطان ومذحج ثم كندة وقحطان وأخيراً كندة ومذحج . وبسبب التحالفات التي كانت قائمة بين سبأ وحضر موت من جهة وبين كندة ومعها نزار والأسديون، فإنه يمكن لنا أن نتفهم الجو العدائي الذي حدث من هذه القبائل، ضد الملك الحميري شمر يهرعش بعد توحيد سبأ وحِمْيَر، وإجبار حضر موت على الخضوع للدولة الحميرية .

كندة خلال القرنين الرابع والسادس الميلاديين :

خلال النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، وتحديداً حتى العقد الأخير من القرن الثالث لم يعثر الباحثون – إلى الآن على الأقل – على مصادر نقشية تتحدث عن علاقات الدولة الحميرية مع دولة كندة . وفقط في العقد الأخير منه، وذلك عندما انتقل الملك شمر يهرعش إلى مأرب، لمتابعة القوات الحميرية وحلفائها من الأعراب في أثناء تقدمها شرقاً نحو حضرموت، بدأت النقوش تتحدث عن علاقات حمير مع قبائل وسط شبه الجزيرة العربية . بمعنى أنه في أثناء حرب الملك الحميري شمر يـهرعش (عند بداية القرن الرابع الميلادي) على حضرموت وبعدها، حدثت "حركة تمرد واسعة بين أعراب وسط شبه الجزيرة العربية"، وكذلك قبائل السراة . وبذلك توجهت مجموعات كبيرة نحو الجنوب لتتجمع كلها عند جوف صعدة [Ja ٦٥٨ و٦٤٨]، قارن كذلك :

مهيوب غالب أحمد،٢٠٠٣، ١٧١] . ثم اتجهت مجموعة أخرى بقيادة الحارث بن كعب ملك الأُسد [٦٦٠ Ja الأسطر ١١-١٣]، إلى مأرب مباشرة، وبعد عدة مناوشات هناك، تم أسر الحارث وسجنه لدى الملك شمر يهرعش (السطران ١٨-١٩) [محمد عبد القادر بافقيه وآخرون، ١٩٨٥، ٢٣٥]، في سجن مأرب، والذي ذكر كذلك في نقش (عنان ٢٢) بـ "ذ خ ز ف ن" . وكان من الطبيعي أن تشترك مع مجموعة مالك، تلك العناصر القبلية التي ارتبطت بمصالح اقتصادية مع كل من نجران وحضرموت [مهيوب غالب أحمد . ١٧١، ٢٠٠٣] . إذ أننا نعرف أن ملوك حضرموت كانوا، خلال القرنين الثاني والثالث، على علاقة جيدة مع ملوك قبائل وسط شبه الجزيرة، وكان من بين العناصر التي تقع ضمن دائرة نفوذهم، جماعات أعراب وقرشيين وأزديين كثيرين . مع العلم أن الأزد كانوا متحالفين في فترة من الفترات مع حضرموت [Ja ٩٥٧]، وارتبطوا مع أحد ملوك حضرموت بعلاقات زواج . في الوقت نفسه يشير أحد النقوش [شرف الدين ٣٢، السطر ٤] ؛ إلى أن كندة قد وقفت إلى جانب الملك شمر في حربه ضد حضرموت وذلك عندما أرسلت وحدة من جيشها للقتال معه . مع العلم أن نقشاً آخر هو ؛ [بيحان ٥، السطر ٧] يشير إلى أن كندة أيضاً وقفت إلى جانب حضرموت . فهل كتب النقشان في وقت واحد، أم أنه يوجد فارق زمني بينهما، حدث خلاله تطور معين استدعى انتقال كندة من موقع لآخر؟ .

إننا نعتقد أن المجاميع الكِندية قد حاربت في البداية مع حضرموت على أمل أنها ستسترد استقلالها كدولة . وعندما لم تتمكن من ذلك تحول الكنديون إلى جانب القوات الحمْيرية . وهذا ما ينسجم مع تطور الأحداث التي ترد في النقوش الثلاثة [بيحان ٥ وارياني ٣٢ وجام ٦٦٥] .

على أن سير الأحداث قد أكد أن الوحدات البدوية ومنها بعض من جيش كندة ؛ قد قاتلت مع حضرموت لثلاثة عقود ضد الحميريين [س.فرانتسوف، ٢٠٠٤، ٦٨ ؛ كذلك : ك. روبان، ١٩٨٧، ٩٨] . ومن جهته استغل الملك اللخمي امرؤ القيس بن عمرو الوضع المضطرب في جنوبي شبه الجزيرة وانتقال القوات القبلية لكثير من الممالك في وسطها إلى مأرب، وقام بحملات عسكرية عليها حتى وصلت قواته إلى مشارف نجران

(نقش النمارة والفاو، والذي سنأتي على ذكره لاحقاً) . وحتى نهاية القرن الثالث الميلادي تمكن شمر يهرعش من توحيد معظم مناطق جنوبي بلاد العرب، ضمت أراضي الدولتين ؛ الحميرية والسبئية وجزءً كبيراً من أراضي مملكة حضرموت .

قرر بعد ذلك – على ما يبدو – الملك الحمْيري أن يحل المشكلات التي برزت في طريق القوافل التجارية، التي كانت تخترق شبه الجزيرة العربية، جيئة وذهاباً . ومن ثم تسوية علاقاته مع الدولتين الكبريين (بيزنطة وفارس) آنذاك من موقع قوي . ومن هذا المنطلق يجب أن ننظر إلى النشاط العسكري والدبلوماسي لصاحب نقش شرف الدين، والذي كان يدعى ريمان ذو حز فر [Sh ٣١]، وأن الحملات العسكرية التي قادها هذا القائد والموظف ضد كل من سهرتا وقبيلة الأسدين، إنما كانت بتكليف من سيده شمر يهرعش ؛ ملك سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنة . وقد تمكن ريمان من إخضاع قبيلة الأسديين وأسر ملكها – كما ذكرنا سابقاً – ويبدو أن ريمان كان على دراية بتلك المناطق التي كلف بالسفر إليها في وسط الجزيرة العربية وشماليها . وعند مقابلته لملك الأسد نلاحظ أنه تقابل مع مالك بن كعب وليس الحارث، الأمر الذي يعني أن قبيلته (سيجري الحديث عن الأسد لاحقاً) ؛ إما أنها قد استبعدته، وإما أن المهمة التي قام بها ريمان تمت بعد أن كان قد توفى الحارث أو اختفى من المسرح السياسي . ثم واصل ريمان رحلته فبلغ مناطق جنوبي العراق [م. بتروفسكي ١٩٨٥، ١٨ ؛ كذلك أ. لوندين ١٩٧٤، ٩٥–١٠٤] . أي أن الدبلوماسي الحميري قد وصل إلى طيسفون (المدائن، عاصمة فارس) وكوك وتنوخ (وهي مدينة ؛ كانت تقع في عمق الأراضي الفارسية حينذاك)، في جنوبي العراق . إن التنوخيين – حسب بعض المعلومات – قد انتقلوا في مطلع القرن الثالث الميلادي من الاحساء (البحرين) إلى الحيرة، مستغلين صراع الفرس فيما بينهم (الفرثيين والساسانيين) على الحكم [أحمد ارحيم هبو، ١٩٩٠، ١١٦ ؛ كذلك عبد الله الشيبة، ١٩٩٠، ٣٨٢] .

وبالنتيجة أراد شمر أن يسوي علاقاته الإقليمية والدولية انطلاقاً من مصالح الدولة الحميرية وتحالفها – ربما – مع الرومان، وغيرهم، وذلك من أجل تأمين مرور القوافل التجارية التي أعادت نشاطها من جديد، بعد أن كانت قد توقفت بسبب الحروب والاضطرابات التي جرت ؛ في وسط شبه الجزيرة وفي جنوبيها، وعرفنا أحداثها من

خلال المصادر النقشية [جام ٢١١٠ وجام ٦٦٠ وشرف الدين ٣١ وغيرهم] . والملاحظة المهمة هي أن مبعوث شمر "ريمان"، قد بدأ رحلته إلى فارس وقابل هناك مسئوليها أولاً، ثم توجه إلى مملكة الحيرة ثانياً . ومفهوم هذا الموقف باعتبار أن الحيرة مملكة ترتبط بتحالف، من نوع ما، مع فارس، وتسوية العلاقة مع فارس تعكس نفسها مباشرة على العلاقة مع الحيرة . وكما هو معروف فإن شمر اهتم كسابقيه "بما تسميه النقوش اليمنية ممالك شامة العربية ومنها نزار" [محمد عبد القادر بافقيه ٢/٧، ٢٠٠١و ٣١] . لذلك دخلت هذه المملكة ضمن مهمة ريمان السياسية في أثناء زيارته التي كلفه بها سيده شمر يهرعش . وأخيراً ربما أراد شمر يهرعش الاتصال مباشرة بروما من أجل إضعاف التواجد الأكسومي في العربية الجنوبية (اليمن القديم)، إذ أن التواجد الأكسومي بدأ يخفت في تلك المرحلة ، خاصة بعد أن تمت مطاردتهم حتى عدن، وتصفيتهم من قبل الوحدات الحميرية بقيادة القائد العسكري الحميري "حظين أوكن" في أثناء فترة حكم الملك ياسر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان .

خلال القرن الرابع الميلادي، وبعد اختفاء الملك شمر يهرعش، حكم الدولة الحميرية ملوك أمثال ؛ ياسر يهنعم الثاني وذمار علي يهبر، ثم ثاران يعب يهنعم بن ذمار علي يهنعم ومن بعده – على ما يبدو – ملكي كرب يهامن بن ثاران يهنعم، وأخيراً الملك أسعد الكامل (أبي كرب أسعد بن ملكي كرب يهامن) . وبالرغم من أن موضوع فترات حكمهم ؛ تنحصر في الداخل، باستثناء ابي كرب أسعد، بسبب المشكلات التي حدثت من قبل الأعراب في الشرق (حضرموت) وفي السهل الساحلي الغربي . لذلك لم نتعرض لهم في هذا البحث، إلا أننا ذكرناهم لمعرفة تسلسلهم فقط .

لقد استمرت جيوب المقاومة ضد الدولة الحميرية في عصر الملك شمر يهرعش وجانب من فترات حكم خلفائه، سواءً في الشرق حضرموت والمهرة أو "في جبال السراة (عسير) وفي منطقة الغور الغربية المتاخمة لها من ناحية البحر (تهامة، خاصة تهامة الشام)" [محمد بافقيه، ٢/١٩٩٣، ١٨٢] . فضلاً عن ذلك تكررت التحرشات العسكرية التي كانت تقوم بها قبائل نزار ومعد على الحدود الشمالية للدولة الحميرية، بعد أن كان قد أخضعهم لسلطته امرؤ القيس بن عمرو (حسبما سيأتي فيما بعد) . كان كل ذلك على حساب ترتيب أوضاع القبائل الحليفة لحمير في وسط شبه الجزيرة وشماليها، الأمر

الذي انعكس سلباً على طريق القوافل التجارية البرية . إن غياب الإشارات حول كندة جانباً كبيراً من القرن الرابع الميلادي، وحتى ظهورهم كزعماء على معد، إنما مرده إلى أن أعراباً من كندة ومذحج ومن قبائل أخرى، هي (ح ر مم و ب هـ د ل م و ز ي د إل)، أي قبائل حريم وباهل وزيد الله (ابن سعد العشيرة) ، قد شكلت قوام جيش الأعراب الذي قاتل مع الحميرين ضد حضرموت في عهد الملك ياسر يهنعم وابنه ذرأ أمر ؛ ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة [Ja ٦٦٠ السطران ٧-٨] . وهي كلها — تقريباً — قبائل تابعة لكندة . تولى قيادة ذلك الجيش سعد طالب يتلف الجدني [Ja ٦٦٥ الأسطر ١-٤]، وكان مركزه مدينة نشق في الجوف [السطر ١٣] . أيضاً حارب الأعراب إلى جانب حمير في المناطق الغربية والشمالية الغربية . وعندما تم إخضاعها كاملة، كافأ ملوك حمير كندة (أسرة حجر بن آكل المرار) بإعطائها حكم معد [محمد بافقيه، ١٩٩٣/٢، ١٨٣] .

إن غياب المعلومات التي تتحدث عن دور حميري في وسط شبه الجزيرة وشماليها، خلال الربع الثاني من القرن الرابع الميلادي، إنما مرده إلى أن الحميريين كانوا منشغلين بإخماد التمردات الداخلية التي استمرت — على ما يبدو — لأكثر من ثلاثة عقود . الأمر الذي أدى إلى طغيان أخبار حرب امرئ القيس اللخمي، التي "استهدفت مملكة نزار ومعد التي امتدت نحو الجنوب الغربي لتطال مذحج وتبلغ أسوار نجران (بحسب نقش النمارة)" [محمد بافقيه، ٧/٢، ٢٠٠١، ٣١] . لكن عهد الملك ثاران يهنعم وابنه ملكي كرب ؛ ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة، واللذين حكما عند منتصف القرن الرابع ، شهد بداية الاندفاع نحو وسط شبه الجزيرة وشرقيها .

إن الحملات العسكرية التي قادها صاحب نقش عبدان الكبير وأولاده كانت تستهدف ؛ مناطق في شرقي شبه الجزيرة العربية ووسطها، بل ويشير بعض الباحثين إلى أن إحدى تلك الحملات قد بلغت شمالي الجزيرة العربية، أي أطراف الشام [ناصر يسلم حبتور، ٢٠٠٢، ٢٨٢-٢٨٣] . بمعنى أن تلك الحملات كانت قد استهدفت أراضي تلك القبائل التي ناصبت الدولة الحميرية العداء في أثناء عملية توحيد أراضي حمير وسبأ وحضرموت، عند نهاية القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع الميلاديين . لذلك سوف نستعرض تلك الحملات، باختصار شديد .

الحملة الأولى : وهي تلك التي قادها ملشان وابناه ؛ خوليم وشرحبيل، وانطلقت إلى حضرموت وهناك انضم إليها أعراب كانوا موجودين في حضرموت . ثم اتجهت نحو المهرة ومنها نحو الربع الخالي والأوعار حتى وردوا يبرين . ومن يبرين اتجهت الحملة نحو اليمامة، هناك ربما عبثوا فيها ببعض ما لدى القبائل "... ... ب ن /ع ر ب ن /ا س ... /شرقن" حتى وصلوا موضعا سماه النقش أكلاء هجر (السطران ٧-٨)، وهي - على ما يبدو - من المواضيع التي كانت تتبع اليمامة . على أن بافقيه يشير إلى أنها منطقة - على ما يبدو - تقع في أراضي نزار . وهنا يقول بافقيه أن الحملة ربما كانت تستهدف إضعاف نزار تمهيداً لإخضاعها [محمد بافقيه ٢/٧، ٢٠٠١، ٣١] .

الحملة الثانية : قادها خوليم وشرحبيل ؛ كلاهما ابنا ملشان . وكانت وجهتها منطقة سماها النقش "إياد" وفيها تم أسر "ثعلبة بن سلول سيد إياد" [السطر ١٣] .

الحملة الثالثة : وقد قادها الملك ثاران يهنعم شخصياً، وقد اتجهت صوب مناطق الأسديين [السطران ١٦-١٧] .

وقد اتجهت **الحملة الرابعة** نحو الجون والخرج في اليمامة، وهنا تقاتلوا مع الأحمس خارجة وعشيرة بني معد [السطران ١٧-١٩] .

وأخيراً فإن **الحملة الخامسة** قد اتجهت نحو بلاد معد، العدو الرئيسي للحميريين [السطران ٢٧-٢٨] . ونلحظ اسماً لمنطقة يذكرها الباحثون ضمن المناطق التي حاربها معدي كرب ومرثد . وشارك معهما في ذلك شعوب المشرق وضيفتن وكندة ومذحج، تلك هي منطقة "السي" [السطر ٢٩]، وهي منطقة تقع "بين أراضي نزار وغسان" [محمد بافقيه، ٢/٧، ٢٠٠١، ٣٥] .

التطورات السياسية والعسكرية عند نهاية القرنين - الرابع والخامس :

تغطي هذه المرحلة، والتي حكم فيها أب كرب أسعد وخلفاؤه، جانباً من القرن الرابع والقرن الخامس كاملاً . وقد شهدت المملكة الحميرية في عهد أسعد ذروة

ازدهارها . ولذلك تردد اسمه في الموروث الشعبي العربي، بوصفه أعظم حكام جنوبي الجزيرة العربية في عصر ما قبل الانتقال إلى العصور الوسطي . استطاع أسعد أن يوسع نطاق نفوذ الدولة الحميرية إلى أعالي نجد . ويذكر أنه وصل إلى يثرب "وهناك تحول إلى اليهودية"، بالرغم من عدم توافر المصادر النقشية التي تتحدث عن ذلك [كلاوس شيبمان، ٢٠٠٢ ، ٨٤-٨٥ ؛ كذلك : م. بتروفسكي، ١٩٨٤ ، ٦٥-٦٧] .

وفي رواية للطبري أوردها، اولندر جونار في كتابه : "ملوك كندة" يشير إلى أن "تبعاً بن كرب الذي "كسا الكعبة" هو أول من ثبت حُجراً بالحجاز على قبائل "معد بن عدنان" وذلك بالاتفاق مع ممثلي كندة [G. Olinder,١٩٢٧,٣٩] .

فبعد أن تم إخضاع تلك المناطق التي ناصبت ملوك حمْير العداء، سواء على مستوى الداخل (حضرموت الداخل ومناطق السراة والغور الغربي) أو على مستوى الخارج (تلك القبائل التي أخضعها امرؤ القيس اللخمي، والتي امتدت حتى أسوار نجران)، أدخل الملك أب كرب أسعد آخر الإضافات على اللقب الملكي، وهي عبارة ؛ وأعرابهم في الجبل والسهل (طوداً وتهامة) . وهنا أصبحت الظروف السياسية والعسكرية مهيأة، أمام الملك أب كرب أسعد الذي لقب بـ "أسعد الكامل"، لمواصلة الاندفاعة الحميرية نحو وسط شبه الجزيرة وشماليها، من أجل إتمام تلك العملية التي كانت قد بدأها أسلافه (الملك ثاران يهنعم وابنه ملكي كرب يهامن) . بمعنى أنه حان الوقت لتصفية الحساب مع تلك القبائل، التي شكلت على مدى أكثر من ثلاثة عقود، مصدر تهديد لحدود الدولة الحميرية الشمالية والشرقية ولمصالحها التجارية ومصالح حلفائها على طول الطريق التجاري الدولي الممتد من نجران وحتى مناطق الهلال الخصيب ومصر وحوض البحر المتوسط .

تابع الملك أسعد الكامل قيادة الحملات العسكرية إلى أواسط شبه الجزيرة . وكانت ضمن عناصر جيشه – كما سبق الحديث – قبائل بدوية ونصف بدوية، وكانت كندة العمود الفقري لقوات تلك القبائل . ومن أبرز الحملات التي قادها أسعد ؛ تلك التي دونها ذلك النقش الذي تم العثور عليه في وادي ماسل [Ry ٥٠٩]، وفيه يجري الحديث عن أن الملك أسعد وابنه حسان قاما بحملة عسكرية على مناطق وسط شبه الجزيرة . وقد اشترك معهما في القتال وحدات من كندة . ويبدو أن الملك أسعد قد نصب حُجَراً بن

عمرو بن آكل المرار ملكاً على كندة ومعد، في عهدها الجديد أو "دهرها" الثاني (حسب أبو الغيث) . أي أن أعراب كندة أعادوا سلطتهم من جديد في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، وفي مرحلة حكم الملك أسعد الكامل نفسه، نجد أن الاضطرابات السياسية والعسكرية التي شهدتها بلاد العرب الجنوبية وبعض المناطق الوسطى من شبه الجزيرة العربية، قد أجبرت شطراً من قبائل كندة، الموجودة في جنوبي ووسط شبه الجزيرة كي يهاجر إلى مناطق بعيدة في الشمال . أي أنه بلغ ؛ نجداً والعراق وفلسطين وفينيقية (بلاد النخيل) وسورية [G. Olinder، ٣٤ ٣٢] . بمعنى أن ذلك القسم من كندة كان قد ثبت أقدامه على تخوم الإمبراطورية البيزنطية وصاروا دعامة لها في مجاهدة النفوذ المتصاعد للخميين [بيجوليفسكايا ن. ١٩٨٣، ١٥٤] . الذين كانوا متحالفين مع إيران . بل إن الحارث بن عمرو الكندي شغل – تقريباً – في بداية القرن السادس الميلادي، كل مناطق اللخميين . وشغل الشطر الآخر من كندة المنطقة التي كانت تابعة لمعد، وكان مركزهم بها في مدينة غمر ذي كندة الواقعة بالنواحي الجنوبية الغربية من نجد . ومن ثم أصبحوا حكاماً عليها [بيجوليفسكايا ن. ١٥٣–١٦٥ ؛ كذلك سرجي فرانتسوف، ٢٠٠٤، ٧١ ؛ كذلك محمد عبد القادر بافقيه، ١٩٩٣، ١٨٣ ؛ كذلك الهمداني، ١٩٦٤، ١٥] . إن حُجراً بن آكل المرار كان من أكثر ملوك كندة مهابة في ذلك العصر . على أنه توجد معلومات بحاجة إلى تأكيد ؛ تشير إلى أنه سبق حُجراً ملوك آخرون على كندة، بلغ مجموعهم مائة وعشرين ملكاً [بيجوليفسكايا، ١٥٤] . وهذا يعني أن تواتر المعلومات المتعلقة بفترة حكم حُجر على معد من قبل الإخباريين تحتاج إلى تدقيق، إلا أن الكل يتفق على أن حُجرا قد حكم معد بمؤازرة الملك الحميري (أسعد الكامل) . وتنقل بيجو ليفسكايا عن الأصفهاني حديثه ؛ عن حُجر فتشير إلى أن الكنديين ربما اصطدموا هناك بعشيرة قوية هي ضجعم وسليح، وكان لابد من التخلص من هذه العشيرة . وأنه نشب نزاع بين حُجر وأحد قادة عشيرة سليح (كان اسمه زياد) أدى إلى مصرع زياد [بيجوليفسكايا ن. ١٦٦] . وهنا يقول كريستيان روبان : "أصبحت الإمبراطورية (يقصد الحميرية م.غ.)، إذن، تشمل منذ ذلك الحين عدداً كبيراً من القبائل العربية التي بدأت تختلط بالقبائل اليمنية التقليدية . ويمكن التأكيد أنها قد أصبحت دولة مزدوجة التركيب القبلي . وقد سمحت لها سيطرتها على عدد كبير من القبائل البدوية أن تتدخل أبعد فأبعد في أواسط شبه الجزيرة العربية ضد أسد، أو غسان، أو

نزار، أو معد، أو بني عامر (بن صعصعة)، وحتى في شرقي شبه الجزيرة ضد أياد وعبد القيس [ك. روبان، ١٩٨٧، ٩٩] . بمعنى أن الحميريين شعروا أنهم أصبحوا أسياد المنطقة وأنهم يستطيعون مد نفوذهم من جنوبي شبه الجزيرة إلى شماليها، ومن غربيها إلى شرقيها . وعندما يقول روبان : "تختلط بالقبائل اليمنية التقليدية" أعتقد أنه يقصد بعض القبائل التي خضعت لحمير، والتي ربما كانت غير عربية جنوبية، وهو ما لايتفق مع كثير من المصادر الإخبارية [روبان، ٩٣] .

بعد تحرك قبائل كندة نحو الشمال إلى تلك المناطق التي شغلتها في وسط الجزيرة العربية وشماليها، جزءً من عملية طويلة امتدت قرون عديدة . فبعد أن تمكنت الوحدات التابعة لكندة من القتال إلى جانب القوات الحميرية، ضد تلك القبائل التي قاتلت الحميريين في شرقي شبه الجزيرة ووسطها ؛ حسبما جاء به نقش عبدان الكبير، بدأت عملية انتقال جديدة إلى الشمال وإلى الشرق . إن ذلك الانتقال لم يكن داخل الجزيرة العربية فقط، ولكن انتشرت قبائل عربية جنوبية في مناطق واسعة من الشرق الأدنى القديم .

وتشير بعض الأدبيات إلى أن العرب بقيادة امرؤ القيس الكندي قد استولوا على أراضي فلسطين وخليج آيلة (العقبة)، وفيه تم الاستيلاء على جزيرة يوتابة الواقعة في خليج آيلة ذاته . وقد كانت تراقب هذه الجزيرة كل الحركة التجارية في تلك المنطقة [بيجوليفسكايا ن. ١٩٨٣، ١٢٧ . لقد تم الاستيلاء على يوتابة سنة ٤٧٣ ميلادية] . ونحن نتفق إلى حد كبير مع ما أشار إليه بعض الباحثين من أن توسع اللقب الملكي الحميري ليشمل الأعراب في الجبل والسهل إنما هو خطوة على طريق التقارب بين سكان شبه الجزيرة العربية عموماً . فضلاً عن ذلك فهي خطوة تعكس مدى الدور الذي بات يلعبه الأعراب (البدو) [م. بتروفسكي، ١٩٨٤، ٦٣ ؛ كذلك : ك. روبان، ١٩٨٧، ٩٨ -٩٩ ؛ كذلك : عبد الله أبو الغيث، ٢٠٠٤، ٢٠] .

خلف حسان يهامن بن أبي كرب أسعد أبـاه، عند منتصف القرن الخامس الميلادي . ونحن نعرف حسان من خلال الموروث الشعبي لدى الإخباريين . إذ يذكره صاحب كتاب : "ملوك حمير وأقيال اليمن"، بأنه "هو الذي قتل جديساً باليمامة" . وحسب الرواية فإن عمليق ملك طسم وجديس كان يدخل على كل امرأة بكر تتزوج قبل

أن تزف لعريسها . وفي واقعتنا هذه فقد "تزوج رجل من جديس عفيرة ابنة عفار أخت الأسود بن عفار" أحد كبراء جديس، بل يقال كان رئيسها . وحينما أرادوا أن يزفوا عفيرة إلى عريسها قيل لها لابد من دخولك أولاً على عمليق . وقد كان بعد ذلك أن احتجت بصورة أظهرت فيها آل جديس بأنهم غير أحرار طالما يتم انتهاك حرماتهم من قبل عمليق . ثم تتابع الرواية سرد الموضوع، حتى تنتهي بالحديث عن أن جديس عزمت على الغدر بـ "طسم"، بسبب تلك الواقعة التي ذكرناها في بداية الموضوع . وتم بالفعل ذلك وعن طريق الغدر . لكن أحد رجالات طسم، وكان يدعي رِياح بن مرة أفلت من الموت وأتى الملك حسان يهامن مستغيثاً، فوجـده بنجران معسكرا يريد التوجه إلى العراق . وهنا عزم حسان على رد الظلم الذي وقع على طسم، فأمر جيشه بالتوجه نحو اليمامة، وتمت تصفية جديس كاملة [ملوك حمير وأقيال اليمن، ١٣٨-١٤٢] . وعلى أية حال بالنسبة لما تبقى من قبيلتي طسم وجديس فقد توزعت بين القبائل وحلت محلها قبيلة بني حنيفة . ومعروف أن حسان قد حكم بمفرده لفترة قصيرة ربما امتدت نحواً من عقد ونيف . ولأن المصادر النقشية غير متوافرة من عهد حسان فقد اختفى بتلك الصورة التي رواها الإخباريون [ملوك حمير وأقيال اليمن، ١٤٣-١٤٥] . ثم حكم الدولة الحميرية بعد حسان أخوه شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد .

في عهد شرحبيل يعفر : عثر الباحثون على عدة نقوش تعود إلى فترة حكم شرحبيل يعفر بن أسعد الكامل، أبرزها ذلك النقش الذي دون فيه إصلاحاته في سد مأرب بعد تهدمه في القرن الخامس [٤٥٠، CIH] . وهو يؤرخ بسنة ٤٥٧ ميلادية . وبالرغم من أنه قد قام بإصلاحات عدة إلا أن هذه الرقوم النقشية لم تشر وإن بصورة غير مباشرة عن علاقات الدولة الحميرية بقبائل وسط شبه الجزيرة العربية وشماليها . ربما أن الأمور كانت مستتبة للحميريين هناك وربما أن الدولة الحميرية بدأت تواجه متاعب داخلية، الأمر الذي منعها من أن تتواصل مع تلك القبائل والممالك التي كانت قائمة في المناطق الشمالية والوسطى من شبه الجزيرة العربية . إن الغموض الذي بات يلف الثلث الأخير من القرن الخامس، لم يمكن الباحثين من التتبع الدقيق للنصف الثاني من هذا القرن . على أن الأدبيات قد أشارت إلى بعض التمردات التي بدأت تطل برأسها هنا

وهناك عند ملتقى القرنين الخامس والسادس الميلاديين . وهو ما سيجري الحديث عنه أدناه .

مع نهاية القرن الخامس الميلادي تعقد الوضع السياسي والعسكري حول الدولة الحميرية . إننا نعرف أن الديانات السماوية (التوحيدية) بدأت تتغلغل في جنوبي شبه الجزيرة العربية منذ القرن الثاني الميلادي [مهيوب غالب أحمد، ١٩٩٠، ١١٢-١٢٣ ؛ كذلك : ك. روبان، ١٩٩٩، ١٨٥]، وأنه تم الاعتراف بالمسيحية، بصورة رسمية، من قبل حمير، في منتصف القرن الرابع [مهيوب غالب أحمد،٢٠٠٤، ١٢٥-١٢٦] . وأخيراً تم الاعتراف باليهودية في مطلع القرن الخامس الميلادي من قبل الملك أب كرب أسعد الكامل، بل ذهبت بعض الآراء إلى القول أن أسعد قد تهود وهو ما لايمكن التثبت منه [م. بتروفسكي، ١٩٨٤، ٦٧ ؛ كذلك : بافقيه وآخرون، ١٩٨٥، ٦٠] . مثّل انتشار الديانات التوحيدية بجنوبي شبه الجزيرة العربية أحد الأسلحة التي استخدمت في الصراع — غير المباشر بين الدولتين الكبريتين (بيزنطة وفارس) في النصف الأول من الألف الأول الميلادي — من أجل السيطرة على طرق التجارة الدولية في ذلك الوقت . وكان الصراع سجالاً بين ممثلي الديانتين . في البداية كانت الغلبة للمسيحية، وتحديداً للاتجاه المنوفيزي فيها، ثم تراجعت هذه الديانة بعض الشيء خلال القرن الخامس أمام اليهودية . لكن المواجهة اشتدت بين هذين الاتجاهين إبان القرن السادس الميلادي، وقد اشتركت فيها كافة القبائل العربية (الأعراب) في وسط شبه الجزيرة وشماليها، وبالذات أثناء حكم الملك معدي كرب يعفر وبعده .

كندة خلال الربع الأول من القرن السادس الميلادي :

سبق الحديث عن أن الدولة الحميرية قد شهدت فترة غموض، عند ملتقى القرنين الخامس والسادس الميلاديين لعدة أسباب . منها مثلاً، ما تشير إليه بعض الأدبيات ؛ من أن بلاد العرب الجنوبية في بداية القرن السادس الميلادي كانت شبه مجزأة ؛ بين ثلاث قوى؛ اليزنيون في الشرق . أي أنهم سيطروا على كل أراضي حضرموت . وكانت الهضبة الغربية تحت سيطرة الملك معدي كرب يعفر، الذي كان لايزال يدعى ملك سبأ

وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم طودا وتهامة، بحسب النقش [Ry ٥١٠] . أما القوة الثالثة فقد كان يمثلها الأحباش في السهل الساحلي الغربي . بل ويستشف من هذه الأدبيات أن أجزاء من الهضبة الغربية كانت تحت تأثير الأحباش [ينبق ٤٧ وجام ١٠٢٨ ؛ كذلك محمد عبد القادر بافقيه، ١٩٩٣، ٨٦، ١٦١، ١٦٤] . ومن أساس كتابة نص النقش [Ry ٥١٠] يتضح ؛ أن الملك معدي كرب يعفر لا ينحدر من سلالة ملكية، وإلا لكان قد ذكر اسم أبيه بعد اسمه فيه، كما جرت عادات كتابة النقوش اليمنية القديمة . ويعتقد بعض الباحثين أن معدي كرب كان مسيحياً ذا اتجاه منوفيزي . ويبدو أن هؤلاء الباحثين قد اعتمدوا على تلك المعلومات التي تشير إلى أن معدي كرب قد حصل على دعم من بعض مسيحيي نجران، وبالذات في أثناء حملته على اللخميين وحلفائهم [أ. لوندين ٨/٧٨، ١٩٦١، ١٢٣ ؛ كذلك عبد الله أبو الغيث، ٢٨ ؛ كذلك إيفونا غايدة، ٢٠٠٦، ٨٠]، الذين ذكروا في نقش ماسل الجماح . ولأن الاتجاه المنوفيزي كان هو السائد بنجران فقد صنف معدي كرب على أنه من أنصار هذا الاتجاه، وهو اتجاه مسيحي كان سائداً في الحبشة . كذلك اعتبر معدي كرب ذو اتجاه موال للأحباش، كونه قد سمح لهم بالتدخل في اليمن، تحت ذريعة حماية المسيحيين في ظفار وتهامة ونجران . ومن هنا صنفه يوسف أسار يثار في رسالته التي بعث بها إلى المنذر الثالث، ملك الحيرة، بأنه تابع للحبشة (سنأتي على ذكرها لاحقاً) .

برز خلاف بين الباحثين حول قراءة النقش ، ترتب عليه رأيان رئيسيان حول أحداثه . ونحن هنا لسنا بصدد مناقشتهم ولكن المرجح أن الملك معدي كرب قد قام بحملة عسكرية إلى ماسل الجمح، بناء علي طلب من حلفائه هناك "عرب قسدم – المستعمرات العسكرية" الذين أغار عليهم المنذر الثالث ملك اللخميين . وكان ضمن قوام الجيش الحميري ؛ قبائل سبأ وحمير والرحبة وحضر موت ويحان (؟)، وقبائل أعرابهم ؛ كندة ومذحج وبني ثعلبة ومذر ورسبع .

وقد خط النقش في شهر ذو القيظ، سنة ٦٣١ من التقويم الحميري والذي يوافق ٥١٦ ميلادي . ويعد الهجوم الذي شنه المنذر الثالث على المناطق الداخلية للكنديين استمراراً للصراع الذي بدأه الحارث بن عمرو في بداية القرن ضد اللخميين في الحيرة

ذاتها، ومن ثم طردوا من هناك . وكانت الغارة التي قام بها المنذر الثالث على كندة، بمثابة رسالة، أيضاً، موجهة للحميريين في اليمن وحلفائهم البيزنطيين على المستوى الدولي . لكن الحرب انتهت بعد ذلك بتوقيع اتفاق سلام يدفع بموجبه (المنذر) إتاوات، للحميريين . مع أن ذلك – كما يبدو – كان لفترة وجيزة .

إن إعلان الحرب أو قيادة حملة عسكرية على منطقة ما قد لا تعني الرغبة في التوسع، ولكن ربما تكون الرغبة في تصدير المشكلات الداخلية لهذه أو تلك من الدول . وهي على كل حال تعني تهديداً من نوع معين إما داخلي أو خارجي، وهذا ما ينطبق على الفقرة التي نحن بصدد معالجتها هنا . ومن هذا المنطلق كان سبب قيام الحملة العسكرية التي قادها معدي كرب يعفر إلى وادي ماسل . نحن نعرف أن حمير في ذلك الوقت كانت في طريقها إلى الانهيار أو هكذا بدت الأمور . فقد كانت الأحزاب الدينية تتصارع فيما بينها على السلطة، وهي في نفس الوقت تمثل مصالح متناقضة تماماً : المصالح البيزنطية والحبشية من جهة والمصالح الفارسية من جهة أخرى، وكل ذلك كان على حساب هيبة الدولة الحميرية ووحدة قبائلها ومصلحة الدولة ككل . هذا على مستوى الداخل، وعلى المستوى الخارجي فنحن نعرف أن شطراً من كندة كان قد ثبت أقدامه في مناطق شمال شبه الجزيرة (فينيقيون – أرض النخيل)، وفي جزيرة يوتابة – كما أسلفنا في مكان سابق – وسواحل خليج العقبة . أي عند حدود بيزنطة مباشرة . ومن ثم دخلت هذه المجموعة الكندية في مواجهة مع اللخميين . وكان بنو ثعلبة وهم من أقرباء كندة في عداء مكشوف مع اللخميين، حتى أنهم شاركوا في القتال إلى جانب البيزنطيين في حربهم ضد الفرس، سنة ٥٠٣ ميلادية . بمعنى أنه في عام ٥٠٢-٥٠٣ جرت حرب طاحنة بين البيزنطيين والفرس بقيادة الشاهنشاه قباذ، شارك فيها اللخميون تحت قيادة النعمان بن المنذر إلى جانب الفرس، وشارك بنو ثعلبة الكنديون إلى جانب بيزنطة، وقد كانت الغلبة في هذه المعارك لصالح البيزنطيين . وفي هذه المعركة بالذات تمكنت مجاميع من بني ثعلبة من الوصول إلى حيرة النعمان بن المنذر وتمكنوا من نهبها مستغلين بذلك الاضطرابات المزدكية التي حدثت في إيران، وعدم تمكن الإيرانيين من إسناد حليفهم النعمان بن المنذر [بيجوليفسكايا ن. ١٧٥] . بمعنى أن طريق المصالح التجارية والاقتصادية التي كانت تربط جنوب شبه الجزيرة العربية مروراً بنجران

وأراضي كندة ومعد في وسط الجزيرة وحتى خليج العقبة والبتراء أو إلى العراق، ومن ثم حتى الأراضي البيزنطية كانت تحت رقابة حلفاء بيزنطة . لذلك كان لابد للدبلوماسية الإيرانية أن تنشط عن طريق تحريك عناصرها الموجودة في البيت الحميري من جهة وأن تدفع حلفاءها العرب للقيام بغارات انتقامية من كندة ومعد وبقية حلفاء حمير في تلك المناطق . أي أن الفترة الزمنية الممتدة من عام ٥٠٣ وحتى عام ٥١٦ سنة كتابة نقش ماسل الجماح، قد كانت كافية للقيادة الفارسية ولحلفائها العرب ونقصد بهم اللخميين، للإعداد والتجهيز للمعركة الانتقامية من البيزنطيين وحلفائهم في شبه الجزيرة العربية . ومن هنا نستطيع أن نتفهم أسباب الحملة العسكرية التي قادها معدي كرب يعفر وقبائله وأعرابهم بوصفه حليفاً لبيزنطة في جنوب شبه الجزيرة ووسطها، ضد المنذر الثالث ومن معه من الأعراب وهي في نفس الوقت رسالة موجهة ضد فارس وأحزابها في حمير وخارجها . فقد أقامت اليمن في ذلك الوقت علاقات واسعة على المستوى الإقليمي والدولي، وكانت حليفاً مهماً للحبشة وبيزنطة . وكانت مدينة نجران، المحطة المهمة التي تلتقي عندها القوافل التجارية والتي تتجه منها شرقاً وشمالاً . وكانت توجد فيها جالية تجارية كبيرة إلى جانب التجار اليمنيين، وفي الوقت نفسه كانت تمثل مركزاً للمسيحيين (المنوفيزيين) . فضلاً عن وجود كعبة للمسيحيين فيها . ولهذا السبب تحملت نجران العبء الأكبر من المتاعب التي واجهها المسيحيون أثناء حكم ذي نواس .

على أن التطورات السياسية التالية كانت قد جرت في غير مصلحة الملك الحميري . إذ يبدو أن الظروف السياسية كانت تختمر لصالح الاتجاه المعادي للبيزنطيين وحلفائهم في الحبشة وفي بلاد العرب الجنوبية ذاتها . ففي المنطقة الشمالية الشرقية من شبه الجزيرة العربية استمر العداء على أشده بين اللخميين وكندة، التي سيطر بعض من ملوكها على جزء من أراضي اللخميين، بقيادة الحارث بن عمرو – كما سبقت الإشارة – . وقد دعم الحارث موقعه في منطقة الأنبار بالعراق، مستغلاً بذلك الوضع العام الذي كان سائداً في أثناء الحركة المزدكية في إيران . وفي الوقت ذاته سيطرت لدى اللخميين بقيادة المنذر الثالث فكرة توجيه ضربة عسكرية لبلاد العرب الموالين لحمير، وأنهم بذلك سوف يوجهون ضربة لحمير ذاتها وجانباً منها لبيزنطة . وسيترتب على هذا العمل قلق أمني حول طرق التجارة . الأمر الذي أدى إلى تحرك مضاد من جانب

الحميريين سنة ٥١٦، وهو ما دونه نقش ماسل الجماح . وما حصل بعد ذلك في ظفار كان مفاجئاً . إذ تلاحقت الأحداث بصورة سريعة، وتم الاستيلاء على السلطة هناك من قبل يوسف أسار يثار، وهو شخصية اتفقت معظم المصادر ؛ النقشية والإخبارية، التي تناولت أحداث تلك الفترة، علىأنه كان متهوداً [بيجوليفسكايا ن. ١٩٧٦، ١١٩ ؛ كذلك : مهيوب غالب أحمد، ٢٠٠٤، ١٢٨ ؛ كذلك ملوك حمير وأقيال اليمن، ١٤٥-١٤٩ ؛ كذلك : الدينوري، ١٩٦٠، ٦١ ؛ كذلك : الأزرقي، ١٣٥٢هـ،٨١ ؛ كذلك إيفونا غايدة، ٨٠] .

ينحدر ذو نواس من عشيرة ذي يزن، حسب بعض الآراء، على أن باحثين آخرين يرون بخلاف ذلك أي أن ذا نواس كان ينحدر من عائلة الملك أسعد الكامل، لكن أمه كانت جارية يهودية من أصل أشوري [بيجو ليفسكايا ن. ١٩٧٦، ١١٩] .

وقد خلع الإخباريون على يوسف أسار يثار. اسم "ذو نواس" وكذلك ذكر باسم "ذي نواس" في بعض النقوش التي تعود إلى زمنه [Ry ٥٠٧-٥٠٨ و Ja ١٠٢٨] . وقد لقب هونفسه : ملك كل الشعوب [Ja ١٠٢٨/١-٢] . مغايراً بذلك التقليد الذي كان يتبعه ملوك حمير منذ مطلع القرن الرابع الميلادي . ربما لأن الكيان الحميري حينذاك كان قد تمزق، وبذلك كان استخدام اللقب الملكي الطويل غير مفيد . وهو يؤكد ما ذهب إليه الباحثون من أن حمير كانت قد وقعت تحت سيطرة أكثر من قوى عند بداية القرن السادس الميلادي [محمد عبد القادر بافقيه وآخرون، ١٩٨٥، ٦٢ ؛ كذلك : بافقيه، ١٩٩٣، ٨٦، ١٦١، ١٦٤ ؛ كذلك : غايدة، ٨٠ ؛ كذلك ناصر حبتور٢٠٠٢، ٢٨٩] .

تمكن يوسف أسار في بداية سنة ٥١٧ ميلادية من الاستيلاء على القصر الملكي في ريدان — ظفار العاصمة الحميرية، بعد انقلاب نتج عنه — كما يبـدو — اغتيال الملك معدي كرب يعفر [يوري كوبيشانوف، ١٩٨٠، ١١] . أي أن الاتجاه اليهودي في ظفار قد تمكن من السيطرة على السلطة فيها، وبدأ بانتهاج سياسة اقتصادية ودينية معادية للمسيحيين، وتالياً معادية للمصالح البيزنطية والحبشية، وهو مالم تكن بيزنطة والحبشة قادرتين على السكوت عليه [محمد فتحي الشاعر، ١٩٨٩، ١٧٤] . والأكثر من ذلك ؛ أن الجاليات اليهودية في شمال الجزيرة العربية، كانت تمتلك صلات من نوع ما مع ذي نواس الحميري، وكانت تلك الجاليات تبعث من حين لآخر بأحبار يهود ليقيموا فيها

في بلاط ذي نواس في ظفار [أغناطيوس يعقوب الثالث، ١٩٦٦، ٤٦-٤٧] . وبحسب بيجوليفسكايا فإن الجالية اليهودية التي كانت بطبرية، هي التي كانت ترسل بالأحبار إلى اليمن ليقيموا في "بلاط مسروق ذي نواس الذي عذب النصارى" [بيجوليفسكايا ن. ١٠٤] . كما يؤكد الأسقف شمعون الأرشمي وجود صلة بين اليهود في طبرية وبين نظام ذي نواس . وأن تلك الجالية كانت تبعث من حين لآخر أحباراً لإثارة الشغب ضد مسيحيي حمير [Simeon vescovo di Beth-Arsam, Ed. I. Guide, Roma, 1881, 4] .

فما هو إذن موقف كندة من هذه الأحداث ؟ إن الأدبيات التي تتعاطى مع أحداث المدة من ٥١٧ وحتى إسقاط نظام ذي نواس سنة ٥٢٥، لم تعطنا أية إشارات حول اشتراك وحدات من كندة في صراع ذي نواس مع خصومه على مستوى الداخل والخارج . صحيح أن أحد النصوص النقشية التي دونت في عهد ذي نواس، يذكر اشتراك أعراب من : كندة ومذحج ومراد إلى جانب الوحدات الحميرية المكونة من : همدان (بحضرها وأعرابها)، في قتال ضد الأحباش [Ry ٥٠٨/٧] . لكن الواضح أن تلك الوحدات من أعراب كندة ومذحج ومراد، التي كانت تعيش في شرق بلاد العرب الجنوبية ذاتها، ولم تكن من أعراب مملكة كندة، وبالتالي لم تشترك في المعركة .

ومثلها معد الواقعة في وسط شبه الجزيرة العربية . إذ أن القبائل العربية التي كانت متحالفة مع الدولة الحميرية، وجدت نفسها في منتصف العقد الثاني من القرن السادس الميلادي في وضع هي أحوج ما تكون فيه إلى الحفاظ على إمكاناتها المادية والبشرية في سبيل مواجهة أي طارئ قد يحدث لها . وأن أعراب كندة، سواء الموجودين في جنوبي فلسطين وشرقيها (في يوتابة ؛ خليج العقبة وفي غيرها) أو أولئك الذين أقاموا لهم دولة في مناطق نجد (كندة ومعد)، قد وجدوا أنفسهم أمام النشاط اليهودي المؤيد لذي نواس ابتداء من طبرية مروراً بجاليات الحجاز وانتهاءً بالموجودين في ظفار — مضطرين للإبقاء على الحياد من جهة والحفاظ على قواتهم استعداداً لأي مواجهة من جهة أخرى . بمعنى آخر، بعد أن وجه يوسف ذو نواس نشاطه السياسي والعسكري ضد المسيحيين أينما كانوا، سواء في الداخل ؛ في ظفار وفي نجران [Ry ٥٠٧-٥٠٨ ؛

كذلك : Ja ١٠٢٨] أو في الخارج ؛ عندما أرسل مبعوثين إلى الحيرة يحرض المنذر الثالث لتصفية جيوب المسيحيين هناك [محمد فتحي الشاعر، ١٩٨٩، ١٧٦ ؛ قارن كذلك : عبد الله أبو الغيث ٣٤ ؛ كذلك : بيجوليفسكايا، ١٠٤-١٠٦] . أمام كل ذلك، كان لابد للكنديين من الوقوف على الحياد .

إننا نعتقد أن النشاط الدبلوماسي المكثف الذي قامت به الوفود البيزنطية في الحيرة قبل وأثناء انعقاد مؤتمر الرملة الذي التأم سنة ٥٢٤ ميلادية والذي تمخضت عنه معاهدة سلام عقدت بين بيزنطة وإيران، قد كان له أثر كبير - ربما - في تجنيب حلفاء ملوك حمير السابقين أية غارات عسكرية، في الأقل إلى حين . فضلاً عن ذلك لعب الموقف الشجاع الذي وقفه المسيحيون في الحيرة مدافعين عن معتقداتهم الدينية، - عندما حاول المنذر الثالث أن يهددهم، بحسب طلب ذي نواس - دوراً كبيراً في إفشال أية محاولة للنيل من المسيحيين، سواء في الحيرة أو في المناطق الوسطى من شبه الجزيرة العربية . وأخيراً إننا نعتقد بأن توافر الرغبة لدى الفرس واللخميين من أجل عقد المعاهدة مع بيزنطة، قد أجلت أية نية في الحرب ضد الحميريين المعادين لذى نواس . ولم نجد في المصنفات السريانية والعربية أي نشاط يذكر للكنديين في تلك الفترة، أي منذ أن استولى الملك يوسف ذو نواس على السلطة في ظفار . وفقط دونت بعض المصادر والأدبيات معركة حدثت بين المنذر الثالث والحارث بن عمرو الكندي . فقد استغل الملك اللخمي انهيار المزدكية في إيران، عقب القضاء على زعمائها، وقام بتعقب الحارث الذي حاول الفرار من العراق . لكنه لم يفلح في ذلك، فقتل على يد المنذر سنة ٥٢٨ ميلادية [بيجوليفسكايا، ١٠٨] . والمعروف أن الحارث قاد شطراً من كندة إلى شمالي الجزيرة لبسط نفوذها هناك - كما سبقت الإشارة - . وكان مصرعه ليس فقط نهاية لطموح كندة في الحيرة، بل وكذلك خاتمة المحاولة التي قامت بها لبسط نفوذها على شمالي شرق شبه الجزيرة العربية . وبالرغم من محاولة البيزنطيين والوحدات العربية التي كانت موالية لهم من آل جفنة وغيرهم، الانتقام من المنذر واللحاق به وقتله إلا أنه تمكن من الفرار . بعد إسقاط حكم ذى نواس، وطلب الإمبراطور البيزنطي من الملك الحميري سميفع أشوع أن يعيد قيس بن سلام، قريب امرئ القيس الكندي، إلى موقعه في اليمامة .

سبقت الإشارة بأن نجران إحدى المحطات التجارية الرئيسية في شبه الجزيرة العربية، وفيها جالية تجارية أجنبية كبيرة، ومثلت كذلك مركزاً لتجمع المسيحيين من كافة الاتجاهات . ومن هنا كانت الهجمة اليهودية عليها قوية، سواء من الاتجاه اليهودي الحاكم في ظفار، أو من الجاليات اليهودية في أرجاء شبه الجزيرة . لذلك كان نصيب نجران، من الظلم والاضطهاد الذي واجهه المسيحيون في اليمن، بشكل عام، كبيراً . إلا أن العالم المسيحي لم يقف متفرجاً لما يحدث في اليمن، وشن على مدى سبع سنوات – تقريباً – حملة سياسية ودبلوماسية مكثفة على نظام ذي نواس، واستطاع أن يحيِّد ولو إلى حين حلفاءه في فارس وفي مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية . وفي الأخير تمكن أنصار بيزنطة والحبشة من إسقاط ذي نواس وإقامة نظام موال لهم في جنوبي بلاد العرب (اليمن) . في البداية مثَّل رأس النظام أحد الأقيال اليزنيين، كان يدعى سميفع أشوع سنة ٥٢٥، وبعد حوالي عشر سنوات من ذلك التاريخ ؛ تولى السلطة أحد القادة الأحباش وكان يدعى أبرهة، والذي استمر في الحكم حتى بداية الثلث الأخير من القرن السادس الميلادي .

في هذا الوقت تواصلت مملكة كندة . ففي ثلاثينيات القرن السادس الميلادي طلب الأمير والشاعر امرؤ القيس من الحميريين (طلب من القيل مرثد ذوجدن) أن يساعدوه في إعادة ولو جزء من كندة، لكنه لم يتمكن . وفي منتصف القرن السادس هاجرت بقايا الكنديين من وسط شبه الجزيرة إلى حضرموت . وعندما تسلم السلطة أبرهة عين يزيد بن كبشة قائداً عليها [CIH ٥٤١ و م. بتروفسكي ١٩٨٥، ٢٢-٢٣ ؛ كذلك : سيرجي فرانتسوزوف ٢٠٠٤، ٧٠-٧١] . أما المعديون الذين كانوا خاضعين لكندة منذ القرن الخامس، فقد تحولوا في عهد ذي نواس إلى حلفاء – على ما يبدو – للحيرة . لذلك استهدفت إحدى حملات أبرهة، في أثناء حكمه في صنعاء قبيلة معد [Ry ٥٠٦]، بوصفها حليفة للخميين . وقد جرت المعركة بين الجانبين في منطقة "حلبان" على الطريق إلى اليمامة . وبالنتيجة اضطر الأمير اللخمي عمرو بن المنذر أن يعقد معاهدة مع أبرهة، يدفع بموجبها إتاوات وألا يتم التعرض للقوافل التجارية من قِبل معد أو اللخميين .

علاقة الدولة الحميرية بقبائل الأسد ونزار :

ثانياً قبيلة الأسد :

إلى الشمال الشرقي من كندة كانت تقـع قبيلة الأسد [Wissman H. ١٩٦٤، ١٨٥] . وقد عرفت هذه القبيلة من المصادر النقشية والإخبارية . في البداية أطلق على هذه القبيلة–المملكة تسمية الأسد، وفي وقت متأخر بعض الشيء تغيرت التسمية إلى الأزد [أ. لوندين ١٩٧٤، ٢٨٦ ؛ كذلك : Muller W., ١٩٧٤، Bd ٢، ١٥٩–١٦٠] وقد حلل تغيير تسمية الأسد إلى الأزد بكثير من التفصيل، المستشرقان ؛ الألماني كارل بروكلمان والروسي باريس غراندي [C. Brockelmann ١٩٠٨، ١٦٠ ؛كذلك : جراندي ب. ١٩٧٢، ٨٨] . ونذكر أنه يوجد أسد في السراة وأسد بعمان . على أن المعاجم العربية – بحسب بافقيه – تفيد بأن الشكل الصحيح لتسمية هذه القبيلة–المملكة هو الأسد وليس الأزد [محمد عبد القادر بافقيه وآخرون، ١٩٨٥، ٢٢٦–٢٢٧] . ونحن هنا سوف نستخدم التسمية الأولى، خلال تناولنا لتاريخ تلك المملكة، في دراستنا هذه . كما ذكرت قبيلـة الأسـد في بعض المصادر الإخبارية العربية واليمنية (الهمداني وآخرون) . كانت قبيلة الأسد إحدى القبائل التي هاجرت من جنوب شبه الجزيرة العربية، وتحديداً من السهل الساحلي الغربي (المعروف حالياً بتهامة) . إذ تشير بعض الدراسات إلى أن هذه القبيلة هاجرت في البداية إلى منطقة عمان ثم شغلت موقعاً مهما في طريق التجارة الدولي الذي يتجه نحو منطقة الخليج . وتشير بعض المصادر الإخبارية إلى الأسد باعتبارهم فرعا من قبيلة كبيرة . ففي الإكليل ؛ إن الأزد (أي الأسد) أرومة عظيمة وقبيل كبير تفرعت إلى ٢٨ قبيلة، ويقال لهم الأَسْد تشبيهاً لهم بالأسد، والأزد هو ابن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ [الهمداني، ١، ٢٠٠٤، ١٢٩ ؛ كذلك الهمداني، ١٩٥٣، ٢١٢، ٣١٠] . وفي كتاب ملوك حمير وأقيال اليمن ؛ يذكر الأزد على أنهم بعض من قوم هاجروا من اليمن إلى عمان، بناءً على أمر من ملك كان يدعى "قطن بن عريب" [ملوك حمير وأقيال اليمن، ٣٨–٣٩] . أما المصادر النقشية

فتتناول الأسد على أنها مملكة صغيرة، أقامت علاقات مع الكثيرين من جيرانها (اتسمت أحياناً بالعداوة وأحيانا بالصداقة) وهكذا .

أول إشارة في المصادر النقشية لقبيلة الأسد جاءت في النقش [Ja، ٦٣٥، ٣٧-٣٩]، وهو يعود إلى عهد الملك السبئي شعر أوتر، الذي تولى السلطة في سبأ عند نهاية القرن الثاني الميلادي . وفي هذا الموضع من النقش يجري الحديث عن معركة جرت "في أنحاء أرض الأسد، أي عند ملتقى مسيلي وأديين" [لمزيد من الإيضاح، أنظر : بافقيه وآخرين، ١٩٨٥، ٢٢٧]، غير معروف عن هذا الموضع شيء .

في منتصف القرن الثالث الميلادي كان ملك الأسد ؛ الحارث بن كعب [Ja ١٠٢٨، ٨]، حيث يذكر : "الحارث بن كعب ملك الأسد" . وهذا النقش يعود إلى زمن حكم الملك السبئي الشرح يحضب وأخيه يازل بين ملكَيْ سبأ وذي ريدان . إذ أن هذين الملكين قد أرسلا سفارة إلى أمراء تلك القبائل (كندة ومذحج والأسد وغيرها) لأسباب تناولنا بعضاً منها سابقاً [قارن كذلك : محمد عبد القادر بافقيه، ١٩٨٧، ١٠٧] . ثم تولى السلطة في مملكة الأسد أخوه مالك بن كعب [Sh ٣١] . إذ يشير النقش إلى أنه : عند ملتقى القرنين الثالث والرابع الميلاديين قام أحد القادة الحميريين العاملين في منطقة خولان جدن ؛ أو خولان الشام (صعدة حالياً) ؛ وبتكليف من سيده ؛ الملك شمر يهرعش، بحملة عسكرية إلى وسط الجزيرة العربية، وكانت قبيلة الأسد أحد أهداف هذه الحملة [بافقيه، ١٠٨] . وفي بداية القرن الرابع الميلادي، اكتسحت القوات الحميرية الحاضرة الحضرمية شبوة، وسيطرت عليها إلى جانب مناطق غرب حضرموت . فحدثت نتيجة لذلك حركة تمردات واسعة ضد الملك شمر يهرعش، من قِبَل القبائل العربية ؛ في كندة ومذحج ومعد ونزار والأسد وإقليم السراة الغربي، والتي كانت على علاقة جيدة مع حضرموت، فقاتلت إلى جانبها ضد القوات الحميرية . ومن ثم اتجهت مجموعة منها بقيادة الحارث بن كعب ملك الأسد [Ja ٦٦٠، /١١-١٣]، إلى مأرب مباشرة، وبعد عدة مناوشات هناك، تم أسر الحارث وسجنه لدى الملك شمر يهرعش [السطران ١٨-١٩]، في سجن مأرب والذي ذكر كذلك في نقش [عنان ٢٢] بـ "ذ خ ز ف ن" .

ويبدو أن الأمير اللخمي امرؤ القيس بن عمرو بن عدي قد استفاد من الوضع، الذي كانت فيه الدولة الحميرية منشغلة في مواجهة مشاكلها الداخلية . فقد اتجهت معظم

الوحدات المقاتلة، من وسط شبه الجزيرة العربية وشرقيها لنجدة حضرموت ضد الحميريين (حسبما أشرنا سابقاً) . وبذلك وجد امرؤ القيس الفرصة سانحة لتحقيق طموحه، في توحيد معظم قبائل شمالي شرق شبه الجزيرة ووسطها ومنها قبائل الأسد . فوصلت قواته حتى ضواحي نجران مدينة شمر (نقش النمارة) [محمد عبد القادر بافقيه، ١٩٨٧، ١١٠] . وجد هذا الشاهد القبوري في قرية النمارة الواقعة بين دمشق وبصطري (بصرى الشام حاليا) . يتكون هذا النقش من خمسة أسطر، ويوجد حالياً بمتحف اللوفر بباريس . وبحسب قراءة بيجوليفسكايا فإن النص يتحدث عن ؛ مناقب ملك كل العرب امرؤ القيس بن عمرو الذي ؛ عقد التاج (أو ثاج) وأخضع أسداً ونزاراً وملوكهم وأجبر مذحج على الهرب . . وتوجه إلى نواحي نجران مدينة شمرن وأخضع معداً [الأسطر ١ –٣] . كتب النص يوم ٧ من كسلول السعد للذي ولده سنة ٢٢٣ [السطر الخامس] . وهذه السنة توافق ٣٢٨ ميلادي [بيجوليفسكايا، ن.، ٤٠] . أما القراءة التي أوردها بافقيه نقلاً عن بيستون ؛ فتقول : "يبدأ نقش النمارة بوصف مناقب امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلها" . ثم يشير بعبارة "ذو أسرى إلى ثاج وملك الأسديين ونزار وملوكهم" [محمد عبد القادر بافقيه،١١١] . والملاحظ أن نقطة الخلاف هي حول "ثاج" . أما بقية القراءة للنص فهي متفق عليها — كما يبدو – . على أن بافقيه يشير إلى ثاج باعتبارها مدينة من المدن التاريخية، في إقليم البحرين (أي في أرض نزار) [بافقيه، ١١١–١١٢] .

ونحن نميل إلى ترجيح وجهة نظر ؛ بافقيه وزميله بيستون، الذي نقل عنه القراءة . إننا هنا أمام وضع تمكن فيه امرؤ القيس من إخضاع الأسد ونزار، مستفيداً من الأوضاع المضطربة التي كانت تعيشها حمير آنذاك، لكنه لم يُخضع مذحج بل ولت هاربة . وعندما وصل إلى ضواحي نجران لم يخضعها كذلك . بل أخضع لسلطته معداً . معروف أن معداً كانت قبيلة كثيرة العدد شديدة المراس، مقاتلة شرسة، وأراضيها تقع على طريق التجارة الدولية، وأن هذه القبيلة قد لعبت دوراً ملحوظاً (في القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الميلاديين)، إما في استقرار الوضع السياسي في وسط شبه الجزيرة العربية أو في زعزعته (قارن نقش عنان، ٧٥)، فضلا عن ذلك فإن امرؤ القيس لم يستطع أن يسيطر على مدينة نجران أو — ربما — لم يشأ، ولكن يبدو أنه أراد

الحصول منها فقط على بعض المكاسب، وأن يوصل رسالة واضحة للملك الحميري، ومنه إلى البيزنطيين أنه يستطيع أن يلحق الأذى بمصالحهم .

في نقش عبدان الكبير، الذي كتب عند منتصف القرن الرابع الميلادي، نلاحظ من جديد ذكراً للأسد كإحدى المناطق التي أرسل الحميريون إليها حملة عسكرية . وكان اليزنيون من أبنـاء ملشان هم المسئولون عن قيـادة الوحدات القتالية للدولة الحميرية آنذاك . إلا أن الحملة التي توجهت نحو أرض الأسد، كان قد ترأسها الملك ثاران يهنعم نفسه، وقد اشترك معه مرثد، الابن الرابع للقيل اليزني ملشان أريم . تحاربت الحملة مع الأسد في صدى والرس [السطر ١٦]، وهما فرعان من قبيلة الأسد [محمد عبد القادر بافقيه، ٢/٧، ٢٠٠١، ٣٣ ؛ كذلك : ناصر حبتور، ٢٠٠٢، ٢٧٨-٢٧٩] . ولأنه توجد في النقش فجوات كثيرة، كما في عدة سطور منه، فمن الصعب معرفة نتائج تلك الحملة . وربما ضمت هذه القبيلة في الآخر إلى قبيلة أخرى، لتشكلا مملكة واحدة، وربما تعطينا الأبحاث في المستقبل معلومات، تضيف أو تعدل مما كنا قد دوناه هنا .

ثالثاً – مملكة نزار ومعد :

أسست نزار مملكة شملت – كما يبدو – إقليم البحرين، وهو الإقليم الساحلي الممتد من : جنوبي العراق حتى شمالي عمان، تستطيع من خلال ذلك الموقع أن تراقب طرق التجارة الدولية المتجهة إلى الخليج وتالياً إلى العراق [محمد عبد القادر بافقيه، ١٩٨٤، ٥٧-٦٦] . وفي تحديد إقليم العروض، فإن بافقيه يقول أنه يشمل "البحرين واليمامة" [بافقيه، ١٩٨٨، ٥٩] . ويعد أقدم ذكر لنزار في نقش (عنان ٧٥) . ففي الهوامش على مجموعة عنان يشير بافقيه إلى أن صاحب النقش قام بسفارة إلى بلاد الشام ونزار والأسد . . . وغيرها، بتكليف من سيده الشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان [محمد عبد القادر بافقيه و ك. روبان، ١٩٧٨، ٥١-٥٤] . كما ذكرت نزار وملوكهـا في [Ja ٢١١٠]، وهو نقش يعود أيضاً إلى القرن الثالث الميلادي، في أثناء حكم الملك الشرح

يحضب وأخيه يازل بين ملكي سبأ وذي ريدان . وهو - ربما - يتحدث عن تلك السفارة نفسها التي أرسلت إلى وسط شبه الجزيرة، وربما وصلت حتى شماليها، وهي سفارة تتعلق بالتبادل التجاري بين الجانبين . في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي، أرسل الملك الحميري شمر يهرعش ؛ بعثة دبلوماسية بقيادة ريمان ذو حزفر إلى شمالي شرق الجزيرة، وقد شملت زيارتها أراضي الأسـد ونزار ومعـد وغيرها [Sh ٣١]، وهي تتعلق أيضاً بالمصالح المشتركة .

بعد ذلك تكرر ذكر نزار وملوكها في النقوش مرتين [محمد بافقيه، ١٩٨٤، ٦٢] . المرة الأولى كان في نقش الأمير اللخمي امرئ القيس (نقش النمارة) . إذ يقول أنه ملك العرب كلهم، وقد عقد التاج وأخضع أسداً ونزاراً وملوكهم (السطران ١-٢) . لكن بافقيه يقول ؛ أن ألفريد بيستون في قراءته للنقش يشير إلى عبارة "عقد التاج، على أنها : ذو أسرى ثاج" . وثاج، كما يقول ؛ مدينة تاريخية في البحرين [محمد بافقيه، ١٩٨٨، ٥٩-٦٠] . والمرة الثانية ذكرت في نقش، عبدان الكبير، الذي يتحدث عن حروب تمت بين اليزنيين (أقيال ملك حمير) وبين مناطق مختلفة ومنها أراضي نزار، وذلك على الشكل الآتي : قاد هذه الحملة معدي كرب ومرثد، واتجهت مع الجيش الحميري وأعرابه إلى موقع يصفه النقش بأنه يقع وسطاً بين مملكتي نزار وغسان . وهناك حاربوا عشيرة "شن وبني نكره وبني صبيره وعبد القيس، وكلها تنتمي إلى قبيلة نزار (السطور ٢٨-٣٠) . وكل هذه العشائر، حسب النسابين ترتبط بعضها ببعض، كونها من ربيعة - نزار [محمد بافقيه، ١٩٨٨، ٦٠ ؛ كذلك : بافقيه ١٩٨٧، ١١١ ؛ كذلك : بافقيه ١٩٨٤، ٦٢] . ومعروف أن وسط شبه الجزيرة العربية وشماليها كان على ذلك العهد وقبله بقليل، موزعاً بين قبائل رئيسية نعرف منها : كندة وقحطان ومذحج والأزد ونزار وغسان بل وتنوخ (حسب شرف الدين ٣١) . وهي قبائل يحكمها ملوك، تربطهم بملوك اليمن مصالح ومواثيق [محمد بافقيه، ١٩٨٧، ١٠٨] .

خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، بدأت تجارة الحرير تزدهر في منطقة حوض البحر المتوسط . ومن ثم ازداد الطلب على خام الحرير هناك بشكل كبير . وكان يتم تسويقه إلى بيزنطة عبر الطرق التي تقطع بلاد العرب من الجنوب إلى الشمال . وكان

النمو المتواصل لسلعة البخور والطيوب الأخرى، فضلاً عن الطلب المتزايد للحرير، السبب الرئيسي في الصراع الحاد بين كلٍ من بيزنطة وإيران الساسانية، من أجل السيطرة على شبه جزيرة العرب، وتحديداً على جنوبيها . وهو ما تم تحقيقه في القرن السادس الميلادي [بيجوليفسكايا ن. ١٩٤٧، ١٨٤-٢١٤] . ففي تلك الفترة نشطت الدبلوماسية البيزنطية عند مختلف القبائل والممالك العربية في وسط شبه جزيرة العرب وشماليها . وبالنتيجة عقدت معها عدة اتفاقيات، بغرض تعزيز المواقع البيزنطية على الطريق التجاري بين كل من بيزنطة وإيران وبيزنطة وجنوبي شبه جزيرة العرب . من هذه الاتفاقيات مثلاً ؛ تلك التي عقدها الإمبراطور انستاسي، مع ملك كندة الحارث بن عمرو سنة ٥٠٢ للميلاد [مهيوب غالب أحمد، ١٩٩٠، ١٤٦] . وبذلك اعتمد هذا الأمير العربي على دعم بيزنطة عند قيامه بحملة عسكرية إلى الحيرة، عاصمة اللخميين، وأجبر ملكها المنذر على الهرب [بيجوليفسكايا ن.، ٧٤/١١، ١٩٦٤، ٧٤-٩٣]، بالرغم من أن المناطق الداخلية من أراضي اللخميين استمرت في عملياتها العسكرية ضد الكنديين . وقد كان يقود تلك العمليات العسكرية ضد كندة ؛ النعمان بن المنذر، وبمساندة من بعض الجهات الساسانية (تم الحديث حول هذه النقطة سابقاً)، الأمر الذي مكن قواته من تحقيق بعض الانتصارات [بيجوليفسكايا ن.، ٧٤/١١، ٧٦] . وعند تشكل دولة كندة الجديدة (القرن الخامس الميلادي) بقيادة حجر بن عمرو آكل المرار، شملت حينذاك ؛ كل أراضي نزار ومعد وبعضاً من نجد . وبذلك توحدت المنطقة الممتدة من البحرين والعروض في الشرق حتى أطراف نجد في الغرب في إطار دولة كندة .

الخاتمة :

من خلال ما تم استعراضه فيما سبق يمكن عمل الاستنتاجات الآتية :

أولاً : شهدت بلاد العرب الجنوبية خلال القرون الثلاثة الأولى بعد ميلاد المسيح عليه السلام توترات وصراعات حادة وعاصفة ؛ على المستويات السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية . ظهرت ملامحها جلية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين . وفي المقابل شهدت هذه الحقبة الزمنية – أيضاً – ظهور عدة ممالك عربية في المناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية وفي شماليها، شكلت مراكز استقطاب واسعة لأكثر من جهة خلال الحقبة الممتدة من القرن الثاني وحتى القرن السادس الميلاديين . وقد ارتبط حكام هذه الممالك بملوك جنوبي بلاد العرب بمصالح ومواثيق مختلفة، وكان ملوك الدولة العربية الجنوبية يستطيعون بواسطة تلك الممالك العمل على تأمين الطريق التجاري الدولي، دون عوائق . فضلاً عن ذلك تم توظيف علاقاتهم تلك مع ملوك الجنوب لخدمة مصالح كلا الجانبين من جهة وخدمة المصالح الاقتصادية الدولية في هذه المنطقة من العالم من الجهة الأخرى .

ثانياً : أثناء الاضطرابات السياسية والتوترات الاجتماعية التي شهدتها بلاد العرب الجنوبية عند ملتقى العصر الميلادي، هاجر شطر من قبائل كندة إلى المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية . وفي القرن الخامس الميلادي تواصلت تلك الهجرات، ومن ثم وصلت أعداد كبيرة من هذه القبائل إلى الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية، فسيطروا على فينيقيين وبعض مناطق العراق وفلسطين وسورية . ولعبوا أدواراً مهمة هناك ؛ تمثلت في الإشراف على القوافل التجارية التي كانت تصل إلى هناك، بل وشكلت خطاً دفاعياً متقدماً للحدود البيزنطية ، في تلك المنطقة .

ثالثاً : شهد النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي ميلاد دولة مركزية على كل بلاد العرب الجنوبية ؛ ضمت مناطق نجد اليمن (أي الجزء الغربي كله) وأراضي حضرموت القديمة كاملة . وفي بداية القرن الخامس اندفعت القوات الحميرية نحو أواسط شبه الجزيرة ؛ فضمت مناطق السراة الشمالية الغربية. فتكونت بذلك دولة مترامية الأطراف بمعايير ذلك العصر وإمكاناته، وبذلك شكلت الدولة اليمنية القديمة حينئذ ثقلاً إقليمياً، بات من الصعب تجاوزه . ولابد من وضع هذه الدولة بالحسبان عند مناقشة الأوضاع السياسية والمصالح الاقتصادية الدولية . ومن هنا كان التركيز الدولي شديداً على أهمية أن يكون لكل دولة من الدول الكبرى من يرعى مصالحهـا في هذه المنطقة من العالم .

رابعاً : كان للصراع الذي شهدته بلاد العرب الجنوبية خلال القرن السادس الميلادي أثره في تدهور الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة والمجتمع على السواء . ومن ثم عكس ذلك نفسه على غياب دور الدولة في صيانة المنشئات العامة وقيامها بالخدمات العامة وحماية الطرق التجارية الدولية، الأمر الذي أدى إلى تدهور المدن العربية الجنوبية وانتقال مركز الثقل التجاري بالتدريج إلى الحجاز .

خامساً : خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، بدا واضحاً أن الديانتين المسيحية واليهودية قد سيطرتا على مناطق كثيرة، وثانياً على فئات اجتماعية مختلفة . ومن ثم تم الاعتراف أولاً بالمسيحية عند منتصف القرن الرابع، وعند نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس تم الاعتراف باليهودية . لذلك تم استغلال الأحزاب الدينية، من قبل القوى السياسية المحلية والدولية بشكل سيئ، فكانت إحدى الأسلحة التي استخدمت في الصراع الدولي في شبه الجزيرة العربية . بمعنى آخر خلال هذه الحقبة الزمنية خاضت اليهودية والمسيحية معاركهما الأساسية، "من أجل تأسيس نفسها" سواءً في مهد ظهورها أو في المناطق الأخرى (في أراضي الدولتين البيزنطية والفارسية، وفي مناطق نفوذهما) . على أن الضربات التي وجهت للديانة اليهودية قد أثرت على

علاقاتها المستقبلية، فانغلقت على نفسها في تلك المناطق التي اتجهت إليها جنوبي فلسطين (أي إلى شبه الجزيرة العربية)، ولم يسجل لها اختراق واضح إلا في بلاد العرب الجنوبية، خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين.

سادساً: كان لتوحيد بلاد العرب الجنوبية وامتداد تأثيرها حتى أواسط شبه الجزيرة العربية، أن حقق المزيد من الاختلاط والتقارب بين القبائل العربية. ومن ثم أحدث ذلك تطوراً ملحوظاً في اللغة الدينية وتطوراً في الطقوس الدينية. فقد ظهرت النقوش المسندية ذات الطابع التوحيدي (اليهودي والمسيحي)، من نهاية القرن الرابع الميلادي، الأمر الذي مهد التربة للتقارب بين مختلف قبائل شبه الجزيرة العربية؛ اجتماعياً وثقافياً ودينياً، ومن ثم شكل ذلك مقدمات – كما نعتقد – ضرورية لظهور الإسلام فيما بعد.

د. مهيوب غالب أحمد كليب

أستاذ التاريخ القديم

كلية الآداب – جامعة ذمار/ اليمن

كشف بالمصادر والمراجع والرموز المستخدمة في كتابة البحث، حسب ورودها بالهوامش، وكذلك توضيح لرموز النقوش المستخدمة في البحث

أولاً : النقوش المستخدمة :

١ – Ja : Sabaea Inscriptions From Mahram Bilqis (Marib), Washington, 1963

٢ – CIH : Corpus Inscriptions Semitcarum, Pars Quarta. Inscriptions Himyariticas et Sabaeas, V. I-IV. Parrs, 1889-1932.

٣ – RY : Rykmans J. Inscriptions Sud-arabes (dixieme serir) // LeMuseon, N 3-54, 1953. P. 267-318, 319-70; Le Museon. LXVIII,1955, P. 297-312.

٤ – مجموعة النقوش التي نشرها أحمد شرف الدين Sh :

٥ – مجموعة النقوش التي نشرها الأستاذ مطهر الإرياني Er :

٦ – إضافة إلى نقوش نشرها ؛ زيد عنان، وسميت كذلك باسمه .

ثانياً : المصادر والمراجع حسبما ظهرت فيه في هوامش البحث، إضافة إلى بعض الإيضاحات :

١ – أبي محمد الحسن أحمد بن يعقوب الهمداني، الإكليل – جـ ١، تحقيق محمد بن علي الأكوع . الحوالي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤ .

٢ – طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تصنيف : السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول ؛ حققه : ك. و. سترستن، دار الكلمة، صنعاء ١٩٨٥ .

٣ – ملوك حمير وأقيال اليمن، قصيدة نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي، دار العودة، بيروت ١٩٨٦ .

٤ – Wissman H., Himyar, Ancient history. // Le Muscon, LXVII, N 3-4, 1964.

٥ – بطرس غريازنيفتش، تاريخ حضرموت القديم في ضوء التحريات الحقلية للبعثة اليمنية – السوفييتية، المبشر في التاريخ القديم ، العدد الثاني الصادر باللغة الروسية، موسكو ١٩٨٩ .

٦ – عبد الرحمن الأنصاري، أضواء جديدة على كندة من خلال آثار قرية الفاو ونقوشها (مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج ١، الرياض ١٣٩٩هـ .

٧ – ك. جوليان روبان، انتشار العرب البداة في اليمن من القرن الثاني إلى القرن العاشر الميلادي، تعريب علي محمد زيد، مجلة دراسات يمنية، العدد ٢٧، يناير فبراير مارس ١٩٨٧م .

٨ – ميخائيل بتروفسكي، العربية الجنوبية في العصور الوسطى المبكرة، باللغة الروسية، موسكو ١٩٨٥م .

٩ – محمد عبد القادر بافقيه، ألفريد بيستون، ك. روبان ومحمود الغول، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، تونس ١٩٨٥م .

١٠ – بيجوليفسكايا ن. ف.، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، تعريب صلاح الدين عثمان هاشم، الخرطوم ١٩٨٣م .

١١ – ميخائيل بتروفسكي، ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل، تعريب شاهر جمال أغا، وزارة الثقافة اليمنية، صنعاء ١٩٨٤م .

١٢ – يوسف محمد عبد الله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، بيروت – دمشق ١٩٩٠م .

١٣ – مهيوب غالب أحمد، مدخل إلى دراسة التاريخ السياسي والحضاري لجنوب شبه الجزيرة العربية "اليمن القديم" الكتاب الأول، التاريخ السياسي، صنعاء ٢٠٠٣م .

١٤ – سرجي فرنتسوزوف، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده (١)، تعريب : عبد العزيز جعفر بن عقيل، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء ٢٠٠٤م .

١٥ – أبراهام لوندين، الموظف والدبلوماسي السبئي في القرن الثالث الميلادي، المجمع الفلسطيني، جـ ٢٥، الصادر باللغة الروسية، موسكو ١٩٧٤م .

١٦ – أحمد رحيم هبو، تاريخ العرب قبل الإسلام (السياسي والحضاري)، دمشق ١٩٩٠م .

١٧ – عبد الله حسن الشيبة، محاضرات في تاريخ العرب القديم، صنعاء ١٩٩٠م .

١٨ – محمد عبد القادر بافقيه، عودة إلى نقش عبادان الكبير (٢)، مجلة ريدان، العدد السابع ٢٠٠١م .
١٩ – محمد عبد القادر بافقيه، محتوى نقش المصال ٥، مجلة ريدان العدد السادس ١٩٩٤م .
٢٠ – محمد عبد القادر بافقيه، في العربية السعيدة، جـ ٢، صنعاء ١٩٩٣م .
٢١ – ناصر يسلم حبتور، اليزنيون . . موطنهم . . ودورهم في تاريخ اليمن القديم، ط ١، جامعة عدن، الشارقة ٢٠٠٢م .
٢٢ – كلاوس شيبمان، تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، تعريب : فاروق إسماعيل، صنعاء ٢٠٠٢م .
٢٣ – G. Olinder, The Kings of Kinda, Lund, 1927.
٢٤ – أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، الإكليل، جـ ٢، تحقيق : محمد بن علي الأكوع، القاهرة ١٩٦٤م .
٢٥ – عبد الله أبو الغيث، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها من القرن الثالث حتى القرن السادس للميلاد (القسم الثاني من الكتاب)، وزارة الثقافة اليمنية، صنعاء ٢٠٠٤م .
٢٦ – مهيوب غالب أحمد، العربية الجنوبية من منتصف القرن الأول الميلادي حتى منتصف القرن السادس (التاريخ السياسي والعلاقات الخارجية)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التاريخ، جامعة موسكو، ١٩٩٠م .
٢٧ – ك. ج. روبان، الممالك المحاربة، اليمن في بلاد ملكة سبأ، تعريب : بدر الدين عرودكي، مراجعة : يوسف محمد عبد الله، باريس – دمشق١٩٩٩م .
٢٨ – أبراهام لوندين، اليمن إبان القرن السادس للميلاد، المجمع الفلسطيني، جـ ٨ (٧٨)، لينينجراد ١٩٦١م . تشير بعض الأدبيات إلى أن الملك معدي كرب يعفر حصل على مبلغ اثني عشر ألف دينار من سيدة مسيحية من تجار نجران، على شكل قرض أخذه لمواجهة الضائقة المالية التي كان يواجهها .
٢٩ – مهيوب غالب أحمد، عرض موجز لتاريخ العلاقات اليمنية-الحبشية، مجلة بينون، الصادرة عن جامعة ذمار، العدد الأول، مارس ٢٠٠٤م .
٣٠ – إيفونا غايدة، التوحيد في جنوب الجزيرة العربية من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، حوليات يمنية، الصادرة عن المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء ٢٠٠٦م .
٣١ – كوبيشانوف يوري ميخائيلوفتش، شمال شرق إفريقيا في العصور الوسطى المبكرة / القرن الرابع = منتصف القرن السابع/ دار العلم، موسكو ١٩٨٠م .

٣٢ – محمد فتحي الشاعر، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي "عصر جوستنيان" الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م .

٣٣ – اغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية، دمشق ١٩٦٦م .

٣٤ – La letter a di Simeon vescovo di Beth-Arsam. Ed. I. Guide. Roma, 1881.

٣٥ – Wissman H., Zur Geschichte und Landeskunde von Alt Sudarabien. Wien, 1964.

٣٦ – Muller W., Eine Sabaeisch Gesandschaft in Ktesiphon und Seleukeia Neue Epigraphie, Wiesbaden, 1974, Bd. 2.

٣٧ – C. Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen. B., 1908.

٣٨ – جراندي ب.ن.، مدخل إلى دراسة اللغات السامية المقارن، موسكو ١٩٧٢م .

٣٩ – أبو محمد الحسن بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، راجعه وحققه : محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي سنة ١٩٥٣م .

٤٠ – محمد عبد القادر بافقيه، في العربية السعيدة، جـ ١، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٨٧م .

٤١ – محمد عبد القادر بافقيه، مملكة نزار وإقليم البحرين، دراسات يمنية، العدد ١٨، الصادر عن مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٨٤م .

٤٢ – محمد عبد القادر بافقيه، عودة إلى نقش عبدان الكبير، مجلة ريدان، العدد الخامس ١٩٨٨م .

٤٣ – محمد عبد القادر بافقيه و ك. روبان، هوامش على مجموعة زيد عنان، مجلة ريدان، العدد الأول الصادر في سنة ١٩٧٨م .

٤٤ – بيجوليفسكايا ن.، الدبلوماسية البيزنطية وتجارة الحرير بين القرنين الخامس والسابع الميلاديين، الزمن البيزنطي، جـ ١، موسكو ١٩٤٧م .

٤٥ – بيجو ليفسكايا ن.، سياسة بيزنطة في البحر الإريتري، المجمع الفلسطيني، جـ ١١ (٧٤)، موسكو ١٩٦٤ .

خلاصة التعليقات على

عزيزي القارئ

كتب الباحث الدكتور سلوت دراسة عن التنافس الأوروبي في الخليج بين عامي ١٦٥٠ و ١٨٠٠م ، وقد ورد في البحث بعض الأخطاء التي رأينا من واجبنا تصحيحها وهي المنشورة فيما يلي، وحرصنا في نهاية التعليقات على نشر الفقرات من بحث الدكتور سلوت التي قمنا بالتعليق عليها . ثم ولكي تتم الفائدة، فقد نشرنا البحث كاملاً بالإنجليزية كما كتبه المؤلف .

الوثيقة

في بحث الدكتور سلوت عن فترة التنافس الأوروبي بين عامي ١٦٥٠ و١٨٠٠م، كتب في الصفحة الأولى يقول : أن عدد المطبوعات المعاصرة للرحالة الأوروبيين قليل جداً – أقل من ٥٠ – لكن الوثائق للقرنين السابع عشر والثامن عشر حول الخليج المتواجدة في الأرشيفات الأوروبية ودور الوثائق، ضخمة جداً، وتوجد عشرات الآلاف من الوثائق الهولندية والآلاف من الوثائق الإنجليزية ومئات من الوثائق البرتغالية والفرنسية، لكن حجم المواد ذات الاهتمام وذات الصلة بالخليج قليل جداً وخاصة المواد الرسمية الهولندية التي رغم ضخامتها حجماً تركز أساساً على تجارة الشركة الهولندية ولا تغطي أكثر من ١٠ ٪ من هذه المواد أموراً أخرى[1] .

والتعليق على ما ورد أعلاه في الصفحة الأولى من البحث :

بحث الدكتور سلوت

للدكتور علي أباحسين

لاشك أن كتب الرحالة (الأوروبيين) التي كتبت عن الخليج العربي أكثر من خمسين وقد ختمنا بحثنا بأسماء بعضهم وعناوين كتبهم أو بحوثهم في الصفحات التالية من بحثنا هذا تحت عنوان (ومن كتب الرحالة) .

ثم يذكر الآلاف من الوثائق الإنجليزية والمئات من الوثائق البرتغالية والفرنسية ، وهذا يحتاج لدقة أكثر . فلو راجعنا ما ورد في كتاب (دور السجلات الهندية) وما تصدره (أركايف أدشن) بين حين وآخر من صور الوثائق وجدناها تملأ مجلدات وكذلك ما دونته (بنلوب توسون) في كشافها المنعوت بـ (سجلات المقيميات البريطانية والمعتمدين في الخليج) والمطبوع في لندن عام ١٩٧٩م لوجدنا أن الوثائق الإنجليزية تعد بالآلاف وأن الأرشيف الهندي في بومباي فقط يضم ٨٩ ألف مجلد و ٣٠٠ ألف إضبارة ومثل ذلك الوثائق الفرنسية والبرتغالية .

وورد في الصفحة رقم (٦) من بحث الدكتور سلوت : أسلوب المورفولوجي (بأنها تعني أنواع الوثلئق وأسهل المصادر وهي قصص الأسفار المطبوعة أو المكتوبة بخط اليد لكافة الأجناس)

والتعليق هو :

(أسلوب المورفولوجي Morphological Way) في القاموس أن المورفولوجي هو (فرع من علم الأحياء يبحث في شكل الحيوانات والنباتات وبيئتها كما تعني (دراسة في بيئة شيء أو شكله) لا معرفة أنواع الوثائق[٢] .

ثم قوله : تفتقر الوثائق العثمانية إلى معلومات عن الخليج وأن سرد الأحداث في المصادر العثمانية أيضاً تركز على الأحداث الهامة التي شهدتها الإمبراطورية العثمانية . وعلى كلٍ قد جاء وصف لبعض الوثائق العثمانية .

وتعليقنا على ذلك : فإن ما كتب عن دول الخليج العربي في الوثائق العثمانية يضم الآلاف منها ولدى الأمانة العامة لمراكز الدراسات والوثائق في الخليج العربي والجزيرة العربية – ومنها مركز الوثائق التاريخية في البحرين – يوجد أكثر من أحد عشر ألف وثيقة تحكي تاريخ المنطقة .

ونوع آخر هو يوميات كتبتها المؤسسات الهولندية في بندر عباس والبصرة حول الأحداث المحلية – وهي تغطي فترة قصيرة – ومن نوع مماثل يوجد سرد لأحداث كهنة الكرمل في البصرة . وقد أعد الهولنديون نصوصاً وصفية وتقارير كاملة رسمية من خلفية مصالحهم في الخليج وهي من أهم المصادر الأوروبية"[٣] .

واستهل الباحث في (ص٧) وتحت عنـوان (صورة للخلفية الاقتصـادية) قوله : "إن القصد من التواجد الأوروبي هو التجارة" ثم تكررت ثانية في (ص٨) بقوله : "بأن معظم الوثائق الواردة من الأوروبيين المتواجدين في الخليج قد تناولت النشاط التجاري بشكل من الأشكال" .

وفي (ص٩) من البحث : "كانت نقطة التركيز في سياسة هولندا في الخليج مجرد التجارة وكسب الأموال وكان الشريك التجاري الرئيسي إيران إما بواسطة تقديم الحوافز أو بممارسة الضغط السياسي أو العسكري حاولت هولندا الحصول على أحسن ظروف تجارية لها"[٤] .

والتعليق على ذلك أورده الباحث في قوله : "حين قدم (نيفاوزن) نفسه بالاشتراك مع (جان فاندر هلست) مشروعاً لاحتلال (البحرين) مؤرخ في ١ نوفمبر ١٧٥٤م وجاء في تقريرهما وصف للبحرين وحاكمها أخ الشيخ نصر آل مذكور الذي يملك سفينتين من سفن نادر شاه ولديه حرس مكون من نحو خمسين شخصاً ولا يتجاوز عدد جنوده مائة شخص . ويستطرد كاتب التقرير الهولندي وهو مدير شركة الهند الشرقية الهولندية بقوله : فإذا أرسلتم سفينة أخرى وعلى متنها مائتا ملاح وحوالي ١٥٠ جندياً مع الذخائر فيمكن (فتح البحرين) دون مشقة أو ضحايا .

وتعليقنا على ذلك : أن هولندا خططت لاحتلال البحرين لكنها عدلت عن خطتها وهذا يدل على أن لها مطامع (سياسية وعسكرية) وليست تجارية بحتة وهذا هو شأن الدول الأوروبية الأخرى .

ويستطرد الباحث في (ص٩) **بقوله** : "كانت لسياسة بريطانيا نفس الأهداف لسياسة هولندا مع أنه كانت تسودها بعض الخلافات . وقبل الستينات من القرن الثامن عشر كانت القوة العسكرية البريطانية في الخليج أقل من قوات هولندا" وهذه الفقرة تناقض سابقتها التي تقول : "إن سياسة هولندا وبريطانيا مجرد التجارة" .

وفي (ص١١) **قوله** : كان من بين (العناصر العربية) من يمارس (حرب العصابات) ضد البرتغاليين والهرمزيين الذين طالبوا بفرض سيطرتهم على التجارة عبر الخليج، ولقد أدى هذا إلى تحالف بين الملاحين العرب وبين الإيرانيين من جهة ضد البرتغاليين . غير أنه لم يكن تحالفاً عربياً موحداً ضد البرتغاليين .

التعليق : لا أعلم كيف يمكن وصف (العناصر العربية) الذين يدافعون عن بلادهم ضد الأجانب الذين قدموا إليها من على بعد آلاف الأميال ليسيطروا على ديارهم ويبتزوا خيراتهم كيف يسمون حربهم وهم يدافعون لطرد الأجنبي (بحرب العصابات) ألا يجدر أن يسميها بـ (حرب غير نظامية مشروعة Legal Irregular War) . ثم يذكر أن تحالف عرب الخليج لم يكن تحالفاً موحداً ضد البرتغاليين . إذن فماذا تسمي إرسال المعونات العسكرية والأفراد الذين لبوا طلب إمام عمان ؟ أليس ذلك تحالفاً موحداً ضد البرتغاليين أدى إلى اندحار البرتغاليين عن الخليج إلى حيث لا رجعة(*) .

وكتب الباحث يقول : كان العتوب في ذلك الوقت يشكلون على ما يبدو اتحاداً يحكمه عدة شيوخ . وقد جاء في التقرير الهولندي لعام ١٧٥٦م أن مبارك بن صباح ومحمد بن خليفة هما أهم شيوخهم . ورغم أن مبارك كان ينتمي إلى عائلة أكثر عراقة وأهم مكانة من نظيره، إلا أنه كان حديث السن وقليل المال نسبياً مما جعل محمد بن خليفة الذي كان غنياً ويمتلك عدة مراكب، يحظى بسلطة موازية له .

أما الترجمة فينبغي أن تكون كما يأتي : إن الشيخ مبارك بن صباح ينتمي إلى عائلة ذات (اعتبار واحترام) أي (More prestigious family) وليس كما ترجمت بأن

العائلة أكثر (عراقة) فإن العراقة في الإنجليزية هي (Ancient) أو (Original Antecedent) وتعني أصيل في نسبه والأصالة أو عراقة الجذور (Original roots) أما (More prestigious family) فتعني عائلة (أكثر اعتباراً واحتراماً) وليس (أكثر عراقة) فكلمة (عرق) في اللغة : أصل، والأعرق ذو العرق وذو الأصل فيقال هو أعرق منك في كذا أي أأصل منك . كما ورد في الأصل الإنجليزي أن هناك عنصران مهمـان في هـذا المرجع هما :

أولاً : وكما يبدو كان آل خليفة (فرعاً من القبيلة) اهتمت بالملاحة . وهذه الجملة لم ترد في النص العربي للأستاذ (سلوت) لأنها تناقض النص الأول . فإذا كان آل خليفة فرعاً من القبيلة التي ينتمي إليها آل صباح، فليس أحدهما أكثر عراقة من الآخر(٦) .

وورد في (ص١٤) من البحث قوله :

وفي هذه الأثناء قد تعرض البرتغاليون لضغط متزايد من عرب عمان ولم تنفع السلسلة من التحصينات التي كان قد أنشأها (روي فرير) وفي كل وحدة منها حوالي ٢٥ حارساً . وتوجد تسجيلات في أرشيفات (روما) لمحاولات فاشلة لاستيطان اللاجئين الصابئة من شمال الخليج إلى (دبـــا) .

وتوجد تفاسير مفصلة للانهيار النهائي للبرتغاليين لسنة ١٦٤٨م في الأرشيفات البرتغالية، إلا أن هذه الوثائق لا تكشف لنا كثيراً عن أحوال الخليج لأنها تلقي النظر على المناقشات البرتغالية الداخلية عن حماية مواقعهم في عمان وعن سقوط عدة قلاع برتغالية . وطرح حل لتسوية النزاع وبموجبه يستسلم البرتغاليون بدبـــا مقابل اعتراف بحكمهم على مسقط . وعلى كل، فإن الاتفاقية التي ناقشها الشيخ القاسمي ككبير المفاوضين فشلت كأنها لم تكن واستمرت الحرب واحتل العرب مسقط في أواخر ١٦٥٠م ولدينا ثبوت مباشر لهذا الحادث لقديس كاثوليكي في عمان وهذه الوثيقة محفوظة في أرشيفات روما .

التعليق : ربما أن الباحث يعني الإمام (ناصر بن مرشد) إمام عمان وليس الشيخ (القاسمي)(٧) .

ويستطرد الباحث الدكتور سلوت مباشرة بقوله : ومن النقاط المشوقة ذكر تقرير هولندي بأن القبائل العربية للساحل الإيراني أيدت العمانيين . . ففي أي أمر أيدت القبائل العربية العمانيين ؟[٨] .

أما نص كاتب البحث في (ص٢٣) حـــول انسحاب هولندا من جزيـرة (خارج) قوله : كانت هناك خطط هولندية لتعبئة الجنود من العرب في الخليج لاستخدامهم كمرتزقة (Mercenaries) في آسيا لكنها لم تفلح تلك الخطط الهولندية . كما أن ميناء (خرج) لم يأت بعائدات كافية لتغطية مصاريف احتلال (خرج) فقررت السلطات العليا للشركة التخلي عن جزيرة (خرج) ولكن قبل تنفيذ هذا القرار ورط محافظ (خرج) نفسه في النزاعات المحلية ولم يستطع أن يحافظ على المصالح التجارية إلا بواسطة التحالف مع الإيرانيين وأن رئيس قبيلة (زعب) مير مهنا الذي كان يحارب الإيرانيين قد احتل جزيرة (خرج) وكانت معاملته بصفة عامة مع الهولنديين حسنة فقد سمح لهم بالانصراف إلى بوشهر بدون عائق . وقد وصل خبر سقوط (خرج) في عام ١٧٦٧م إلى القنصل الهولندي في حلب عن طريق الرحالة الدانمركي (كارستن نيبور) والذي زارها وسمع معلومات عنها وطبع كتابه عام ١٧٧٢م .

وتعليقنا على ذلك : أن الهولنديين استأجروا جزيرة (خرج أو خارج) من الأمير (ناصر آل صعب) حاكم ميناء (ريك) أو (بندريج) فاستقر فيها (كنيفاوزن) مدير شركة الهند الشرقية الهولندية ومعه سفينتان وخمسون جندياً وبنى فيها قلعة واستقدم ثمانين عائلة صينية للاستيطان فيها لإنهاء عروبتها بعد إبعاد العرب منها ثم رفض دفع أجرة الجزيرة للأمير ناصر آل صعب وخاف الإنجليز من توسع نفوذ الهولنديين ففاوضوا الأمير ناصر على إقامة مركز لهم في بندر (ريك) فوافق الأمير . لكن الأمير (مهنا بن ناصر آل صعب) رفض الوجود الأجنبي سواء كان هولندياً أو إنجليزياً أو فارسياً فقام بحركة مناهضة في أواخر عام ١٧٥٤م إذ قتل مهنا والده ناصر وبعض أعوانه وتسلم الحكم وفي ١٧٦٥م رحل الهولنديون بعد انتصار الأمير مهنا عليهم[٩] وليس كما ذكر الباحث أن تحالفاً بين الإنجليز والفرس أدى إلى نهاية الأمير مهنا .

د. على أبا حسين / البحرين

الهوامش

١ – وهذا نص الباحث :

The number of contemporary printed books of European travelers is limited, less than fifty, but the amount of documents of the seventeenth and eighteenth centuries concerning the Gulf in European archives and manuscript libraries is huge. There are tens of thousands of Dutch documents, many thousands of English and hundreds of Portuguese and French documents.

The density of the material interesting for our subject in the huge number of documents concerning the Gulf can be rather low. This is especially the case with the Dutch official material, which is huge is size, but tends to concentrate on the trade of the Dutch Company in the Gulf, and less than 10 % of the material is about other matters.

٢ – أنظر المورد ص٥٩٣ ط١٢، بيروت ١٩٧٢م .

٣ – وهذا نص الباحث :

Ottoman narrative sources are also very much concentrated on the great events of the Ottoman Empire, but some Ottoman archival documents have been described.(11)

Another way of looking at the source material is the morphological way: what kinds of documents do we have. The easiest source are the travel descriptions, either printed or manuscript which survive of several nations. Another category are the diaries produced by the Dutch establishments of Bandar Abbas and Basra on local events. They only exist now for certain limited periods. Of a related kind is the chronicle of the Carmelite monks in Basra. The Dutch produced some descriptive texts, full official reports concerning the background of their interests in the Gulf which belong to the most important European sources, and an

٤ – وهذا نص الباحث :

B. ECONOMIC BACKGROUND PICTURE